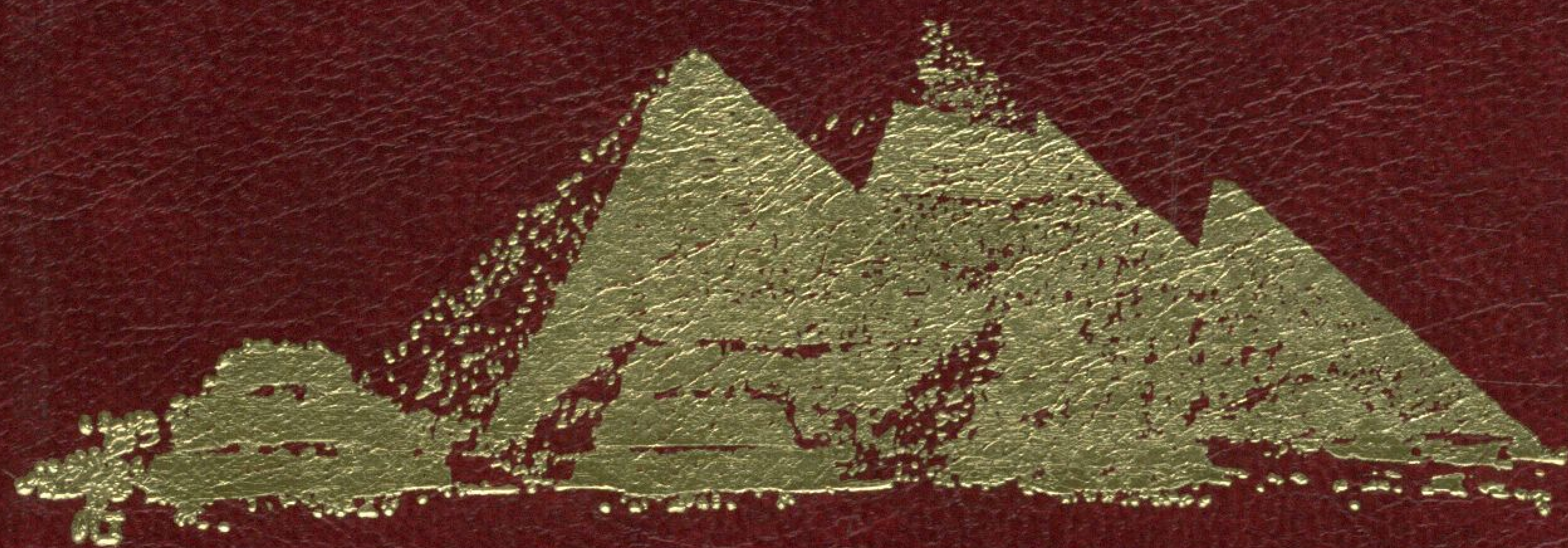
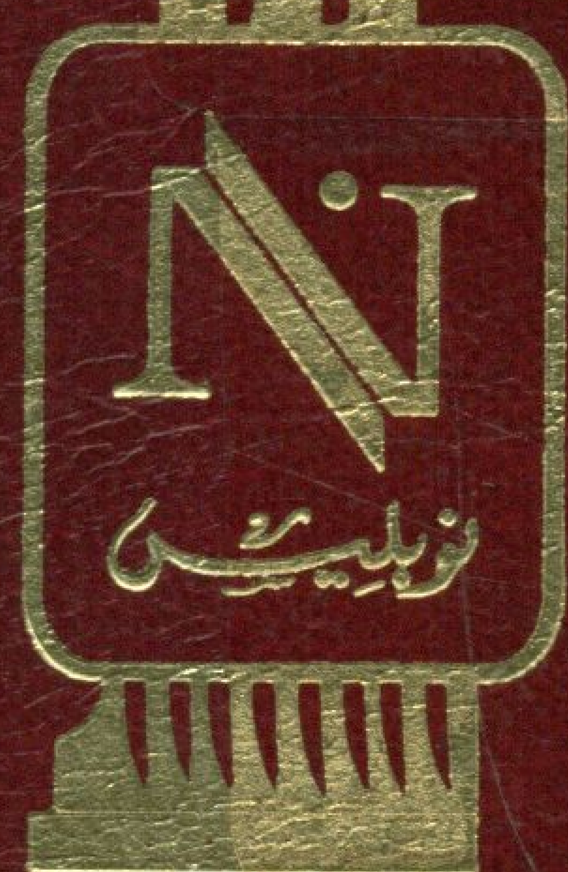
مَوسُوعَة
تَارِيخُ مِصْرَ





موسوعة

التاريخ المصري

(١٩)

الدكتور أحمد فؤاد سيد

موسوعة

التاريخ المصري

المجلّد التاسع عشر

تاريخ مصر الإسلامية زمن سلاطين بني أيوب - ٢ -

٥٦٧ هـ - ٦٤٨ هـ

دار نوبليس

اسم الموسوعة: موسوعة التاريخ المصري

اسم الكتـــاب: تاريخ مصر الإسلامية زمن سلاطين بني أيوب - ٢ -

اسم المؤلــف: الدكتور أحمد فؤاد سيد

قيـاس الكتـاب: ١٧ × ٢٤

عدد الصفحات: ١٩٦

عدد صفحات الموسوعة: ٨٨٤٠

مكـان النشـر: بيروت

دار النشر والتوزيع: دار نوبِليس

تلفاكس: ٧٥ ٣٤ ٥٨ (١) ٩٦١

هاتــف: ٢١ ١١ ٥٨ (١) ٩٦١ ـ ٢١ ١١ ٥٨ (٣) ٩٦١

صندوق بريـد: ٧٠ ٦٩ ١٦ بيروت لبنان

بريد إلكتروني: info@nobilis-int.com

الطبعة الأولى: ٢٠١٢

EAN 9786144031339

ISBN 978-614-403-133-9

الفصل الخامس

حماية سلاطين بنى أيوب

لطريق وفريضة الحج ؛ وللحرمين الشريفين ، والقِبلَتَيْن

وطبيعي وقد أضحت الخلافة العباسية ، تستند أولاً وأخيرًا على سلطاتها الروحية ، التي باتت تحظى بالتبجيل والطاعة ، من ملوك وسلاطين الإسلام ، أن تعمد إلى بسط هيمنتها وإشرافها على فريضة الحج ، وهي إلى كونها ركن من الأركان الخمس التي بنى عليها الإسلام ، تعد ولا ريب مؤتمرًا إسلاميًا عالميًا ، يضم الأمة الإسلامية عن بكرة أبيها ، حين تهفوا أفئدة المسلمين في موسم الحج لأداء مناسكه ، وزيارة قبر الرسول الكريم ، والإلتقاء بإخوانهم في الدين - وقد جاءوا زرافات ووحدانًا ، من كل فج عميق - في بقعة شريفة مباركة ، كانت المهد الأول لدعوة الإسلام ودولته .

ولاشك أن ارتباط الحروب الصليبية بفكرة انتزاع بيت المقدس من يد المسلمين ، بما فيه من مقدسات إسلامية ونصرانية ويهودية ، وكون أغلب المحاربين الصليبيين - إذا ما استثنينا الجند النظاميين لملوك اوربا ، واستثنينا المنظمات والمؤسسات الدينية الحربية مثل الداوية والاسبتارية وغيرها التابعة للبابوية - جاءوا حجاجًا لبيت المقدس[١] ، وإن كان الدافع المباشر لتحركهم من أوربا ، هو مساوىء النظام الإقطاعي بها ، الذي كان قد بلغ في هذا الوقت ذروة نضوجه واستفحلت مساوءه ، التي جعلت من الإقطاعي مالكًا للأرض ومن عليها[٢] ، فلا غرو أن كان الجوع والرغبة في الخلاص والهروب من نير الاسترقاق ، هو الدافع الحقيقي لجموع الدهماء ، الذين كانوا يمثلون الجمع الغفير من جحافل الحملات الصليبية الأولى[٣] .

وغير خاف أن هذا الوضع الطارىء ، وما تمخض عنه من نجاح المسلمين في استرداد بيت المقدس على يد صلاح الدين سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م ، وذلك بعد استيلاء الفرنج عليه اثنتين وتسعين سنة (٩٢ سنة) ، لأنهم أخذوه سنة ٤٩١هـ / ١٠٩٧م ، بحيث دخل السلطان الصخرة بعد تمام الفتح ، وغسلها بالماورد ، وقيل غسلها بلحيته وهو يبكي ، ومحى الصور فيها ، وكسر الصلبان ، وعمر المسجد الأقصى[٤] . ومنذ استرداد بيت المقدس نلحظ ظاهرة الحج المزدوج عند المسلمين ،

---

(١) أنظر مؤلف مجهول : أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ترجمة حسن حبشي ، دار الفكر العربي ، ١٩٥٨م .

(٢) أنظر بالتفصيل ج . و . كوبلاند : الإقطاع والعصور الوسطى بغرب أوربا ، نقله إلى العربية محمد مصطفى زيادة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٤٦م .

(٣) أنظر سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٣، ج ١ ، الفصل الخاص بدوافع الحروب الصليبية ، وهو يؤكد أن الدافع الديني لهذه الحروب كان ضعيفًا جدًا ، وأن الدافع الاقتصادي لدى البرجوازية الجديدة في أوربا وخاصة في الجمهوريات الإيطالية كانت هي المحرك الحقيقي لهذه الحروب التي أرتدت مسوحًا دينيًا تسترت وراءه .

(٤) العماد : البرق الشامي ، ص ٤٨ - ٥١ ، ص ١١٦ - ١٣٠ ، ص ١٣٧ - ١٤٧ ، سبط بن الجوزي : مرآة ، ٨: ٣٩٧ ؛ وأنظر السائح الهروي ت ٦١١هـ : الإشارات إلى معرفة الزيارات ، تحقيق جانيت سورديل ، المعهد الفرنسي بدمشق سنة ١٩٥٣م ص ٢٤ - ص ٢٨ . =

أى إلى الأراضى الحجازية ، ثم إلى بيت المقدس[1] .

حماية دولة الخلافة الفاطمية لفريضة الحج ، بعد انتقالها إلى مصر ، والخطبة لها بالحرمين الشريفين ، وكسوتها للكعبة :

والواقع أن حماية سبيل الحجاج ، وتيسير أسباب الحج للمسلمين ، هو من أهم مهام أى خلافة إسلامية ، فنحن نعرف أن الخلافة الفاطمية ، كانت قد بررت فتحها لمصر سنة ٣٥٨هـ / ٩٦٨م ، وحق الخليفة الفاطمى فى السيطرة على العالم الإسلامى كله شرقًا وغربًا ، بعجز الخلافة العباسية عن مداومة جهاد البيزنطيين ، وانقطاع طريق الحج وتعطله ، وعدم استطاعة الحجاج أداء الفريضة[2]

= وقد زار الهروى المقدسات الإسلامية ببيت المقدس ، قبل أن يمحو صلاح الدين منها آثار الإثم الصليبى ، والصور والأيقونات الوثنية ، ووصف حالة قبة الصخرة والمسجد الأقصى وصفًا يشعل صدور المسلمين غيرة على مقدساتهم التى ابتذلها الصليبيون ؛ ولقد ذكر الهروى أنه دخل بيت المقدس "زمان الفرنج سنة ٥٦٩هـ" ، أنظر ، الإشارات ، ص ٢٥ ، س ٨ - ٩ .

(١) سبط : مرآة ، ٨: ٥٧٥ ، ابن الفوطى : الحوادث ص ١٣٤ ، ويقول سبط ابن الجوزى فى حوادث سنة ٦١٣هـ وحج بالناس من العراق ابن أبى فراس ، ومن الشام الفقيه علم الدين الجعبرى ، وعدت من الحج على تبوك والعلا ، وجمعت بين زيارة النبى صلى الله عليه وسلم ، وبين زيارة الخليل فى المحرم ولله المنة وفى الحديث : (من زارنى وزار أبى إبراهيم فى عام واحد ، ضمنت له على الله الجنة) ، وإن لم يتفق على نقل هذا الحديث الثقات ، والأعمال بالنيات ، أنظر سبط : مرآة ، ٨: ٥٧٥ . وأنظر ابن شداد : النوادر ص ٣١ س ١٥ - ١٧ ؛ والذى جمع بين حج الحجاز وبيت المقدس ، رجل متصوف ، من أهل إيران . كان أبوه صاحب توريز وقدم لشكر صلاح الدين ؛ ويقول ابن واصل فى حوادث سنة ٦٢٤هـ : (وكتب والدى - رحمه الله - فى هذه السنة ، وهو مقيم بالقدس بالمدرسة الناصرية الصلاحية ، إلى السلطان الملك المعظم ، يستأذنه فى الحج ، فأذن له فى ذلك ، وأحرم عند الصخرة الشريفة ، وسافر إلى مكة محرمًا ، وحج وجاور ، ثم حج سنة ٦٢٥ ، وعاد فى سنة ٦٢٦ ، وأقمت مكانه بالمدرسة المذكورة ، (مفرج الكروب ج ٤ ، ص ٢٠٨) ، ويقول ابن شداد فى حوادث سنة ٥٨٣ ، وهى السنة التى أسترد فيها بيت المقدس : " ثم اتفق لى العود من الحج (بالحجاز) على الشام لقصد القدس وزيارته ، والجمع بين زيارة النبى صلى الله عليه وسلم وزيارة أبيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، فوصلت إلى دمشق ، ثم خرجت إلى القدس ، أنظر ابن شداد النوادر السلطانية ، ص ٨٥ ، س ١٠ - س ١١ .

(٢) أنظر ماجد : ظهور الخلافة ، ص ١٢٠ - ١٢٣ وأنظر مجير الدين الحنبلى ت ٩٢٨هـ : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، نشر مكتبة المحتسب ، عمّان - الأردن ، د. ت, (ج ١ - ٢) ، ١: ٢٣١ (باب فضل الإهلال بالحج والعمرة من بيت المقدس) وفيه : عن أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من أهَلّ بحج أو عمرة من المسجد الأقصى الشريف إلى المسجد الحرام ، غفر له الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ووجبت له الجنة . وقد أحرم منه عمر بن الخطاب رضى الله عنه .. وأحرم منه ابنه عبد الله رضى الله عنه أيضًا .

وهذا ما أكده جوهر الصقلى فى أمانة لأهل مصر(1) ، ثم ردده الخطيب الفاطمى فى أول خطبة جامعة دعا فيها للخليفة المعز لدين الله ، أول خلفاء الفواطم بمصر ، على منبر الجامع العتيق (عمرو بن العاص) بالفسطاط(2) .

وحين تم للخلافة الفاطمية السيطرة على الحرمين ، أصبح إرسال الكسوة الفاطمية للكعبة من مصر(3) ، مع أمير الحج المصرى(4) . أهم ما يهتم به الخليفة الفاطمى ، لأن فى ذلك تأكيدًا لميراثه لتراث النبوة والخلافة ، وحمايته لفريضة الحج ، التى تجمع شمل المسلمين من كافة أرجاء العالم ،

---

(1) جاء فى هذا الأمان الذى يعد أهم وثائق العصر الفاطمى كله ، لأنه يظهر هدف الفاطميين من نقل خلافتهم من المغرب إلى مصر ، وأخيرًا أهدافهم بالنسبة لتكوين خلافة إسلامية عامة : " أنه صلوات الله عليه (الخليفة المعز لدين الله الفاطمى) لم يكن إخراجه للعساكر المنصورة ، إلا لما فيه إعزازكم وحمايتكم والجهاد عنكم .. وأثر إقامة الحج الذى تعطل ، وأهمل العباد فروضه وحقوقه لخوف المستولى عليهم ، وإذ لا يأمنون على أنفسهم ولا على أموالهم ، وإذا قد أوقع بهم مرة بعد أخرى فسفكت دماؤهم ، وابتزت أموالهم ، مع اعتماد ما جرت به عادته من صلاح الطرقات ، وقطع عبث العابثين فيها ، ليتطرق الناس آمنين ، ويسيروا مطمئنين ، ويتحفوا بالأطعمة والأقوات ، إذا كان قد انتهى إليه – صلوات الله عليه – انقطاع طرقاتها ، لخوف مارتها ، إذ لا زاجر للمعتدين ، ولا دافع للظالمين " . أنظر المقريزى : اتعاظ الحنفا ، نشر الشيال ، دار الفكر العربى ، ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م ص ١٤٨ – ١٤٩ .

(2) أنظر نفس المصدر ص ١٦٣ ، س ١٠ – س ١٢ .

(3) أنظر عن كسوة الكعبة المقريزى : الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك نشر الشيال، القاهرة، ١٩٥٥م ، ص ٤٣ – ٤٤ حيث يذكر كسوتها العباسية السوداء على عهد المهدى العباسى ، وص ٦٦ حيث يذكر كسوتها بالديباج الأبيض شعار الدولة الفاطمية على يد الدولة الرسولية باليمن . وأنظر عن صناعة الكسوة بمصر من قبل الخلافة العباسية ثم من قبل الخلافة الفاطمية ، الشيال : مقدمة الذهب المسبوك للمقريزى ص ٢٠ – ٢١ وهامش "١" ص ٤٣ – ٤٤ على كتاب الذهب للمقريزى أيضًا ، المقريزى : الخطط ، طبع مطبعة النيل بالقاهرة ، ١٣٢٤هـ ، ج ١ ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٣٦٥ ، الأزرقى : أخبار مكة ، المطبعة الماجدية بمكة ١٣٥٢ هـ ، ص ١٦٩ – ١٧٧ ، وعن وصف الكسوة الفاطمية أنظر محمد عبد العزيز مرزوق : الزخرفة المنسوجة فى الأقمشة الفاطمية القاهرة ١٩٤٢ ص ١٦ ، ٥٢ – ٥٣ ، ٦١ ، وعن رسوم خروج المحمل الفاطمى إلى الحجاز ، أنظر J. Jomier: Le Mahmal وأحب أن أوجه شكرى الجزيل لهذا المستشرق الفرنسى الكبير والأب الدومينيكانى ، على ما امتعنى به من حديث شيق عن المحمل المصرى ، وما اتسع له صدره من مناقشة بينى وبينه بدير الأباء الدومينيكان بالعباسية .

(4) كانت إمارة الحج فى العصر الفاطمى من وظائف أرباب السيوف ، أنظر القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ١٠ ص ٣٠٨ ، وأنظر تقليد بإمارة الحج صادر عن الخليفة الفاطمى بمصر القلقشندى : صبح ، ج ١٠ ص ٤٠٤ – ٤٠٦ وأنظر كذلك نسخة توقيع من الخليفة الفاطمى لقاضى ركب الحج المصرى : القلقشندى : نفسه ، ج ١٠ ص ٤٤٢ – ٤٤٣ .

وكان تفرد الخليفة الفاطمى بهذا الأمر ، من أعظم مفاخر الخلافة الفاطمية[1] . وقد استجد فى العصر الفاطمى عيد عرف بعيد الحجاج[2] .

ولعل فى سيطرة الخلافة الفاطمية على إرسال كسوة الكعبة ، وتولى أمير الحج المصرى لحماية الحجيج وطريق الحج ، وطاعة أمراء الحجاز للخليفة الفاطمى والخطبة للفاطميين بالحرمين[3] ، هو ما يعلل وجود سنوات متلاحقة ، انقطعت فيها أخبار لواء الحج العراقى ، حتى فى فترات ضعف الخلافة الفاطمية ، منذ مطلع القرن السادس الهجرى ، خاصة وأن أمراء الحجاز ، كانوا يتأرجحون فى الولاء بين الخلافتين العراقية والمصرية[4] . كما كان تعرض عرب بادية الشام والحجاز ، لنهب الحجاج إذا لم يدفعوا رسوم الغفارة ، سببًا آخر لتعطيل لواء الحج العراقى ، وعودته دون أداء الفريضة فى بعض السنين[5] وهذا ما يستدل من تتبع أخبار لواء الحج العراقى ، لدى المؤرخين .

---

(١) جاء فى تقليد أمير الحاج المصرى ، عن لسان الخليفة الفاطمى : " الحمد لله الذى طهر بيتنه من الأرجاس ، وجعله مثابة للناس ، وآمن من حله ونزله ، وأوجب أجر من هاجر إليه ووصله بحمده أمير المؤمنين أن خصه بحيازة البيت الأعظم ، والحجر المكرم والحكم وزمزم ، وأفضى إليه ميراث النبوة والإمامة ، وتراث الخلافة والزعامة ، وجعله لفرضه موفيًا ، ولحقوقه مؤديًا ، ولحدوده حافظًا ، ولشرائعه ملاحظًا ، ويسأله أن يصلى على من امره بالتأذين فى الناس بالحج إلى بيته الحرام لشهادة منافعهم ، وتأدية مناسكهم .. وإن أولى ما صرف أمير المؤمنين إليه همته ، ووفر عليه رعايته ، مثابرًا عليه وناهضًا لحق الله تعالى فيه ، النظر فى أمر رفق الحجيج الشاخصة إلى بيت الله الحرام ، وزيارة قبر نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام .. " ، أنظر القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ١٠ ، ص ٤٠٤ - ٤٠٦) .

(٢) أنظر ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٣ ، ج ١ ، ص ١٣٠ - ١٣١ ، وأنظر أيضًا ماجد : ظهور الخلافة ص ٢٢١ - ٢٢٣ .

(٣) أنظر بالتفصيل : جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٥٩ ، وأنظر قبله .

(٤) أنظر ماجد : ظهور الخلافة ، ص ٢٢٩ وأنظر قبله . ولعل هذا التأرجح من قبل أمراء الحجاز ، فى التبعية للخلافتين العراقية والمصرية ، ما يفسر الخبر الذى أورده سبط ابن الجوزى سنة ٥١٠هـ ، فيذكر أنه حج بالناس من العراق أمير الجيوش يمن بن عبد الله المستظهرى ، ودخل مكة وعلى رأسه الأعلام ، وخلفه الكوسات والبوقات والسيوف فى ركابه ، ويعلق سبط ابن الجوزى قائلاً : وإنما قصد إزلال أمير مكة ، أنظر مرآة الزمان ج ٨ ص ٦٣ ، ص ٧٠ . ثم يزيد الأمر وضوحًا بقوله : وهذا الجيش إنما دخلها معظمًا ، لأن أميرها والسودان كانوا عصاة على بنى العباس ، لا يرون أمامتهم ، ويخطبون لغيرهم . فقصد بذلك الطاعة والإذعان ، لا الهوان والعصيان ، سبط : نفسه ج ٨ ص ٦٤ .

(٥) أنظر سبط ابن الجوزى : مرآة ، ج ٨ : ٢٠٥ حوادث سنة ٥٤٥هـ ، ج ٨ ص ٥٦٨ - ٥٦٩ حوادث سنة ٦١٠ هـ ، ابن الفوطى : الحوادث ، ص ٦ - ٧ ، حوادث سنة ٦٢٦هـ ، ص ٦٠ - ٦١ ، حوادث سنة ٦٣١هـ ، ص ٩٠ حوادث ٦٣٢هـ .

العراقيين ، الذين حرصوا على ذكر أخباره فى كل سنة[1] .

عودة الخطبة للخلافة العباسية ببلاد الحجاز والحرمين الشريفين على يد سلاطين بنى زنكى وبنى أيوب ، والكسوة العباسية للكعبة :

ويبدو أن عودة السيادة العباسية على الحجاز ، وعودة زعامة الوية الدول الإسلامية فى موسم الحج إلى لواء الحج العراقى ، يرجع إلى مساعى السلاجقة فى الاستيلاء على ممتلكات الفاطميين الدعاء على منابرها للخلافة العباسية[2] . وقد تم هذا على يد تلميذ السلاجقة النجيب نور الدين زنكى ، الذى بالغ فى الإحسان لأهل مكة والمدينة ، وبعث العساكر لحفظ المدينة النبوية ، وأقطع أمير مكة إقطاعًا ، وأقع أمراء العربان إقطاعات لحفظ الحاج فيما بين دمشق والحجاز ، وأكمل سور المدينة النبوية ، واستخرج لها العين ، فدعى له بالحرمين على منبريهما[3] . بعد اسم الخليفة العباسى .

وثمة معلومة على جانب كبير من الأهمية ، لدارس تاريخ الأسرة الأيوبية ونشأتها ، تشير إلى أن تولى مؤسسى هذه الأسرة ، لإمارة لواء الحج الشامى ، إبان خدمتهما لنور الدين زنكى ، كان من أهم عوامل استقواء نفوذ هذه الأسرة الطموحة . فنعرف أن نجم الدين أيوب ، كبير البيت

---

(١) أنظر سبط ابن الجوزى : مرآة ، ج ٨ ص ٦٣ حوادث سنة ٥١٠هـ ، ص ٩٨ حوادث ٥١٥هـ ، ص ١٥٨ حوادث سنة ٥٣٠هـ ، ص ١٧٤ حوادث سنة ٥٣٤ هـ ، ص ١٧٧ حوادث سنة ٥٣٥هـ ، ص ١٨٠ سنة ٥٣٦ ، ص ١٨٢ ، ص ١٨٤ سنة ٥٣٩ ، ص ١٨٥ سنة ٥٤٠ ، ص ١٨٨ سنة ٥٤١ هـ ، ص ١٩٦ سنة ٥٤٢ ، ص ٢٠٠ سنة ٥٤٣ ، ص ٢٠١ سنة ٥٤٤ ، ص ٢١٣ سنة ٥٤٧ ، ص ٢١٥ سنة ٥٤٨هـ، ص ٢٢٤ سنة ٥٥٠ ، ص ٢٢٧ سنة ٥٥١هـ ص ٢٣٢ سنة ٥٥٤ ، ص ٢٣٤ سنة ٥٥٥ ، ثم تنقطع أخبار الحج العراقى تمامًا حوالى سبعة عشر عامًا ثم تعود سنة ٥٧٢ هـ ، وهى السنة التى ذكر فيها ابن الجوزى إبطال صلاح الدين الغفارة عن الحجاج ، أنظر مرآة الزمان ، ٨: ٣٣٨ - ٣٣٩ ، وبعد ذلك تتطرد أخبار لواء الحج العراقى ولا تنقطع إلا نادرًا ، أنظر مرآة ج ٨ ص ٣٥٥ ، ٣٦١ ، ٣٧١ ، ٣٨٣ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٤٠٥ . ٤٢٢ - ٤٢٣ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٦، ٥١٠ ، ٥١٩، ٥٢٤، ٥٢٦، ٥٢٨ ، ٥٢٨ - ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣٥ ، ٥٣٩ ، ٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٦ ، ٥٥٦ - ٥٥٧ ، ٥٦٨ - ٥٦٩، ٥٧٥ ، ٦٠٦ ، ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٧٤٩ . والملاحظ أن إنقطاع لواء الحج العراقى منذ مطلع القرن السابع الهجرى وإلى سقوط بغداد ٦٥٩هـ ، مرده التحرك المغولى ، أنظر أخبار لواء الحج العراقى فى هذا القرن عند ابن الفوطى: الحوادث ص ١٦ ، ٣٧ ، ٥٢ ، ٧٤ ، ٨٨ ، ١٨٧ - ١٨٨ ، ١٩١ ، ٢٢٧، ٣١١ - ٣١٢ . وحدثنا الماوردى عن المهام الدينية والسياسية لأمير الحج العراقى ، الأحكام السلطانية ص ١٠٣ - ١٠٥ . عن الولاية على الحج وبيان إقسامها . وعن وظيفة إمارة الحج فى العصور المتأخرة أنظر كتاب : حسن الصفا والابتهاج ، بذكر من ولى إمارة الحج ، للشيخ احمد الرشيدى . (بروكلمن ملحق ٢/ ٥١٦) . أوله : حمدًا لك يا من رفع معالم البيت الشريف على أثبت بنيان ، منه نسخة خطية بمكتبة سوهاج : برقم ٨٢ تاريخ ، ٨٨ ق ، ١٣ × ٢١ سم . وهى مصورة بمعهد المخطوطات برقم ٢١٥ تاريخ .

(٢) أنظر قبله .

(٣) المقريزى : الذهب المسبوك ص ٦٩ .

الأيوبى : كان قد تولى إمارة الحج الشامى لنور الدين زنكى منذ سنة ٥٥١هـ / ١١٥٦[١] ، والجدير بالملاحظة أنه قد ورثه فى هذا المنصب اخوه أسد الدين شيركوه ، الذى وصف أنه قد تقدم عند نور الدين زنكى ، وبعثه أمير الحاج من دمشق[٢] . وكان شيركوه فى حياته قد أنفق من أمواله المبالغ الضخمة ، فى سبيل إقامة العمائر الدينية والخيرية بالحرمين هو وصديقه الوزير جمال الدين وزير صاحب الموصل ، وأوصى صديقه بأن يدفن فى تربة بجوار المسجد النبوى بالمدينة المنورة[٣] . وقد حرص ملوك بنى أيوب على تحقيق هذه الأمنية والوصية ، فقاموا بنقل رفاة نجم الدين أيوب وأخيه شيركوه بعد دفنهما بمصر ، وأعادوا دفنهما بالمدينة المنورة ، طبقًا لوصيتهما[٤] .

واستمرت السيادة العباسية على الحجاز ، على يد سلاطين وملوك الدولة الأيوبية ، وتبدت مظاهر عودة هذه السيادة فى الخطبة للخليفة العباسي بالحرم المكى ، قبل أمير مكة ، وقبل السلطان الأيوبى صاحب مصر ، وملك اليمن من بنى أيوب[٥] . وفى إرسال التقاليد الخليفتية بالإمارة لكل من أمير مكة والمدينة ، صُحبَه أمير الحاج العراقى ـ وكان تقليد أو عزل أمير المدينة ومكة أو أولياء

(١) سبط : مرآة ، ٨: ٢٢٧ .

(٢) المقريزى : السلوك ج ١ ص ٤٠ س ٧ .

(٣) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، ٨ : ٢٥٠ . ولقد بقيت عمائر الوزير جمال الدين الموصلى عامرة ووصفها ابن جبير فى رحلتة ، أنظر ابن جبير : الرحلة ص ١٠٤ ، وأنظر ترجمته هذا الوزير عند ابن الأثير : الباهر ، ص ١٢٧ - ١٣٠ .

(٤) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان، ٨ : ٢٧٨ . يقول ابن واصل بعد ذكر وفاة نجم الدين أيوب سنة ٥٦٨هـ . ولما توفى دفن إلى جانب أخيه أسد الدين شيركوه فى بيت بالدار السلطانية ، ثم نقلا بعد سنتين إلى مدرسة بنيت لهما بالمدينة ، بإزاء حجرة النبى – صلى الله عليه وسلم – وسعدا بجوار النبى – عليه السلام – فتم لهما بذلك سعادة الآخرة ، مضافة إلى ما نلاه من سعادة الدنيا ، ولما حججت سنة ٦٤٩ وقدمت المدينة – على ساكنها أفضلا الصلاة والسلام رأيت قبريهما بهذه المدرسة . ابن واصل : مفرج ج ١ ص ٢٣٠ – ٢٣١ .

(٥) ابن جبير : الرحلة ص ٧٣ حيث يقول : ثم قام الخطيب للخطبة الثانية ، فاكثر بالصلاة على محمد ، صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله ورضى عن أصحابه ، واختص الأربعة الخلفاء بالتسمية ، رضى الله عن جميعهم ، ودعا لعمى النبى حمزة والعباس ، وللحسن والحسين ، ووالى الترضى عن جميعهم . ثم دعا لأمهات المؤمنين زوجات النبى صلى الله عليه وسلم ، ورضى عن فاطمة الزهراء وعن خديجة الكبرى بهذا اللفظ . ثم دعا للخليفة العباسى ، أبى العباس أحمد الناصر ، ثم لأمير مكة مكثر بن عيسى بن فليتة .. بن هاشم الحسنى . ثم لصلاح الدين .. ولولى عهده أخيه أبى بكر بن ايوب .. وأنظر أيضًا ابن جبير : الرحلة ص ٨٠ ، يقول وفى أثر كل صلاة مغرب ، يقف المؤذن الزمزمى فى سطح قبة زمزم رافعًا صوته بالدعاء للإمام العباسى أحمد الناصر لدين الله ثم للأمير مُكثر ، ثم لصلاح الدين أمير الشام وجهات مصر كلها واليمن .. ثم يصل ذلك بدعاء لأمراء اليمن من جهة صلاح الدين ثم لسائر المسلمين والحجاج والمسافرين وينزل . هكذا دابة دائمًا .

عهدهما يقرأ بجوار المسجد النبوى[1]، وإرسال كسوة الكعبة كل سنة بشعار بنى العباس وهو السواد، وبطُرُز حمراء تحمل اسم الخليفة العباسي وعبارات دعائية له[2] . كما تولى خلفاء بنى العبـاس ، عمـارة الحرم المكى[3] ، والمسجد النبوى[4] . كذلك كان الخليفة العباسي وحده ، هو صاحب الحـق فـى رفـع لواءه يوم الوقوف بعرفات[5] .

---

(١) أنظر سبط : مرآة ، ٨: ٥٢٤ ، ٦١١ . ولقد أورد القلقشندى أكثر مـن نسـخة تقليـد لأمير مكـة الحسنى صادرة عن ديوان الإنشاء المماليكى بعد انتقال الخلافة العباسية للقاهرة ، وهو يوصى أمير مكة بتأمين الحجـاج وحسن وفادتهم وحماية أموالهم وأرواحهم ، أنظر صبح ج ١٢ ص ٢٣٣ – ٢٤٠ ، وأورد القلقشندى أكـثر من نسخة تقليد لأمـير المدينـة مـن العصـر المماليكى لأنـه كـان بالمدينـة المنورة الكثيرون مـن أنصـار الشيعة الإسماعيلية ، وأمير مكة الحسينى مكلف بمراقبتهم ، صبح : ج ١٢ : ٢٤٢ – ٢٥٨ ، وأنظر ابن الفوطـى : الحوادث ص ٢٧٤ ص ٢٧٤ ، س ١ – ٢ .

(٢) يقول ابن جبير : يصف الكسوة العباسية للكعبة ، " وسقف البيت ، مجلل بكساء من الحريـر الملـون ، وظاهر الكعبة كلها من الأربعة الجوانب ، مكسو بستور من الحرير الأخضر ، وسـداها قطن ، وفـى أعلاهـا رسـم بالحرير الأحمر ، فيه مكتوب أن أول بيت وضع للناس للذى ببكة ، الآية ، واسـم الإمـام النـاصر لديـن اللـه ، فى سعته قدر ثلاث أذرع ، يطيف بها كلها . قد شكل فى هذه الستور ، من الصنعـة الغريبـة التـى تبصرهـا ، أشكال محاريب رائعة ، ورسوم مقروؤة مرسومة بذكر الله تعالى ، وبالدعـاء للنـاصر العباسـى المذكـور ، الآمر بإقامتها ، وكل ذلك لا يخالف لونها . وعدد الستور من الجوانب الأربعة أربعة وثلاثون سترًا ، وفى الصفحتين الكبيرين فيها ثمانية عشر ، وفى الصفحين الصغيرين ستة عشر ، وله خمسة مضاوىء ، وعليها زجـاج عراقـى بديع النقش .. وبين الأعمدة أكواس من الفضة ، عددهـا ثـلاث عشـرة ، وأحدهـا مـن ذهـب . ابـن جبـير : الرحلة ص ٦٠ – ٦١ ، أنظر أيضًا ص ٩٦ – ٧٠ ، وأنظر بعده .

(٣) اورد ابن جبير النصوص التاسيسية الخاصة بعمارة بنى العباس للحرم المكى وتوسيعه فيقول " توجد " رخامتان متصلتان بجوار الحجر المقابل للميزاب.. أمر بصنعتهما إمام المشرق أبو العباس أحمد الناصر بن المستضىء بالله العباسى . ويقابل الميزاب .. رخامة نقشت .. نقشًا عجيبًا ، فيه مكتوب : مما أمر بعملـه عبـد اللـه وخليفتـه ، أبو العباس أحمد الناصر لدين الله ، أمير المؤمنـين ، وذلـك سـنة سـت وسـبعين وخمسـمائة (٥٧٦ هـ) أنظر ابن جبير : الرحلة ص ٦٤ – ٦٥ . ولقد أورد ابن جبير نصوص لنقوش خاصة بعمـارة الكعبـة رآهـا ، ترجـع إلى عهد الخلفاء العباسيين الأول ، فأورد نقشين من عهد الخليفـة المهـدى لديـن اللـه ، مؤرخـين سـنة ١٦٧هـ ونقش من عهد الخليفة المقتفى لأمر الله مؤرخ بسنة ٥٥٠هـ ، أنظر الرحلة ص ٦٨ – ٦٩ . وآخر من عهـد الخليفة المستضىء بأمر الله مؤرخ سنة ٥٧٣هـ وأنظر الرحلة ص ٨٤ س ١٢ – ١٦ ، وآخر من عهد الخليفة المهدى لدين الله مؤرخ سنة ١٦٧هـ أيضًا وأنظر الرحلة ص ٨٥ – ٨٦ .

(٤) حدث هذا سنة ٦٥٤ حين أحترق المسجد النبوى ، بسبب حريق عارض ، فأحترقت الحجرة النبوية ، والمنبر الذى من عهد النبى ، فلما بلغ الخليفة المستعصم لذلك أرسل قاضى القضاه ، وعدة من العـدول ، وأصحبهـم مالاً لعمارة ما احترق ، فعمروا ما خرب وأعادوه أحسن ما كان ، أنظر ابن الفوطى : الحوادث ص ٣١٦ .

(٥) أنظر ابن جبير : الرحلة ص ١٦٣ – ١٦٤ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٦: ١٠٥ .

وتاكيدًا لإشراف الخلافة العباسية على الحرم المكي ، كان أمير الحج العراقي يقوم بنفسه بكسوة الكعبة مع خواصه[١] ، كما كانت الخلع الخليفية شعار السواد العباسي ، ترسل من بغداد إلى خطيب الحرم المكي ، شأنه شأن خطباء البلاد التابعة للخلافة العباسية على حد قول ابن جبير ، وذلك كي يلبسها عند صعوده للخطبة الجامعة ، كما كان لمقرىء الحرم أيضًا خلعة عباسية بشعار السواد ، وفي أثناء الخطبة تركز رايتان سوداوان في أول درجة من المنبر[٢] .

كذلك لاحظ ابن جبير أنه كان للحرم المكي أربعة أئمة سنّية ، وإمام زيدى شيعى ، وكان الإمام الشافعي المذهب ، يعد المقدم على بقية الائمة ، الحنفى والمالكي والحنبلى والزيدى ، لأنه المقدم من الإمام العباسي ، وكان أول من يصلى[٣] ؛ وأخيرًا فقد كان الخليفة العباسي هو الذى يقربنى شيبة وهى الأسرة التى توارثت سدانة الكعبة وحجابتها وحمل مفاتيحها منذ الجاهلية وبعد الإسلام[٤] ، على وظيفة سدانة الكعبة ويجدد تقليدهم كل عام[٥] .

أصبح السلطان الأيوبى منذ عهد صلاح الدين هو خادم الحرمين الشريفين :

وكما ورث صلاح الدين عن استاذه نور الدين زنكي ، السلطنة العامة ، ورسالته في توحيد الجبهة الإسلامية لجهاد الصليبيين ، عن طريق إحياء الخلافة العباسية ، ونصرة الدعوة السنية[٦] ، ورث عن أستاذه أيضًا مهمة الحجاج وتأمين طريق الحج .

---

(١) يقول ابن جبير يصف رسوم وصول الكسوة العباسية الجديدة للكعبة : وفي يوم السبت يوم النحر المذكور ، سبقت كسوة الكعبة المقدسة من محلة الأمير العراقى إلى مكة على أربعة جمال ، تقدمها القاضي الجديد بكسوة الخليفة السوادية والرايات على رأسة والطبول تهر وراءه وابن عم الشيبي .. معها ، فوضعت الكسوة على السطح المكرم أعلى الكعبة . فلما كان الثلاثاء الثالث عشر من الشهر المبارك المذكور ، اشتغل الشيبيون بأسبالها خضراء يانعة .. فى أعلاها رسم أحمر ، مكتوب فى الصفح الموجه إلى المقام الكريم ، حيث الباب المكرم ، وهو وجهها المبارك ، بعد البسملة : إن أول بيت وضع للناس ، الآية ، وفى سائر الصفحات اسم الخليفة والدعاء له ، وتحف بالرسم المذكور طرتان حمراوان ، بدوائر صفار وبيض ، فيها رسم بخط رقيق ، يتضمن آيات من القرآن ، وذكر الخليفة أيضًا .. أنظر ابن جبير : الرحلة ص ١٥٧ - ١٥٨ .

(٢) أنظر ابن جبير : الرحلة ص ٧٢ - ٧٤ ؛ وكانت هذه الرسوم العباسية الخاصة بالدعاء لبنى العباس على المنابر متبعة أيضًا فى مصر زمن صلاح الدين ، أنظر ابن جبير الرحلة ص ١٧ ، ٢٦ - ٢٧ ، ٢٩ ، وأنظر قبله وبعده .

(٣) أنظر ابن جبير : الرحلة ص ٧٨ - ٨٠ .

(٤) عن قصة بنى شيبة فى مفتاح الكعبة ، أنظر القلقشندى : نهاية الأرب رقم ٨٩٨ تاريخ تيمور ، دار الكتب ، ص ٣٠٨ - ٣٠٩ وأنظر : التذكرة التيمورية ص ٣٤٠ - ٣٤١ " الكعبة " .

(٥) أنظر ابن جبير : الرحلة ص ١٥٧ - ١٥٨ .

(٦) أنظر قبله وبعده .

فأمر في سنة ٥٧٢هـ / ١٧٧٦م ، بأبطال الغفارة ، التي كانت تؤخذ من الحاج بجده ، المسافرين عن طريق البحر الأحمر ، وعوض صاحب مكة في كل سنة ثمانية آلاف أردب قمح تحمل إليه في البحر ، ويحمل مثلها فتفرق في أهل المارستان بمكة ؛ كما أوقف على الحجاج وعلى الحرمين الأوقاف[١] ، وذلك للصرف على مؤنتهم إبان أداء الفريضة[٢] ؛ كما أقطع أمير مكة الإقطاعات بصعيد مصر وباليمن[٣] .

وأيضًا أوقف على أمير المدينة الأمير جماز وأولاده أوقافًا بصعيد مصر ، لم تذكرها المصادر الأيوبية ، وإن أكدتها وثائق المحكمة الشرعية ، المحفوظة اليوم بسجلات مصلحة الشهر

---

(١) أنظر سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان : ٨: ٣٣٨ .

(٢) أنظر ابن جبير : الرحلة ص ٣٠ - ٣١ و ص ٥٤ - ٥٥ حيث يقول موضحًا عسف أمراء مكة بالحجاج عند تأخر وصول رواتب صلاح الدين إليهم ، مما جعل فقهاء الأندلس يفتون أهل الأندلس والمغرب بسقوط أداء الفريضة عنهم : " وأكثر هذا الجهات الحجازية وسواها ، فرق وشيع لا دين لهم قد تفرقوا على مذاهب شتى . وهم يعتقدون في الحاج ما لا يعتقد في أهل الذمة ، قد صيروهم من أعظم غلاتهم التي يستغلونها : ينتهبونهم انتهابًا .. فالحاج معهم لا يزال في غرامة ومؤدنه إلى أن ييسر الله رجوعه إلى وطنه . ولولا ما تلافى الله به المسلمين في هذه الجهات بصلاح الدين ، لكانوا من الظلم في أمر لا ينادى وليده ولا يلين شديده . فإنه رفع ضرائب المكوس عن الحاج وجعل عوض ذلك مالاً وطعامًا يأمر بتوصيلهما إلى مكثر أمير مكة ، فمتى أبطأت عنهم تلك الوظيفة المترتبة لهم ، عاد هذا الأمير إلى ترويع الحاج ، وإظهار تثقيفهم بسبب المكوس . واتفق لنا من ذلك أن وصلنا جدة ، فأمسكنا بها خلال ما خوطب مكثر الأمير المذكور . فورد أمره أن يضمن الحاج بعضهم بعضًا ويدخلوا إلى حرم الله ، فإن ورد المال والطعام اللذان برسمه من قبل صلاح الدين وإلا فهو لا يترك ماله قبل الحاج ، هذا لفظه كأن حرم الله ميراث بيده محلل له إكتراؤه من الحاج فسبحان مغير السنن ومبدلها .. فمن يعتقد من فقهاء أهل الأندلس إسقاط هذه الفريضة عنهم فاعتقاده صحيح لهذا السبب . فراكب هذا السبيل راكب خطر .. والله قد أوجد الرخصة فيه على غير هذا الحال .

(٣) يقول ابن جبير : " والذى جعل له صلاح الدين بدلاً من مكس الحاج ، ألفا دينار اثنان ، وألفا أردب من القمح ، وهو نحو الثمانمائة مغيز بالكيل إلا شبيلى عندنا ، حاشا إقطاعات أقطعها بصعيد مصر وبجهة اليمن لهم بهذا الرسم المذكور . ولولا مغيب هذا السلطان العادل صلاح الدين بجهة الشام في حروب له هناك مع الإفرنج ، لما صدر عن هذا الأمير المذكور ما صدر في جهة الحاج " ، الرحلة ص ٥٥ ، س ١ - س ٥ .

العقارى[1] ؛ وقد شفع صلاح الدين ذلك برفع جميع المكوس - وهى ضرائب غير شرعية كانت تجبى من التجار[2] - عن الحجاج ، فسهل سبيل الحج ، بعد أن كاد ينقطع ، ولم يعد فى استطاعة الحجاج أداء فريضة الحج[3] .

---

(١) أنظر سجل محكمة الباب العالى ، وكان مقرها بالقرب من منطقة بيت القاضى بشارع بين القصرين ، ورقم السجل بمصلحة الشهر العقارى ٢٧٤ ، الوثيقة رقم ٦٦٨ ، صفحة ٣٧٣ وما بعدها بالسجل . والسجل يتضمن أحكام قاضى القضاة محمد أفندى ونائبه فى الحكم ، إسماعيل أفندى الناظر فى الأحكام الشرعية بمصر المحمية ، فى شهر ذى الحجة سنة ١١٨٣هـ . ومجمل القضية أن بعض أهل ناحية قفا ، و " الديسية " أو لعلها " الديسية " و " الطوابية " بالوجه القبلى ، وكانوا من أسرة شخص يدعى مجرم البططى ، قد أدعوا أن عميد عائلتهم البططى هذا شريفًا من ذرية الشريف جماز ، أمير المدينة المنورة ، واستندت عائلة البططى فى إدعائها على حجة نسب أى شجرة عائلة رق غزال أوصال (بمعنى قطع موصله بعض) مخيطة ، مسطرة من محكمة مكة المشرفة بالأقطار الحجازية مؤرخة بـ ٤ سفر سنة ٦٧٤هـ . وعلى هذا الأساس طالبوا باستحقاقهم حصة قدرها قيراطان إثنان من الرزقة (الرزقة : هى الأرض السواد الخصبة التى تأتى أكلها وتكون وقفًا) الطين السواد المعروفة بجماز ، التى عبرتها ٨٧٥ ، فدانا ، الكائنة بأرض ناحية قفا والديسية والطوابية ، بالوجه القبلى ، وأن المدعى عليهم واضعون أيديهم على هذه الأرض ، ولا يدفعون لهم كمستحقين عنها خراجًا . فلما سئل المدعى عليهم أجاب كل منهم : " بأن كامل الرزقة المذكورة موقوفة من قبل مولانا السلطان الملك المؤيد (كذا) المنصور (كذا) أبو الفتح (كذا)، صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب ، أمير المؤمنين (كذا) ؛ كان تغمده الله بالرحمة والرضوان أوقفه على السادة الأشراف الحسينية وعلى السادة الشراف الحسنية بمكة والمدينة ، وأنهم ومن يشركهم ، من الأشراف الحسينية والأشراف الحسنية، واضعون أيديهم على ذلك نسلاً بعد نسل من حين صدور الوقف فى ذلك ، من قبل مولانا السلطان المشار إليه أعلاه ، والولاية فى مدة تزيد على خمسمائة سنة ، سابقة على تاريخه . فحكم القاضى ببطلان الدعوة ، وبقاء الأرض الموقوفة فى يد أصحابها الواضعين أيديهم عليها لكونهم من ذرية الشريف جماز أمير المدينة . ومنطوق الحكم مؤرخ بـ ٤ جمادى الأولى سنة ١١٨٤هـ . وأحب هنا أن أشكر الأستاذ أحمد الحين ، خبير حجج الوقف وسجلات الشهر العقارى ، لأنه هو الذى دلنى على وجود هذه القضية ، كما أشكر الزميل الأخ عراقى يوسف مدرس التاريخ الحديث بأداب عين شمس ، الذى عرفنى على الأستاذ أحمد الحين .

(٢) أنظر بعده .

(٣) يقول ابن جبير : ومن مفاخر هذا السلطان (صلاح الدين) المزلفة من الله تعالى وأثاره التى أبقاها ذكرًا جميلاً للدين والدنيا : إزالة رسم المكس المضروب ، وظيفة على الحجاج ، مدة دولة العبيديين (الفاطميين) . فكان الحجاج يلاقون من الضغط فى استيدائها ، عنتًا مجحفًا ، ويسامون فيها خطة خسف باهظة ؛ وربما ورد منهم من الافضل لديه على نفقته ، أولاً نفقة عنده ، فيلزم أداء الضريبة المعلومة ، وكانت سبعة دنانير ونصف دينار من الدنانير المصرية التى هى خمسة عشر دينارًا مؤمنية على كل رأس ، ويعجز عن ذلك فيتناول بأليم العذاب .. هذا السلطان هذا الرسم اللعين ، وسهل السبيل للحجاج وكانت فى حيز الانقطاع وعدم الاستطلاع ، أنظر ابن جبير: الرحلة ص ٣٠ - ٣١ . ولقد أورد العماد الأصفهانى فصلاً كاملاً فى كتابة البرق الشامى ج ٣ لوحة ٧٣ أ - ٧٤ أ عنونه بـ ذكر ما استقطه السلطان من مكوس مكة شرفها الله تعالى عن الحجيج وتعويضه أميرها عنها بجلاب غلة تحمل إليه فى كل سنة ، وتعيين ضياع موقوفه عليها بالديار المصرية . وأنظر لوحة ٧٤ب وصف طريق الحجاج من مصر إلى جدة عبر البحر الأحمر وركوب الحجاج ؛ ثم يوضح العماد ورود أخبار عن اضطراب الأمور ببلاد الحجاز وأنه على صلاح الدين الاهتمام بالحجاز خاصة بعد استيلاء الصليبيين على بيت المقدس . وعن تفاصيل خاصة برفع المكوس عن الحجاج والإقطاعات والرواتب الخاصة التى رتبها صلاح الدين لأمراء الحجاز ، أنظر المقريزى السلوك ، ج ١ ص ٦٤ حوادث سنة ٥٧٢ هـ . وسنة ٥٧٧هـ ، كتب إلى قوص بإبطال المكوس التى تستادى من الحجاج وتجار اليمن ، أنظر المقريزى : السلوك ج ١ ص ٧٤ .

وكل هذه الأيادى البيضاء التى أسداها صلاح الدين ، لحجاج بيت الله الحرام ، جعلت من السلطان المصرى الأيوبى ، حامى حمى الحرمين الشريفين ، وهو مظهر من مظاهر الزعامة السياسية فى العالم الإسلامى كله ، نلمس خطورته فى تمنى الرحالة الأندلسى ابن جبير - وكان أغلب الظن أحد دعاة الدعوة الموحدية[1] التى تفرعت عن الدعوة الأشعرية[2] - ، بأن يكون هذا الشرف ؛ من نصيب سلطانه[3] ، الخليفة عبد المؤمن الموحدى[4] ؛ هذا رغم إعجابه المتناهى بصلاح الدين وإغرابه فى الدعاء له ، والإشارة بعد له لتأمينه طريق الحج ، كلما ورد ذكر اسمه عرضًا عند تدوينه لأخبار رحلته[5] ؛ وهو يقرر - رغم إدعائه أنه قد وجد أنصارًا للدعوة الموحدية المؤمنية فى مصر

---

(١) عن الدعوة الموحدية ، أنظر كتاب الفيلسوف المغربى المعاصر مالك بن نبى : وجهة العالم الإسلامى ؛ وهو يوضح كيف أن الدعوة الموحدية بالمغرب ، هى أصل الدعوة الموحدية بالجزيرة العربية التى أعلنها المصلح الدينى الإمام محمد بن عبد الوهاب ، ونشرتها الدولة السعودية الأولى فى مطلع القرن التاسع عشر ، وأطلق عليها الاستعمار الإنجليزى اسم الدعوة الوهابية ؛ وأنظر بعده .

(٢) أنظر قبله وبعده .

(٣) عن كون " الخليفة " ابن عبد المؤمن الموحدى سلطانًا فى حقيقة الأمر ، أنظر قبله وبعده .

(٤) حاول ابن جبير إظهار الفساد المذهبى لأهل الحجاز ، وتفرقهم فرق وشيع ، وارتكابهم المعاصى بإذلالهم حجاج البيت الحرام ؛ ثم أردف هذا بالتأكيد أن صلاح بلاد الحجاز ، مهد الإسلام ، لن يتم إلا بسيطرة الدعوة الموحدية ، وخلفاء بنى عبد المؤمن ، على هذه البلاد ؛ فيقول : فأحق بلاد الله بأن يطهرها السيف ، ويغسل أرجاسها وأدناسها بالدماء المسفوكة فى سبيل الله ، هذه البلاد الحجازية .. تلافاها الله عن قريب بتطهير يرفع هذه البدع المجحفة عن المسلمين ، بسيوف الموحدية أنصار الدين ، وحزب الله أولى الحق والصدق والدفاع عما حرم الله عز وجل ، والغائرين على محادمه ، والجادين فى إعلاء كلمته وإظهار دعوته ونصر ملته ، إنه على كل شىء قدير .. وليتحقق المتحقق ويعتقد الصحيح الاعتقاد أنه لا إسلام إلا ببلاد المغرب ، لأنهم على جادة واضحة ؛ ومن سوى ذلك ممن بهذه الجهات المشرقية ، فأهواء وبدع ، وفرق ضالة وشيع ، إلا من عصم الله عز وجل من أهلها ؛ كما أنه لا عدل ولا حق ولا دين على وجهة ، إلا عند الموحدين ، أعزهم الله ، فهم آخر ائمة العدل فى الزمان (أنظر ابن جبير : الرحلة ص ٥٥ - ٥٦) .

(٥) يقول ابن جبير بعد حديثه عن رفع صلاح الدين للمكوس عن الحجاج : وكفى الله المؤمنين على يدى هذا السلطان العادل ، حادثًا عظيمًا ، وخطبًا أليمًا ، فترتب الشكر له على كل من يعتقد من الناس ، أن حج البيت الحرام ، إحدى القواعد الخمس من الإسلام ، حتى يعم جميع الأفاق ، ويوجب الدعاء له فى كل صقع من الأصقاع وبقعة من البقاع ، والله من وراء مجازاة المحسنين ، وهو جلت قدرته ، لا يضيع أجر من أحسن عملاً .. (إذ) أزال هذا السلطان هذه البدع للعينة كلها ، وبسط العدل ، ونشر الأمن ، ابن جبير : الرحلة ص ٣١ س ١١ - ١٧ . حين تحدث ابن جبير عن إجحاف جباة الضرائب المصريين التابعين لصلاح الدين بالحجاج ، لأخذهم الزكاة عن أموال الحجاج التى لم يحل عليها الحول ، فلا تجب عليها الزكاة ، وذلك فى محطات الحجاج بمصر بالإسكندرية (أنظر ابن جبير : الرحلة ص ١٣ - ١٤ ، ص ١٦) ، وبلاد الصعيد كأخميم وقوص ومنية ابن الخصيب (أنظر ، نفسه ص ٣٨) وأكد ابن جبير أن صلاح الدين لا علم له بذلك ، وأنه لو علم به لعاقب مرتكبيه فيقول : وهذا أمر يقع القطع على أن صلاح الدين لا يعرفه . ولو عرفه لأمر بقطعه ، كما أمر بقطع ما هو أعظم منه ، والجاهد المتناول له ، فإن جهادهم من الواجبات ، لما يصدر عنهم من التعسف ، وعسير الإرهاق وسوء المعاملة ، مع غرباء انقطعوا إلى الله عز وجل ، وخرجوا مهاجرين إلى حرمه الأمين .. هذا السلطان العادل ، الذى قد شمل البلاد عدله ، وسار فى الأفاق ذكره .. والله الآخذ على أيدى هؤلاء الظلمة ، بيد هذا السلطان العادل ، وتوفيقه إن شاء الله ، (أنظر ابن جبير : الرحلة ص ٣٨ - ٣٩) .

والإسكندرية فى عصر صلاح الدين -[1] ، بأن الدعاء لصلاح الدين على منابر الحرمين بعد الخليفة العباسى وأمير مكة ، وتأمين جميع الحجيج على هذا الدعاء ، أقل واجب على المسلمين ، فى جميع الآفاق ، تجاه هذا السلطان العادل ، الذى أمن فريضة الحج[2] .

والواقع أن صلاح الدين لم يدخر وسعًا لاستمرار تأمين طريق الحج ، بحيث جعل هذا الأمر هجيراه ، بحيث دام على مكاتبة أمير مكة يوصيه برعاية الحجاج عند وصولهم إلى الحرم المكى[3] ؛ كما كاتب أمير برقة من قبله ، يوصيه بحماية الحجاج المغاربة والأندلسيين المارين بولايته[4] ، كذلك حرص على تبادل السفارات الودية مع أمير المدينة المنورة وتعظيم رسوله والاعتزاز بهداياه ، لكونها من قبل أمير المدينة النبوية الشريفة[5] .

وليس أدل على الأهمية العظمى لموسم الحج ، ، والهيمنة الروحية عليه بالنسبة للخلافة ، مما يخبرنا به مؤرخو صلاح الدين ، وكانوا من خواص رجاله ؛ أنه حين عزم للحج سنة ٥٩١ هـ /

---

(١) أنظر ابن جبير : الرحلة ، ص ٥٦ – ٥٧ وأنظر بعده .

(٢) يقول ابن جبير بعد ذكره لدعاء خطيب الحرم المكى لصلاح الدين : وعند ذكر صلاح الدين ، تخفق الألسنة بالتأمين عليه من كل مكان . وإذا أحب الله يومًا عبده إذا ألقى عليه محبة الناس ، وحق ذلك عليهم لما يبذله من جميل الاعتناء بهم ، وحسن النظر لهم ، ولما رفعه من وظائف المكوس عنهم (ابن جبير : الرحلة ص ٧٣ س ٢٠ – ٢٤) . ويقول بعد ذكره لدعاء خطيب زمزم لصلاح الدين ، أنه " ذى المآثر الشهيرة ، والمناقب الشريفة ، فإذا انتهى إلى ذكره بالدعاء ، ارتفعت أصوات الطائفين بالتأمين ، بالسنة تمدها القلوب الخالصة ، والنيات الصادقة . وتخفق الألسنة بذلك خفقًا ، يذيب القلوب خشوعًا ، لما وهب الله لهذا السلطان العادل ، من الثناء الجميل ، وألقى عليه من محبة الناس ، وعباد الله شهدائه فى أرضه " (ابن جبير : الرحلة ص ٨٠ س ٩ – س ١٤) .

(٣) يقول ابن جبير : أعلمنا بأن كتابه (صلاح الدين) ، وصل إلى الأمير مكثر ، وأهم فصوله ، التوصية بالحاج، والتأكيد فى مبرتهم وتأنيسهم ، ورفع أيدى الاعتداء عنهم ، وإلا يعاز فى ذلك إلى الخدام والاتباع . وقال : إنما نحن وأنت متقلبون فى بركة الحاج . فتأمل هذا المنزع الشريف ، والمقصد الكريم . وإحسان الله يتضاعف إلى من أحسن إلى عباده ، وأعتناؤه موصول لمن جعل همة الاعتناء بهم ، والله عز وجل كفيل بجزاء المحسنين (ابن جبير : الرحلة ص ٧٤ س ١ – س ٧) .

(٤) جاء فى نسخة تقليد بولاية برقة ، التى كانت على عهد صلاح الدين " قد انتظمت فى سلك أعمال المملكة الناصرية ، – أى الدولة الصلاحية – ، .... ؛ ووراع أمور التجار والحجاج ، مراعاة تشملهم فى السفر والإقامة ، وتحميهم من تطرق استهانة ، إلى أحد منهم واستضامة " ، أنظر القلقشندى : صبح الأعشى ج ١ ص ٥٩ – ٦١ ، وخاصة ص ٦١ س ٩ – س ١٠ .

(٥) أنظر ابن حجة الحموى : كتاب ثمرات الأوراق فى المحاضرات ، طبع بالقاهرة ، بهامش كتاب المستظرف من كل فن مستظرف للأبشيهى ، سنة ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م ص ٤٥ .

١١٩٤م ، أى قبل وفاته بعام واحد ، ـ وهو الذى يسر سبيل الحج لجميع المسلمين فى جميع أنحاء العالم الإسلامى ـ نصحه خواصه بضرورة اطلاع الخليفة أولاً على هذا العزم ، حتى لا يصل إليه الخبر عن طريق آخر ، فيظن بصلاح الدين الظنون[١] .

تهديد الفرنج الصليبيين لطريق الحج البرى لحجاج مصر والمغرب والأندلس :

ولعل أمراء الصليبيين ، قد أدركوا خطورة فريضة الحج ، كركن أساسى من أركان الإسلام ، يحقق للمسلمين الوحدة الروحية ، ويوثق بينهم روابط اجتماعية وفكرية ، كفيلة ولا ريب بتعضيد شعورهم بالولاء إلى أمة واحدة ، وكيان اجتماعى واحد ؛ فعمدوا أحياناً إلى مهاجمة قوافل الحج والتجارة المصرية ، المارة عبر صحراء سيناء ، فى طريق الحجاج الشهير ، ونهبها[٢] ؛ مما أدى إلى تعطيل الطريق البرى للحجاج ، الوافدين من الأندلس والمغرب ومصر ، واضطرارهم إلى سلوك طريق طويل يبدأ من الإسكندرية ، إلى الفسطاط ، إلى مدينة قوص بصعيد مصر ، ثم منها يخترق الحجاج صحراء عيذاب ، حتى يصلوا إلى ميناء عيذاب على البحر الأحمر ، ومنها يركبون السفن الصغيرة المعروفة بـ « الجلاب » حتى ميناء جدة ؛ وكانت هذه الرحلة طويلة شاقة عانى منها الحجاج الأمَرّين[٣] .

---

(١) العماد : الفتح القسى ص ٦١١ ، قال له خواصه : " لو كتبت إلى أمير المؤمنين ، وأعلمته بحجك .. حتى لا يظن بك أمر أنت منه برىء " ، والجدير بالذكر أن صلاح الدين كان ينوى أن يحج بجميع جنوده الذين يرغبون فى أداء الفريضة ، وذلك بعد أن وقع صلح الرملة ، وتم الصلح مع الصليبيين ، وأعطى العساكر الإسلامية دستورًا ، أى سمح لهم بالعودة إلى بلادهم . فيقول ابن شداد : وأشاع السلطان أمر الحج ، وقوى عزمه على براءة الذمة منه ، وكان هذا مما وقع لى ، وبدأت بالإشارة به فى يوم تتمه الصلح ، ووقع منه – رحمة الله عليه – موقعًا عظيمًا ، وأمر الديوان : " إن كل من عزم على الحج من العسكر ، يثبت اسمه ، حتى يحصر عدة من يدخل معنا فى الطريق ، وكتب جرائد بما يحتاج إليه فى الطريق من الخلع والأزواد وغير ذلك ، وسيرها إلى البلاد ليعدوها (ابن شداد : النوادر ص ٢٣٦ – ٢٣٧) ؛ ولكن الموت عاجل صلاح الدين قبل أن يتم أمنيته فى الحج إلى بيت الله الحرام " ، وأنظر العماد : الفتح ج ٣ لوحة ٧٥ حيث يورد فصلاً من إنشاء القاضى الفاضل عن عزم السلطان على الحج فى هذه السنة .

(٢) يذكر ابن واصل أن أول خروج لصلاح الدين من مصر إلى غزاة الفرنج السنة ٥٦٦ هـ ، كان حين وصله الخبر بخروج قافلة من دمشق فيها أهله ، فأشفق عليها ، وخاف عليهم من الفرنج ، فالتقى بالقافلة وخَفَرَهم إلى مصر . أنظر ابن واصل : مفرج الكروب ج ١ ص ١٩٨ . وقد ظل نهب الفرنج لقوافل الحج والتجارة ، حتى بعد انتصار حطين واسترداد بيت المقدس ٥٨٣هـ، فنسمع عن نهب الانكتار لقافلة مصرية سنة ٥٨٨هـ، أنظر ابن شداد : النوادر ص ٢١٣ – ٢١٥ ، سبط : مرآة ٨ : ٤١٥ إلى ٤١٦ .

(٣) أنظر ابن جبير : الرحلة ص ٣٨ – ٥٣ ، الذى يسمى ميناء عيذاب بـ (العذاب) ، وهو يذكر أن الركوب من جدة إليها " أفة للحجاج عظيمة " ، وهو ينصح الحجاج بعدم سلوك هذا الطريق عند العودة بل يرجعون صحبة أمير الحج العراقى ، ثم يذهبون إلى ميناء عكا على ساحل الشام ، ومنه يأخذون المراكب إلى المغرب والأندلس أو مصر . وأغلب الظن أن قطع الفرنج لطريق الحاج البرى عبر سيناء ، هو سبب عدم سماعنا عن أخبار الأمير الحج المصرى قبل استرداد صلاح الدين للقدس وحصنى الكرك والشوبك اللذين كانا يقطعان طريق الحج الشامى والمصرى .

وكان قطع الصليبيين لطريق الحج البرى عبر سيناء ، قد تم لهم بعد استيلائهم على حصن الكرك ؛ مما جعل استرداد هذا الحصن من أهم أهداف نور الدين زنكى[1] ، ثم صلاح الدين الأيوبى ، حين كان نائبه بمصر ، قبل استقلاله بالسلطنة ؛ لذلك عمد نور الدين إلى محاصرة الكرك حصارًا مزدوجًا من ناحية الشام ومن ناحية مصر فى نفس الوقت ، وكاد يتم له استرداده ، لولا نكوص صلاح الدين وعودته إلى مصر ، خشية أن يعزله نور الدين بعد وضوح نزعاته الاستقلالية بمصر[2] .

ولكن حين استقرت السلطنة لصلاح الدين ، جعل الكرك هدفًا لأول غزوة من مغازيه للفرنج ، ليصل طريق القوافل والتجارة عبر سيناء ، بين مصر والشام[3] ، ويؤمن طريق الحج المصرى البرى بعد انقطاعه .

---

(١) يذكر ابن الأثير أن حصار نور الدين زنكى لحصن الكرك سنة ٥٦٥هـ ، كان لحماية قافلة مسلحة خارجة من دمشق بها نجم الدين أيوب والد صلاح الدين ، ومعه عدد كبير من التجار ، وأهل صلاح الدين ، أنظر ابن الأثير : الباهر ص ١٤٤ ؛ ولعلها نفس القافلة التى خرج صلاح الدين لغفارتها ، أنظر قبله .

(٢) كان انسحاب صلاح الدين من أمام الشام ، وعودته إلى مصر قبل وصول نور الدين من الشام ، هو السبب المباشر لما عرف عند المؤرخين بـ" الوحشة بين نور الدين وصلاح الدين " ، أنظر ابن الأثير : الباهر ص ١٥٨ – ١٥٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج ١ ص ٢٢١ – ٢٢٣ .

(٣) كان ذلك سنة ٥٦٨هـ ، ويقول ابن شداد : وإنما بدأ بها لأنها كانت أقرب إليه ، وكانت فى الطريق تمنع من يقصد الديار المصرية ، وكان لا يمكن أن تصل قافلة حتى يخرج هو بنفسه يعبرها بلاد العدو ، فأراد توسيع الطريق وتسهيله لتتصل البلاد بعضها ببعض وتسهل على السابلة ؛ النوادر ص ٤٥ ، أنظر ابن واصل : مفرج، ج ١ ، ص ٢٢٤ . وفى سنة ٥٧٩هـ كرر صلاح الدين حصار الكرك هو من الشام وأخوه العادل من مصر بعد أن خرج مع العادل جمع غفير من التجار وغيرهم ، أنظر : النوادر ص ٦٣ . ثم كرر المحاولة مرة ثالثة ، أنظر أيضًا النوادر ص ٦٦ – ٦٨ حيث يقول عن الكرك : وكان على المسلمين منه ضرر عظيم ، فإنه كان يقطع عن قصد مصر ، بحيث كانت القوافل لا يمكنها الخروج إلا مع العساكر الجمة الغفيرة ؛ فاهتم السلطان بأمره ليكون الطريق سابلة إلى مصر ، ويسر الله ذلك ولله المنة ، وفى سنة ٥٨٣هـ خرج صلاح الدين من دمشق حين علم أن أرناط صاحب الكرك قد خرج برجاله لقطع الطريق على لواء الحج الشامى عند عودته إلى دمشق، العماد: الفتح ص ٥٨ – ٥٩ ؛ ويذكر ابن شداد أن صلاح الدين أقام بأرض الكرك حتى وصل الحاج الشامى إلى الشام ، وأمنوا غائلة العدو ، أنظر النوادر ص ٧٤ س ١١ – ١٢ . ولقد أوضح مؤرخو سيرة صلاح الدين أن موقعة حطين التى كانت إرهاصًا بفتح بيت المقدس كانت بسبب قطع أرناط لطريق الحج والتجارة مما جعل صلاح الدين يهدر دمه ، أنظر العماد : الفتح ص ٨٠ – ٨١ ، ابن شداد النوادر ص ٧٤ – ٧٩ . وبعد فتح بيت المقدس أعاد صلاح الدين حصار حصنى الكرك والشوبك سنة ٥٨٣هـ وذلك لقطع الفرنج طريق الحج كما صرح العماد ، أنظر الفتح ص ١٩١ ولقد استعصى هذين الحصنين على صلاح الدين حتى بعد فتح القدس ، العماد الفتح ص ٢٠٤ ، إلى أن استسلمت صاحبة الحصن لصلاح الدين ، العماد : الفتح ص ٢٠٥ – ٢٠٧ فتسلم الملك العادل نائب صلاح الدين بمصر هذا الحصن (العماد : الفتح ص ٢٢٦ – ٢٦٧) ؛ ولعل كون أول حملة بحرية للأسطول المصرى الأيوبى كانت سنة ٥٦٦هـ لتفتح قلعة أيلة على البحر الأحمر ، أنظر مفرج الكروب : ١: ١٩٩ ، كانت لتأمين طريق الحج والتجارة أيضًا .

ولاشك أن حملة أرناط البحرية على البحر الأحمر ومحاولتها الوصول إلى الأراضي الحجازية واختطاف جثمان النبي الكريم ، صلى الله عليه وسلم ، كانت على علم تام بأهمية حج المسلمين إلى الأراضي الحجازية ، وزيارة قبر رسولهم بالمدينة المنورة ؛ لذلك لم يقصر لؤلؤ قائد الأسطول المصري في أسر هؤلاء الفرنج ، وإدخالهم إلى القاهرة في هيئة مزرية ، وعلى صورة من الذلة والمهانة وصفها لنا ابن جبير؛ ثم أرسل لؤلؤ بعض هؤلاء الأسرى إلى المدينة المنورة ، حيث ذبحوا ذبح الإبل[1]؛ فلا غرو أن لقب صلاح الدين بـ « خادم الحرمين الشريفين »و « منقذ بيت المقدس من أيدى المشركين »[2] ؛ وليس أدل على الأهمية العظمى التي أولاها العالم الإسلامي ، لتأمين طريق الحجاج المسلمين إلى مكة ، وحرص الأيوبيين على إنجازها ، مما صرح به العماد الأصفهاني مؤرخ صلاح الدين ، من أن تأمين طريق الحج إلى مكة كان من أهم دوافع صلاح الدين ، لفتح بيت المقدس واسترداده من الصليبيين[3] .

الإشراف المباشر لملوك بني أيوب باليمن على موسم الحج، وعموم إشراف سلاطين بني أيوب بمصر ، على لواء الحج : الشامي ، والعراقي ، والمصري :

ولقد داوم ملوك بني أيوب ، على حماية طريق الحج وتأمينه ، وحماية لواء الحج العراقي ، الممثل لسيادة الخليفة الروحية على العالم الإسلامي ؛ وكان هذا عادة ما يكون من حظ أيوبيي اليمن ، وذلك حتى في حياة صلاح الدين ، فكان يخطب لهم بالحرمين ، بعد صلاح الدين سلطان مصر[4] .

ففي سنة ٥٨٢هـ / ١١٨٦ ، وصل سيف الإسلام طشتكين ملك اليمن الأيوبي بنفسه إلى الكعبة ، ليمنع الآذان الشيعي بها بـ « حي على خير العمل » ، وليمنع العبيد الموالين لأمير مكة الذين يأخذون الحجاج ؛ وطلب مفتاح الكعبة من أمير مكة ، ليكون هو الحامي للحرم المكي من الناحية الفعلية ؛ وذلك بعد أن حاول أمير مكة إغلاق باب الكعبة ، وإعطاء مفتاحه لسدنته من بني شيبة ، الذين ذكر الرسول ، أنه سيبقى في أيديهم إلى يوم الدين ، حتى يرغم طشتكين على العودة دون طلب مفتاح الكعبة ؛ فهدد طشتكين بأخذه قصراً ، وهنا أذعن أمير مكة ، وسلم المفتاح لطشتكين ، الذي سلمه بدوره لبني شيبة [5] .

---

(١) عن حملة لؤلؤ أنظر ابن واصل : مفرج الكروب ، ٢: ١٢٧ - ١٣٢ ، ابن جبير : الرحلة ص ٣٤ ، ص ٣٥ ، العماد : الفتح ص ١١٥ ، وأنظر ترجمته لؤلؤ عند العماد : الفتح ص ٣٤٠ - ٣٤١ .

(٢) ابن شداد : النوادر ص ٣ س ١٠ - س ١١ .

(٣) يقول العماد : أنا استفتحنا سنة ٥٨٤هـ ، بقمع أهل التثليث ، وكنا اشفقنا على طريق الحج ، من قصد الفرنج ، فشغلناهم عن القصد بقصدهم ، وتصلينا لجهادهم وبردهم عن المراد وصدهم . وأقمنا بظاهر بصرى مخيمين على سمت الكرك ، وقدمنا الطلائع إلى المناهل ، ونظمنا سلك إمدادهم في ذلك المسلك ، حتى وصل الحاج سالمًا ، وذل الكفر عن قصده راغمًا ، (العماد : الفتح ص ١٩١) .

(٤) أنظر ابن جبير : الرحلة ص ٨٠ ، وأنظر قبله .

(٥) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ٨: ٣٨٨ .

ولقد أكد ابن جبير فى وصفه لأدائه فريضة الحج ، أن أيوبى اليمن ، كانوا يشرفون إشرافًا مباشرًا على موسم الحج ، فيخلعون على أمير مكة ، وتفتح لهم الكعبة تشريفًا لهم فى غير موسم الحج ، ويعود ركب الحجاج المصريين، صحبة ملك اليمن الأيوبى ، طلبًا لحمايته فى طريق العودة(١) .

والواقع أن مكة كانت تابعة إداريًا تبعية مباشرة لملك اليمن الأيوبى(٢) ، شأنها شأن عدن(٣) ؛ ولعل فى إقدام المعظم تورانشاه - فاتح اليمن وأول ملوكها والأخ الأكبر لصلاح الدين - على الحج ؛ فكان أول من حج من بنى أيوب ، بعد توليهم الملك(٤) ؛ كان أول شعور من ملوك الأيوبيين باليمن ، نحو الطموح إلى شرف رعاية فريضة الحج .

وقد ظلت السيطرة السياسية على مكة تتأرجح بين أيوبيى اليمن وأيوبيى مصر ، فى حالات الصراع الأسرى بين هذين الفرعين من البيت الأيوبى(٥) ؛ ثم أصبح هذا التنافس على السيطرة على سدانة الكعبة وكسوتها والإشراف على موسم الحج بين أيوبى مصر من ناحية ، وبين الدولة الرسولية - وبنو رسول فى فى الأصل من مماليك أيوبى اليمن(٦) - ؛ فأحيانًا ما كانت ترجح كفة بنى أيوب ، وأحيانًا ما ترجع كفة الرسوليين(٧) .

ومنذ عهد صلاح الدين ، كان لواء الحج الشامى ، معضدًا للواء الحج العراقى ، حاميًا له ، والواقع أننا لم نسمع عن لواء الحج الشامى ، كلواء مستقل عن لواء الحج العراقى ، إلا منذ سنة ٥٧٥هـ / ١١٧٩ ،(٨) وكان أول من تولى إمارته ، رجل من رجال القلم - وليس من رجال السيف ، كما هو الحال دائمًا فى أمراء الحج سواء فى العصر الفاطمى(٩) ، أو العصر العباسى(١٠) - وهو الصفى

(١) ابن جبير : الرحلة ص ١٢٤ - ١٢٧ .
(٢) أنظر بعده .
(٣) ابن جبير : الرحلة ص ١٤٨ .
(٤) المقريزى : الذهب المسبوك ، ص ٧٠ - ٧٣ .
(٥) أنظر ابن الفوطى : الحوادث الجامعة ص ١٢ - ١٣ ، ص ٤٢ ، ص ١٢٣ - ١٢٤ ، المقريزى : الذهب المسبوك ص ٧٦ - ٧٩.
(٦) أنظر عن هذه الدولة بالتفصيل كتاب مؤرخهم الخزرجى : العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية ، طبع ليدن ١٩٠٦ - ١٩١٨ .
(٧) أنظر الشيال : مقدمة كتاب الذهب المسبوك للمقريزى ص ٢١، ابن الفوطى : الحوادث ص ١٢٢ - ١٢٤، المقريزى : الذهب المسبوك ص ٧٩ - ٨٠ ، ٨٤ - ٨٥ .
(٨) سبط : مرآة ، ٨: ٣٥٥ .
(٩) أنظر قبله .
(١٠) أنظر بعده .

بن القابض وزير صلاح الدين بالشام[١] ؛ ثم اسندت إلى سيف الدين المشطوب[٢] ، وهو أعظم أمـراء الأكراد فى الدولة الأيوبية ، وكان يعرف بـ « ملك الأكراد »[٣] ؛ ثم أسندت إمارة الحـج الشـامى[٤] بعد ذلك لكبار مماليك الدولة الصلاحية ثم العادلية ، ثم لكبار مماليك المعظم عيسى بن الملك العـادل ؛ ملك الشام الأيوبى ؛ وغالبًا ما كان هؤلاء المماليك من ولاة بلاد الشام من قبـل بنـى أيـوب ، الواقعة ولا يتهم فى طريق الحج الشامى[٥] ، وعادة ما كان لواء الحج الشـامى ، يلتحـق بلـواء الحـج العـراقـى وينضم إليه[٦] .

وكان أول تدخل حقيقى للواء الحج الشامى لحماية لواء الحج العراقى سنة ٦٠٨هـ / ١٢١١ التى حج فيها بالناس من العراق طشتكين مملوك الخليفة ، ومن الشـام ربيعـة خـاتون ، المعروفـة بسـت الشام أخت صلاح الدين ، وولدها حسام الدين لاجين ، وجماعة من المعتبرين[٧] ؛ إذ تعرض قتادة أمير مكـة ، لمحاولـة اغتيالـه ؛ علـى يـد رجـل مـن الحشيشـية الفداويـة ـ وهـم أنصـار الدعـوة النزاريـة الإسماعيلية[٨] ـ ؛ وأعتقد أمير مكة أن هذا الحشيشى ، كان يعمـل لحسـاب صـاحب آلمـوت ، الـذى كانت أمه فى رفقة أمير الحج العراقى ، أو لحساب أمير الحج العراقى نفسه ؛ لذلك أمر أتباعـه بمهاجمـة الحجاج العراقيين ، وقتلهم وأميرهم ، ونهب أموالهم وأمتعتهم ؛ فلجأ أمير الحج العراقـى ، إلى خيمـة ربيعة خاتون، التى أرسلت إلى أمير مكة تتوعده، وتذكره بقوة أولاد أخيها صلاح الدين ملوك الشام؛ ثم أرسلت ابن البـلاد ، أمير الحـج الشـامى ، الـذى كـرر هـذه التهديـدات ، مؤكـدًا أن بنـى أيـوب

---

(١) عن هذا الوزير وعن ظاهرة تعدد وزراء بنى أيوب منذ عصر صلاح الدين بمصر والشام ، أنظر بعده .
(٢) كان ذلك سنة ٥٧٦هـ ، أنظر سبط : مرآة ٨: ٣٦١ .
(٣) أنظر بعده ..
(٤) كانت بلاد الشام والعراق ومصر واليمن ، هى أهم مراكز تجمع الحجاج القادمين إلى بـلاد الحجاز مـن شـتى أرجاء بلاد العالم الإسلامى ؛ أنظر كتاب " منازل الحج " لمحب الدين محمد بن شمس الدين محمد بن العطـار؛ ذكره حاجى خليف (كشـف الظنـون ٢: ١٨٢٨) ، وسـماه منـازل الحـج ، فـى المنـازل التـى تلقـى الحـاج فى طريقه من اليمن والشام ومصر والعراق . نسخة كتبت فـى القـرن السـابع بخـط المؤلـف ، بمكتبـة لا لـه لى ٣٤٨٦/ ٢ ، ١٠ – ١٩ ق ، ومصورة بمعهد المخطوطات برقم ٥١٣ تارخ .
(٥) أنظر سبط : مرآة ٨: ٤٤٨ حـوادث سـنة ٥٩١هـ ، ص ٤٥٦ حـوادث سـنة ٥٩٤ و ٥٩٦ ص ٥٢٤ حوادث سنة ٦٠١ ، ص ٥٣٥ حـوادث سـنة ٦٠٤ ، ص ٥٣٩ حـوادث سـنة ٦٠٥ ، ص ٥٤١ – ٥٤٢ حوادث سنة ٦٠٦هـ ، ص ٦٠٦ حوادث سنة ٦١٦ هـ . ص ٧٤٩ حوادث سنة ٦٤٢هـ .
(٦) أنظر سبط : مرآة ٨: ٥٥٦ – ٥٥٧ .
(٧) نفس المصدر والصفحة ، وهذه هى ثانى حجة لربيعة خاتون رفقة لواء الحج العراقى ، لأنهـا حجـت مـن قبـل سنة ٥٨٢هـ ، أنظر سبط : مرآة ٨: ٣٨٩ .
(٨) أنظر قبله وبعده .

لن يترددوا فى إرسال العساكر من الشام لمحاربته ، فى نفس الوقت الذى سيرسل فيه الخليفة من قبله العساكر من العراق للاقتصاص منه ؛ فأسقط فى يد أمير مكة ، واكتفى حفظًا لماء وجهه ، بأخذ دية من أمير الحج العراقى ، ومن أم الكيا حسن صاحب الموت ، لاتهامه لهما بمحاولة قتله[1] .

ومرة أخرى حين حاول أمير مكة ، نهب لواء الحج العراقى سنة ٦١٧هـ / ١٢٢٠م ، خوفه خواص رجاله من انتقام الكامل والمعظم للخليفة ، فتراجع عن عزمه[2] .

أما لواء الحج المصرى ، فنحن لا نسمع عنه إلا سنة ٥٩١هـ / ١١٩٤م ، أى قبل وفاة صلاح الدين بسنة واحدة ، فحج بالناس من بغداد سنجر الناصرى ، ومن الشام قراسنقر وأيبك فطين الصلاحيان ، ومن مصر الشريف إسماعيل بن ثعلب الجعفرى من ولد جعفر بن أبى طالب[3] ؛ أى أن هذه الوظيفة أسندت لأمير من أشراف العرب المصريين ، من قبيلة بنى ثعلب ؛ وقد كان هذا الأمير من أثرياء الصعيد ، بحيث كان يفرق على الناس القمح الذى تجتلبه مراكبه فى أوقات المجاعات وغلاء الأسعار[4] ؛ وكان مقدمًا فى قبيلته ، التى كانت مع غيرها من قبائل عرب الحوف الشرقى والغربى للدلتا ، يستخدمون فى جيوش مصر الإسلامية ، كجند احتياطيين ، وذلك منذ العصر الطولونى ، وطوال العصر الفاطمى ، وحتى نهاية العصر الأيوبى[5] ؛ فوجد الأيوبيون فى جاهه

---

(١) سبط : مرآة ٨: ٥٦٦ - ٥٥٧ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج ٣ ص ٢١٠ - ٢١١ ؛ الغريب أن ابن واصل يقول أن المقصود بالخوارزمى ، الكيا حسن ، صاحب آلموت ، أهم معاقل الإسماعيلية النزارية بإيران ، ثم يذكر أنه فى هذه السنة قد تخلى عن العقيدة الإسماعيلية ، وأقام شعار الإسلام على المذهب السنى الشافعى ، وكتب إلى الخليفة والملوك يعلمهم ذلك ، وبعث والدته لتحج فأكرمت ببغداد ثم حجت. أنظر قبله .

(٢) أنظر سبط : مرآة ٨: ٦١١ ؛ والجدير بالذكر أن لواء الحج الشامى قد تولاه فى بعض السنين بعض الفقهاء والعلماء وبعض أمراء الأكراد ، وبعض أمراء الأتراك ، أنظر سبط : مرآة ٨: ٥١٠ ، ٥٢٦ ، ٥٣٥ ، ٥٤٦ . وإن ظل المماليك ، هم فى الغالب الذين يتولون هذا المنصب ؛ والطريف أننا نسمع فى سنة ٦٠٨هـ عن الحج من القدس ، مستقبلاً عن لواء الحج الشامى ، تحت إمارة الأمير الشجاع على بن ملار ، سبط : مرآة ٨: ٦٠٨ ؛ هذا وقد حاول أمير مكة فى سنتى ٦٠٧هـ ، ٦٠٨هـ ، نهب لواء الحج العراقى ؛ ولما لم يجد من ينجده من ملوك بنى أيوب ، نهب عن آخره ، وفر من مكة نواب الخليفة ، فبعث أمير مكة ولده إلى الخليفة يعتذر له ، فقبل عذره وعفا عنه . (أنظر المقريزى : السلوك ج ١ ص ١٧٤ ، ص ١٧٥ - ص ١٧٦؛ وعن حادثة أخرى نهب أمير مكة للواء الحج العراقى سنة ٦٥٣هـ ، أنظر ابن الفوطى : الحوادث ص ٣١١ - ٣١٢ ؛ هذا ويوجد نقش جنائزى بتاريخ ٦٥٠هـ خاص بأمير من أمراء الحج الشامى ، عثر عليه فى الصالحية بدمشق باسم الأمير جمال الدين بن الأمير الكبير زين الدين ، بن عضد الدين خالد ، " أمير الحاج والحرمين " أبى سعد قراجا الناصرى الصلاحى ، أنظر سوفاجية : الجامع Repentione للنقوش العربية ، ج ١١ ص ٢٣٤ رقم ٤٣٥٢ .

(٣) سبط : مرآة ، ٨: ٤٤٨ .

(٤) أنظر المقريزى : السلوك ١: ١٣٤ وهامش (٤) للدكتور مصطفى زيادة ، وأنظر بعده .

(٥) أنظر بعده .

وثراءه ، وفى قوة قبيلته وقبائل الأعراف المنتشرين في الحوف الشرقى للدلتا وصحراء سيناء[١] ، خير من يقوم بحماية الحجاج ؛ وقد لقب ابن ثعلب ـ على شاهد قبره ، فى مدفن الشرفاء الثعالبة ، الذى بقيت واجهته إلى اليوم ، وهى بمنطقة الإمام الشافعي ـ لقب بـ « أمير الحج والحرمين »[٢] .

ولاشك أن عدم وجود هذه الوظيفة بمصر أيام صلاح الدين ، مردة تعطل طريق الحج عبر سيناء ، قبل استرداد صلاح الدين للقدس والساحل ، وتوقيعه صلح الرملة ، مع ملوك أوربا ، وما تبقى من شرازم الصليبيين بساحل الشام[٣] ؛ لذلك كان حجاج الأندلس والمغرب ومصر ، يسلكون طريقًا طويلاً ، يبدأ بعد وصولهم إلى الإسكندرية بحرًا أو برًا ، من الإسكندرية إلى الفسطاط ، ثم إلى صعيد مصر بمحاذاة النيل ، حيث يستريحون بمدينة قوص ، التى أصبحت مركزًا تجاريًا وثقافيًا هامًا فى العصر الأيوبى ، لوفود الحجاج إليها من الأندلس والمغرب ، والتجار من اليمن والهند[٤] ؛ كما أصبحت مركزًا عسكريًا هامًا ، إذ أسند إلى واليها مهمة قيادة الأسطول المصرى فى البحر الأحمر[٥] .

فكان الحجاج يغادرون قوص ، قاطعين صحراء عيذاب ، حتى يصلوا إلى ثغر عيذاب ، حيث كانوا يعبرون من الشاطىء المصرى للبحر الأحمر ، حتى الشاطىء الحجازى ، ليرسوا فى ميناء جدة ، على مراكب صغيرة الحجم تعرف بالجلاب ، كان يشحنها أصحابها بالحجاج بعضهم فوق بعض لتحقيق أكبر ربح[٦] ؛ ولهذا نصح ابن جبير الحجاج ـ بعد أن عانى هو الأمرين فى عيذاب وسماها

---

(١) أنظر عباس عمار : شعب الشرقية (باللغة الفرنسية) ، القاهرة ، ١٩٤٨م وأنظر أيضًا نفس المؤلف ، عباس عمار : المدخل الشرقى لمصر (سيناء) القاهرة ١٩٤٦م ص ١٠٩ – ١١٥ .

(٢) هذا النص الجنائزى مؤرخ سنة ٦١٣هـ وهو باسم " أمير الحاج والحرمين " ، أبى الطاهر اسماعيل بن الشريف الأجل الأمير الكبير ، حصن الدين ثعلب بن يعقوب ابن مسلم أبى حميد الجعفرى الزينبى .. أنظر فان برشم : Conpus ج ١ ص ١٣٠ رقم ٣٧٨٨ . ولقد أفاد القلقشندى ، أن أمير الحج المصرى ، كان يكتب له تقليدًا من السلطان (بمعنى الخليفة أو وزير السيف المفوض عنه فى العصر الفاطمى ، أو السلطان الأيوبى) ، وذلك فى عصر الدولة الفاطمية وما تلاها ؛ أما فى عصره هو – عصر المماليك الجراكسة – فقد ترك هذا ورفض ، ولم يبق من يكتب له توقيع من ديوان الإنشاء سوى قاضى ركب الحاج ؛ وقد أورد القلقشندى نسخة هذا التوقيع ، أنظر صبح الأعشى ، ج ١٢ ص ٤٤٢ – ٤٤٣ ، وأهم ما فيه التوصية بمراعاة تطبيق الشريعة فى حالة إحرام الحجاج وتوضيح ما ينقضها ، ومراقبة ثبوت الأهلة التى تترتب مناسك وأحكام الحج عليها ، والحكم فى محظورات الإحرام .

(٣) أنظر بعده .

(٤) ابن جبير : الرحلة ص ٤٥ س ٩ .

(٥) أنظر بعده .

(٦) أنظر ابن جبير : الرحلة ص ٤٦ – ٤٨ .

بالعذاب - حجاج الأندلس والمغرب والإسكندرية ومصر ، بمصاحبة لواء الحج العراقي عند العودة ، والذهاب من العراق إلى ميناء عكا ، ثم أخذ سفينة بحرية ، إلى مصر أو المغرب أو الأندلس ، لتلافي العودة عن طريق ميناء عيذاب[١] .

على كل حال حج بالناس من مصر في سنة ٥٩٢هـ / ١١٩٥م الشريف ابن ثعلب[٢] ؛ ففي جمادى الأولى من هذه السنة نودى في القاهرة ومصر ، « بأن الشريف ابن ثعلب مقدم على الحاج ، فليتجهز أرباب النيات »[٣] ؛ وفي رابع عشر شوال خرج الشريف ابن ثعلب سائرًا بالحاج ، وخيم على سقاية ريدان[٤] - بمنطقة العباسية اليوم - وفي ثاني عشرين شوال رحل الحاج[٥] ، متخذًا طريقه المعهود الذى يبدأ من مدينة السويس ، مخترقًا صحراء سيناء[٦] .

وكان بعض ملوك البيت الأيوبي ، يتولون بأنفسهم نيابة عن سلطان مصر وظيفة إمارة لواء الحج المصرى ؛ ففي سنة ٦٢٠هـ ، « حج الملك الجواد والملك الفائز من القاهرة ؛ وقدما علم الخليفة على علم السلطان الكامل في طلوع عرفة »[٧] .

---

(١) نفس المصدر ص ٤٨ وعن كون عكا مركزًا تجاريًا في العصر الأيوبي ، أنظر ابن شداد : النوادر ص ٧٩ س ١٣ إذ يقول عنها " إنها كانت مظنة التجارة " .

(٢) المقريزي : السلوك ، ١: ١٣٩ .

(٣) نفس المصدر ، ١: ١٣٤ .

(٤) نفس المصدر ، ١: ١٣٧ وسقاية ريدان ، هي التي وقعت عندها معركة الريدانية بين طومان باى آخر سلاطين المماليك بمصر ، والسلطان سليم الأول العثماني التي قتل فيها طومانباى . وأصبحت مصر بعدها ولاية عثمانية ، أنظر هامش للدكتور زيادة على السلوك للمقريزي ، ١: ١٣٧ .

(٥) المقريزي : السلوك ، ج ١ ، ص ٢١٤ .

(٦) أنظر مصطفى عمار : سيناء أو المدخل الشرقي لمصر ، ص ٢٠ ، ص ٥٨ - ٦٠ .

وأنظر الجزيري : درر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المكرمة ، طبع السلفية بالقاهرة ١٣٨٤؛ وأنظر درر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المكرمة . تأليف عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم الأنصاري الجزيري الحنبلي . فرغ من تأليفه سنة ٩٦١هـ . ضمنها أخبار الحاج وإمرته والمنازل ، وكيفية الرحول والنزول والمناهل ، والإقامة والمناسك ، على مذهب الإمام ابن حنبل ، ورتب الحوادث فيه على السنين الهجرية . منه نسخة بقلم معتاد كتبت سنة ٩٩١هـ (بخط المؤلف) ، ٢٦٤ ورقة بالمكتبة الأزهرية ، برقم ٢٨٤٤تاريخ ، ومصورة بمعهد المخطوطات برقم ٦٥٦ تاريخ . وقد أفاد الأستاذ مصطفى عمار ، أن طريق الحجاج عبر سيناء الذى عرف بـ " درب الحاج " ، كان يبدأ من بركة الحاج أو بركة الحاج ، وهي قرية تقع في الشمال الشرقي للقاهرة ، ثم يمر بقلعة الحجرود في صحراء السويس، ثم يقطع هضبة التية، بمدينة " نخل " ثم يصل إلى العقبة ، ثم يأخذ طريقه صوب الجنوب الشرقي متجهًا إلى مكة .

(٧) المقريزي : السلوك ، ج ١ ، ص ٢١٤ .

زعامة أمير لواء الحج العراقي المفوض من الخليفة العباسي لموسم الحج ، ولجميع ألوية الحج الخاصة بالأمصار الإسلامية وسلاطين وملوك الإسلام :

والجدير بالملاحظة ، أنه مع وجود لواء للحج الأيوبي من الشام ، سمعنا عنه منذ سنة ٥٧٥هـ / ١١٧٩م[٢] ، حين كان صلاح الدين مستقرًا بالشام متخذًا من دمشق قاعدة لأعماله العسكرية ضد الصليبيين[٣] ، وآخر من اليمن سمعنا عنه منذ سنة ٥٨٢هـ / ١١٨٦[٤] ، وكان يرفع علم سلطان مصر[٥] ، وثالث من مصر سمعنا عنه منذ سنة ٥٩١هـ / ١١٩٤[٦] ، ورابع من الجزيرة الفراتية ، سمعنا عنه في سنة ٦٢٤هـ / ١٢٢٦م ، على عهد الملك الأشرف موسى بن العادل ، وكان يلحق بموكب الحج العراقي ؛ ولم تورد الحوليات من أخباره الأخبرا يتيمًا[٧] ، فإن لواء الحج العراقي، المرسل من قبل الخليفة ، كانت له الزعامة ، على جميع ألوية الحج الأخرى ، المرسلة من قبل الأيوبيين ، سواء من مصر أو الشام أو اليمن أو الجزيرة الفراتية .

فلم يكن من حق أحد من أمراء هذه الألوية ، رفع أي لواء ، غير لواء الخليفة ، على جبل عرفات[٨] ، حيث يجتمع جميع حجاج المسلمين من كافة أنحاء العالم . وذلك لأن وظيفة أمرة الحج ، عند أول ظهورها في الإسلام ، كان النبي يعهد بها إلى بعض كبار صحابته للحج بالناس بدلاً منه[٩] ؛ ولما كانت الخلافة ـ سواء الفاطمية أو العباسية ـ هي وارثة السلطة الزمنية والروحية للنبوة ، لكون الإسلام دين ودولة[١٠] ؛ فقد كان الخلفاء ينوبون عنهم أحد أمراء السيف ، لحماية الحجيج ومرافقتهم ، أثناء أداء فريضة الحج ، وذلك لأن الحج بالناس هو من مهام النبي في الأصل ؛ ثم أصبحت من مهام الخليفة من بعده .

---

(٢) أنظر سبط : مرآة ٨: ٣٥٥ وأنظر قبله .
(٣) أنظر بعده .
(٤) أنظر سبط : مرآة ٨: ٣٨٨ وأنظر قبله .
(٥) أنظر سبط : مرآة ٨: ٦٢٤ وأنظر قبله .
(٦) أنظر سبط : مرآة ٨: ٤٤٨ وأنظر قبله .
(٧) أنظر سبط : مرآة ، ٨: ٦٤٤ حيث يذكر أن ثقل هذه الركب كان ستمائة جمل ، ومعه خمسون هجين وأنه دخل بغداد والتحق بركب الحاج العراقي .
(٨) أنظر ابن شداد : النوادر ص ٨٥ ، سبط : مرآة ، ٨: ٦٢٤ ، أبو المحاسن : النجوم ٦: ١٠٥، وأنظر بعده.
(٩) أنظر حسن الباشا : الوظائف الإسلامية ، القاهرة ١٩٦٩ ، ١: ٢٠٢ - ٢٠٤ .
(١٠) محمود اللبابيدى : نظام الإسلام السياسي ، وعلاقة الدين بالدولة في هذا النظام ، مجلة رسالة الإسلام ، السنة الرابعة ، العدد الرابع ، محرم ١٣٧٢هـ / أكتوبر ١٩٥٢م ص ٣٧٦ - ٤٠٢ ، محمود شلتوت : من توجيهات الإسلام ، ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م ص ٥١٩ - ٥٣٦ ، محمود ضياء الدين الريس : النظريات السياسية الإسلامية ، القاهرة ١٩٥٧م ، ص ٢٩٠ - ٣١٠ .

ولكن نتيجة لوجود دولة القرامطة فى جنوب العراق والبحرين ، منذ مطلع القرن الرابع الهجرى[1] - وكانت فى أول الأمر تابعة للدعوة الفاطمية ثم انشقت عنها[2] - وقطعها لطريق الحج بين العراق والحجاز ؛ بل أقدم القرامطة على عمل متطرف ، إذ هاجموا مكة وسرقوا الحجر الأسود ، بهدف إظهار مدى عجز الخلافة العباسية عن حماية الكعبة[3] ؛ وأن اضطروا إلى ردّه ، استجابة لأمر الخليفة الفاطمى الذى استهجن هذا الأمر[4] ؛ فإن أحدًا من خلفاء بنى العباس ، لم يحج بعد عصر هارون الرشيد[5] .

كذلك فإن خشية خلفاء الفواطم من التعرض للاغتيال من قبل القرامطة المنشقين عن دعوتهم ، أو من قبل الخلافة العباسية وأنصار دعوتها ، التى قاسمتهم منصب الخلافة فى العالم الإسلامى ، وناصبتهم العداء السياسى ، كان السبب فى رأينا ، لعدم أداء أى خليفة من خلفاء الفاطميين لفريضة الحج[6] ؛ الأمر الذى جعل من وظيفة إمارة الحج فى العصر العباسى الثانى ، وطوال العصر الفاطمى ،

---

(١) أنظر محمد عبد الفتاح عليان : قرامطة العراق والبحرين ، طبع هيئة الكتاب ، القاهرة ، وعن ظهور دعوة القرامطة ، أنظر ابن الأثير : الكامل ٧: ٤٤٩ ، حوادث سنة ٢٧٨هـ ، وعن ابتداء أمرهم بالبحرين ، أنظر نفس المصدر ج ٧ ، ٤٩٣ - ٤٩٥ حوادث سنة ٢٨٦هـ وأنظر أخبارهم بالشام والعراق ، نفس المصدر ، ٧: ٥١١ - ٥١٣ حوادث سنة ٢٨٩هـ .

(٢) أنظر عارف تامر : الإسماعيلية والقرامطة ، مقال بمجلة المشرق ، سنة ١٩٥٩ ج ٤ ، ٥ .

(٣) نسمع لأول مرة عن قطع القرامطة الطريق أمام قافلة الحج العراقية التابعة للخليفة العباسى سنة ٢٩٤هـ . أنظر ابن الأثير : الكامل ٧: ٥٤٨ - ٥٥٠ ، وكانت المحاولة الثانية سنة ٣١٢هـ ، عند مهاجمة القرامطة للكوفة . نفس المصدر ٨: ١٥٥ ، وفى سنة ٣١٧هـ ، سار القرامطة إلى مكة ، وأخذوا الحجر الأسود ، ابن الأثير ، نفس المصدر ٨: ٢٠٧ - ٢٠٨ .

(٤) ماجد : ظهور الخلافة ص ١١٢ - ١١٣ .

(٥) الجدير بالالتفات أن المؤرخ الشيعى اليعقوبى ، هو أول من لاحظ أن أحدًا من الخلفاء لم يحج بالناس بنفسه بعد وفاة الخليفة هارون الرشيد ، فقد عقد اليعقوبى فصلاً فى تاريخه ذكر فيه من أقام الحج فى عهد الرشيد ، وذكر أن آخر حجة حجها الرشيد بنفسه كانت سنة ١٨٨هـ ثم قال : وهى آخر حجة حجها ولم يحج بعده خليفة ، أنظر أحمد بن أبى يعقوب المعروف بأبى واضح الأخبارى ت ٢٩٢هـ : تاريخ اليعقوبى ، طبع النجف بالعراق سنة ١٣٥٨هـ ج ٣ ص ١٦٠ - ١٦١ .

(٦) وذلك للأهمية الكبرى لمنصب الخلافة ، بالنسبة للفكر السياسى الإسماعيلى ، أنظر قبله ، لكون الخلافة وراثيه فى نسل على وفاطمة ، فقد لا يتوفر هذا الانتساب العلوى الفاطمى فى أحد حين وفاة الخليفة ، وعدم وجود أبناء له ، مما يُعرض أركان الدولة والخلافة الفاطمية كلها للتقود بمجرد موت الخليفة ، لاقتران طاعة العالم الإسلامى والرعية بمصر ، والدولة الفاطمية ، بطاعة الخليفة ، أنظر الشيال : مقدمة الذهب المسبوك ص ١٠ - ١٤ وهو يقول أنه لا يجد تفسيرًا لعدم حج أحد من الخلفاء الفاطميين ، وقد تجرأنا فأبدينا هذا الرأى الذى أثبتناه فى المتن ، والله أعلم بالصواب .

وظيفة فى غاية الأهمية ، وذلك لخوف كل من خلفاء بنى العباس وخلفاء الفاطميين ، للخروج بأنفسهم ، على رأس لواء الحج للحج بالناس .

وللأهمية الكبرى ، لوظيفة إمارة الحج العراقى ، كان الخليفة العباسى عادة ما يعهد بها ، إلى أحد كبراء أمراء المماليك من خواصه وترابيه[1] ، ويخلع عليه قبل رحيله بالحاج خلعه سنية[2] ؛ كما تعود الخلفاء أن يقطعوا من يتولى إمارة الحاج ، بعض المدن الواقعة على طريق الحج العراقى إلى الحجاز ، مثل الكوفة[3] أو الحلة[4] ؛ وتفيد تراجم هؤلاء المماليك ، أن أغلبهم قد عرف عنه الورع، والنزوع الصوفى ، وإيقاف الأموال عن سعة لإقامة العمائر الدينية والخيرية[5] ؛ كما كانوا متفقهين فى الشريعة الإسلامية ، حتى عمل بعضهم - تواضعًا منه وتقربًا إلى الله فى نهاية حياته - كاتبًا لأحد القضاه ، الذين اشتهروا بالتقى والورع والعدل فى الأحكام[6] .

---

(١) ينص سبط ابن الجوزى مثلاً أن الذى حج بالناس سنة ٥٨٩هـ ، قطب الدين سنجر " مملوك الخليفة " ، أنظر مرآة ، ٨: ٤٢٢ - ٤٢٣ ، وهو ينسب إلى أستاذه الخليفة كعادة المماليك فى أسمائهم فيسميه " سنجر الناصرى " أنظر مرآة ٨: ٤٤٨، كذلك فإن أسماء جميع أمراء الحج العراقى ، تؤكد أنهم كانوا من المماليك. وأغلبهم من مماليك الخليفة نفسه ، مثل يمن ابن عبد الله المستظهرى ، أنظر سبط : مرآة ، ٨: ٦٣ ، ونظر الخادم بنفس المصدر ٨: ٩٨، وقيمار الأرجوانى ، نفس المصدر ٨: ١٩٦ ، وطاشتكين بن عبد الله التسترى، نفس المصدر ٨: ٥٢٧ . وأقباش الناصرى ، نفس المصدر ٨: ٦١٠ . وأنظر ترجمته نظر الخادم نفس المصدر ٨: ٢٠٥ ، وقيماز نفس المصدر ٨: ٢٣٤ ، وترجمته طاشتكين ، نفس المصدر ٨: ٥٢٧ ، وترجمة سنجر ، نفس المصدر ٨: ٥٦٨ - ٥٦٩ . وفى رأينا أن وظيفة إمارة الحج من أهم الوظائف التى أدت إلى ارتفاع مكانة المماليك ، مما أدى إلى وصولهم لوظيفة السلطنة ذاتها ، أنظر بعده ، والجدير بالملاحظة أن إمارة الحج كانت أحيانًا يتوارثها أبناء المماليك عن آبائهم أو ينوب فيها الإبن عن أبيه ، أنظر سبط : مرآة ٨: ٥٤٦ .

(٢) أنظر ابن الفوطى : الحوادث ص ٢٥ ، ص ١٦٦ . الذى يقول : " وشرف فى الموضع الذى جرت عادة أمير الحج أن يشرف فيه .

(٣) أنظر سبط : مرآة ٨: ٥٥٦ ، ابن الفوطى : الحوادث ص ٢٢٧ ، أبو المحاسن : النجوم ٦: ٢٠٣ .

(٤) سبط : مرآة ٨: ٥٢٧ وعن كون مدينتى الكوفة والحلة واقعتين على بداية طريق الحج العراقى ومن محطاته ، أنظر ابن جبير : الرحلة ص ١٨١ - ١٩٣ .

(٥) أنظر أعلاه هامش (٢) .

(٦) أنظر سبط : مرآة ٨: ٥٣١ .

وكان أمير الحج العراقى ، يلقب بأمير الحج والحرمين[١] ، وذلك لأنه كان يستصحب معه التقليد الخليفى لأمير مكة والمدينة أو لأولياء عهدهما فى كل عام[٢] ؛ لذلك فإن موكب خروجه للحج كان موكبًا عظيمًا ، « مثل موكب الملوك »[٣] ، تصاحبه البوقات (النفير) والكوسات (الطبول) ، كى تضرب عند الرحيل ، أو عند مغادرة أى منزلة أو محطة على طول الطريق ، لتنبيه الحجاج ، وعلى رأسه الأعلام[٤] ؛ ويتقدم الموكب « المهد »[٥] وهو ما عرف بمصر بالمحمل ، وكان عبارة عن حجرة خشبية فارغة ، مكشوفة السطح ، قريبة الشبه بالهودج ، توضع فوق ظهر جمل ضخم أعد لهذه المهمة ؛ وكان « المهد » ، كما سمى فى العراق ، أو المحمل كما سمى بمصر ، يعد فى أول الأمر لركوب بعض الأميرات أو الملكات اللائى خرجن لأداء الفريضة ؛ أما فيما بعد ، فقد أصبح رمزًا لسلطة الخليفة أو السلطان المماليكى[٦] .

وبطبيعة الحال ، كانت المهمة الأولى لأمير الحج ، هى حماية الحجاج فى أنفسهم وأموالهم ، فكانت تصحبه حامية رمزية مسلحة عددها خمسمائة فارس[٧] ؛ وكانت سلطته على الحجاج قريبة الشبه جدًا بالسلطات الممنوحة فى يومنا هذا لقواد السفن المدنية ، بحيث كانت له السلطة القضائية أيضًا ، وربما رافقه قاضٍ[٨] ؛ بالإضافة إلى مراقبته التزام الحجاج بشعائر الإحرام ، وصحة أداءهم لمناسك الحج[٩] .

ويخبرنا ابن جبير بمعلومة هامة تؤكد تزعم أمير الحج العراقى ، لموسم الحج كله ، وهى أن ثبوت رؤية الهلال ، لإعلان بداية موسم الحج ، كانت لا تعلن بمكة ، إلا عند وصول أمير الحج العراقى ،

---

(١) أنظر سبط : مرآة ٨: ٥٢٧ وإيراده لقب أمير الحج على هذا النحو " أمير الحج والحرمين " ، أو إمرة الحج والحرمين ، أنظر سبط : مرآة ٨: ٦١١ ، يؤكد ما تشكك فيه الدكتور حسن الباشا من اقتران اللقبين ، أنظر حسن الباشا : الوظائف الإسلامية ، دار النهضة العربية ١٩٦٥ ج ١ ص ٢٠٤ .

(٢) أنظر سبط : مرآة ٨: ٥٢٤ ، ٦١١ .

(٣) سبط : مرآة ٨: ٥٢٧ .

(٤) نفس المصدر ٨: ٦٣ ، ابن جبير : الرحلة ص ١٦٣ - ١٦٤ .

(٥) سبط : مرآة ٨: ٥٢٨ - ٥٢٩ .

(٦) أنظر : Jomier: Le Mahmed .

(٧) سبط : مرآة ٨: ٥٦٨ - ٥٦٩ .

(٨) أنظر قبله عن الحديث عن لواء الحج الفاطمى ، وأغلب الظن هذا ينسحب أيضًا على لواء الحج العباسى .

(٩) أنظر قبله أيضًا عند الحديث عن لواء الحج الفاطمى .

وإعلانه بنفسه هذه البشارة العظيمة[١] ، التى على أساساها يبدأ المسلمون الوافدون الذين أتو عن بكرة أبيهم من جميع أرجاء العالم الإسلامى فى تأدية مناسك الحج . ويوم الوقوف بعرفة ، كان أمير الحج العراقى ، هو الوحيد من أمراء الحاج الوافدين من كافة أقطار دار الإسلام ، الذى يرفع علم الخليفة[٢] ؛ وكانت خيامه فوق عرفات تتصف بالعظمة والفخامة[٣] ، وحولها يضرب الحجاج المصاحبين له ، وغيرهم خيامهم ؛ وبعد رمى الجمرات ، كان يتولى بنفسه كسوة الكعبة بكسوتها الجديدة[٤] .

وعادة ما كان يصطحب أمير الحج العراقى معه فى قافلته ، حجاجًا من قبل سلاطين العجم (الخوارزمشاهات ومن الخراسانيين)[٥] ، وملوك الموصل الزنكيين ، وملوك بنى أيوب بالجزيرة الفراتية وأرمنية[٦] ؛ وكان أغلب الحجاج ، قبل اتصال طريق لواء الحج المصرى حتى المغاربة والأندلسيين ، يعودون برفقة أمير الحج العراقى ؛ ليتفرقوا من بلاد العراق والشام ، عائدين إلى بلادهم[٧] .

والجدير بالملاحظة أن أمراء الحج العراقى ، كانوا يتولون هذا المنصب ، لسنوات طويلة متوالية ؛ قد تتجاوز أحيانًا العشرين عامًا[٨] ؛ وليس أدل على أهمية هذا المنصب بالنسبة للخلافة العباسية

---

(١) ابن جبير : الرحلة ص ١٤٩ س ٥ – س ١٥ .

(٢) أنظر ابن شداد : النوادر ص ٨٥ ، أبو المحاسن : النجوم ٦: ١٠٥ ، سبط : مرآة ٨: ٦٢٤ وأنظر بعده ، ويفيد ابن جبير أن أمير الحج العراقى ، كان يترأس المسلمين عند الوقوف بعرفة ، ويضرب ابنية فوق جبل الرحمة فى استقبال القبلة ، وكان حوله جملة من جنده الدارعين ، أنظر الرحلة ص ١٥٢ – ١٥٣ .

(٣) يقول ابن جبير : وكانت محلة هذا الأمير العراقى جميلة المنظر .. رائعة المضارب والأبنية ، عجيبة القباب والأروقة ، على هيئات لم ير أبدع منها منظر ، أنظر الرحلة ص ١٥٣ – ١٥٥ .

(٤) ابن جبير : الرحلة ص ١٥٧ – ١٥٨ وأنظر قبله .

(٥) ابن جبير : الرحلة ص ١٥٣ – ١٥٥ ، ص ١٥٨ – ١٦٠ ، ص ١٦٣ – ١٦٤ .

(٦) كان هؤلاء الحجاج فى الغالب ، من النساء العقائل المعروفات بالخواتين ومن بنات الأمراء ، أنظر ابن جبير : الرحلة ص ١٥٣ – ١٥٥ ، وكانت فيهم ابنة الملك مسعود ملك الدروب والأرمن ، وأم صاحب الموصل سليل البيت الزنكى ، وابنة صاحب أصبهان من بلاد خراسان ، أنظر الرحلة ص ١٦١ – ١٦٢ .

(٧)ابن جبير : الرحلة ص ٤٨ وأنظر قبله .

(٨) حج نظر الخادم ، أمير الحج ، نيفا وعشرين حجة أميرًا . أنظر سبط : مرآة ٨: ٢٠٥ ، أما قيمار الأرجوانىفقد حج بالناس عشر سنين ، نفس المصدر ٨: ٢٣٤ . ونجد هذا الأمر أيضًا عن بعض أمراء الحج الشامى فى العصر الأيوبى ، إذ حج الشجاع على بن أقش ابن السلار ، أمير الحج ، بالناس نيفا وعشرين حجة ، وكان المعظم يحبه ويحترمه ويعتمد عليه ، سبط : مرآة ٨: ٧٠٢ .

من ذكر بعض من ترجم لخلفاء بنى العباس لأميرى الحج اللذين حجا بالناس فى عصره الطويل[1] ؛ وحين كانت أم الخليفة ، تخرج للحج مع قافلة الحجاج ، كان الخليفة يخرج بنفسه لوداع الموكب حتى الكوفة ثم يعود[2] ، وأحيانًا ما كان الخليفة يخرج لوداع أمير الحج ، إكرامًا لذات أميره وإظهارًا لإعزازه له[3] . وكانت وفاة أمير الحج ، أو عدم عودته مع قافلة الحجاج ، لأى سبب من الأسباب ، يعد أمرًا شديد الخطورة ، بحيث كان موكب الحاج يدخل إلى بغداد ليلاً ، وتلغى رسوم الاحتفال الخاصة باستقباله ، وكان الأمر يصل بالحجاج إلى حد البكاء ، فى حين كان الخليفة يظهر الحزن الشديد[4] لهذا الخطب الجلل .

فلا ريب أن أصبح لأمير الحج العراقى ، مكانة سياسية ضخمة ، فى العالم الإسلامى ؛ لذلك حين وشى بعضهم إلى الخليفة بأن أمير حجه يكاتب صلاح الدين الأيوبى سرًا ، سارع إلى عزله والقبض عليه ، ثم ما لبس أن أطلق سراحه ، بعد ان تأكد من براءة ساحته[5] ؛ كذلك حين وقعت وحشة بين الخليفة العباسى ، وأمير حجه المعروف بوجه السبع ، ترك قافلة الحجاج ، ولجأ إلى الملك العادل أبو بكر وأولاده بالشام ، كلاجئ سياسى ، فأكرموا وفادته ، وأنزلوه لديهم معززًا مكرمًا[6] ؛ وأيضًا حين اختلف أمير حاج آخر مع الخليفة العباسى ، لجأ إلى الملك الكامل بمصر ، فاحتفى به ، وجعله مقدمًا على أمراء دولته[7] .

وثمة إشارات أوردتها المصادر ، تفيد حدوث أزمات دبلوماسية ، بين الخلافة العباسية ، والسلطنة الأيوبية ، سببها العرف السائد ، وهو تفرد أمير الحج العراقى ، برفع لواء الخليفة العباسى يوم الوقوف بعرفة ؛ ففى سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م ، حين كان صلاح الدين فى ذروة مجده الحربى ، أراد ابن المقدم ، أحد كبار أمراء الدولة الصلاحية ، رفع علم صلاح الدين ، يوم وقفة عرفات ، فمنعه

---

(١) ذكر سبط ابن الجوزى فى ترجمة الخليفة المقتفى بالله ، أنه " حج فى أيامه نظر الخادم" وقيماز الأرجوانى ، أنظر مرآة ٨: ٢٣٥ .

(٢) ابن الفوطى : الحوادث ص ١٨٧ - ١٨٨ ، ص ١٩١ (٤) سنة ٥٥٠ خرج الخليفة المقتفى لوداع الحاج ، فبلغ الكوفة ، وخرق أسواقها وعاد إلى بغداد أنظر سبط : مرآة ٨: ٢٢٤ .

(٣) سبط : مرآة ، ص

(٤) نفس المصدر ؛ راجع ما تقدم .

(٥) نفس المصدر ؛ راجع ما تقدم .

(٦) نفس المصدر ؛ راجع ما تقدم .

(٧) نفس المصدر ؛ راجع ما تقدم .

طشتكين أمير الحج العراقي ، وقال : « لا يرفع هنا سوى علم الخليفة » ، فقال ابن المقدم « والسلطان مملوك الخليفة » ، ولكن مماليك طشتكين ، نكسوا علم صلاح الدين ، فأقتتل الطرفان وقتل ابن المقدم. فأرسل الخليفة يعتذر إلى السلطان ، على أساس أن أميره كان الباغي ، فلم يقبل صلاح الدين ، ولم يرد على سفارة الخليفة[1] .

كذلك كادت تحدث أزمة دبلوماسية أخرى بين السلطنة الأيوبية والخلافة العباسية في عهد السلطان الكامل ، بسبب هوج ابنه الأقسيس صاحب اليمن ، الذى حج سنة ٦١٩هـ / ١٢٢٢م ، فلما كان يوم عرفة منع أعلام الخليفة التقدم على أعلام أبيه[2] ؛ ولقد وصف سبط ابن الجوزى هذا العمل بأنها جرأة كبيرة أظهرها الأقسيس ، وعلل هذا المسلك بأنه كان مختل العقل[3] .

ومع تسليم سلاطين بنى أيوب ، بهيمنة الخليفة على موسم الحج ، وحرصهم على تأكيد هذه الفكرة ؛ تذكر بعض المصادر ، خبرًا فى غاية الخطورة والأهمية - إذا صح - ، وهو أن كسوة الكعبة ، كانت ترسل فى العصر الأيوبى من مصر ، وأن أول من أرسلها من ملوك بنى أيوب صلاح الدين نفسه ، وكانت إذا أكملت حزمت وأرسل بها إلى مكة ، من غير أن يراها أحد ، حتى أحدث بيبرس الطواف بها فى القاهرة[4] ؛ كذلك أسند صلاح الدين ، مهمة تفويز الحجاج إلى الحجاز ، إلا أدلاء

---

(١) أنظر ابن شداد : النوادر ص ٨٥ ، أبو المحاسن : النجوم ٦: ١٠٥ ، العماد : الفتح القسى ص ١٨٨ - ١٨٩ ، وأنظر عن تفاصيل وافية عند ابن واصل : مفرج ج ٢ ، ص ٢٥٠ - ٢٥٢ .

(٢) المقريزى : الذهب المسبوك ص ٧٧ .

(٣) سبط : مرآة ٨: ٦٢٤ ، وأنظر ابن واصل : مفرج ج ٤: ١٢٤ - ١٢٥ .

(٤) أورد هذه المعلومة الفريدة ، العلامة أحمد تيمور باشا ، فى كتابه التذكرة التيمورية ص ٣٤٣ ، مادة الكعبة (كسوتها) . نقلاً عن كتاب ذخيرة الأعلام ، وهى منظومة فى التاريخ القمرى . وقد ذكرت المصادر أن الخليفة الناصر لدين الله العباسى ، هو أول من كسا الكعبة السواد . وأنظر الكتاب الجامع اللطيف لابن ظهيره ، رقم ١٤٢٩، تاريخ تيمور ، ص ١٠٤ - ١٠٩ ، أحمد تيمور : التذكرة التيمورية ص ٣٤٢ ، وأنظر أبو شامة : الروضتين ، طبع بولاق ٢: ١٦٠ . ولقد رأى ابن جبير هذه الكسوة ووصفها أنظر الرحلة ٦٠ - ٦١ ، ٩٦ - ٧٠ ؛ وأنظر قبله فربما كانت الكسوة تصنع فى مصر فى دار الكسوة الفاطمية القديمة ، القاهرة أو تنيس - قبل خرابها - أو شطا . عنها أنظر المقريزى : الخطط ، طبعة بولاق ج ١ ص ١٨١ و ٢٢٦ ، والتذكرة التيمورية ص ٣٤٦ ، ولكن بشعار السواد العباسى وباسم الخليفة العباسى وترسل من مصر سرًا ؛ أو لعل الكسوة ، كانت فى العصر الأيوبى تصنع بالقلعة مقر سلاطين بنى أيوب ، إذ ذكر الرحالة النابلسى ، (القرن ٧هـ) أن حياكة كسوة الكعبة كانت تتم بالقلعة . أنظر رحلة النابلسى المسماة : الحقيقة والمجاز بين مكة والحجاز مخطوط ٧٣٢ تاريخ تيمور بدار الكتب المصرية ورقة ٣٦٠ وأنظر أحمد تيمور : التذكرة التيمورية ص ٣٤٣ .

من قبيلة عرب النمراكر ؛ وقد ظل هذا الأمر كما رتبه صلاح الدين طوال العصر الأيوبى ، وحتى العصر المماليكى أيضًا[1] .

كذلك أظهر سلاطين الأيوبيين ، اهتمامًا كبيرًا ، بترتيب القومة والخدام للحرمين ، ووقف الأوقاف لهذا الغرض . فتذكر بعض المصادر أن صلاح الدين ، كان أول من رتب الخصيان لخدمة الحرم النبوى ؛ وهو أمر استمر طوال العصر الأيوبى ، حتى العصر المماليكى[2] .

ومما يؤكد اهتمام سلاطين بنى أيوب بموسم الحج ، ما ذكره مؤرخو سيرة صلاح الدين ، من استحداثه رسومًا خاصة باستقبال موكب الحج الشامى ، وذلك خلال إقامته بدمشق ، فكان صلاح الدين يركب ركوبًا عسكريًا ، مرتديًا الزى العسكرى الكامل ، ويخرج فى احتفال عام ، يقطع به شوارع دمشق ، سالكًا طرقًا محددة[3] ، وهو أمر قريب الشبه بطواف المحمل بمصر منذ عهد بيبرس إلى ما بعد قيام ثورة ١٩٥٢ ، سالكًا أيضًا طرقًا محددة ، ليتسنى للنظارة متابعة الاحتفالات ؛ كذلك

---

(١) أنظر القلقشندى : نهاية الأرب ٨٩٦ تاريخ تيمورية بدار الكتب المصرية ص ١٤٨ ، أحمد تيمور : التذكرة التيمورية ص ١٣٣ مادة " الحج " .

(٢) أنظر ابن أياس : بدائع الزهور ج ١ ص ٧٢ ، رقم ٩١ تاريخ تيمور بدار الكتب المصرية ، أحمد تيمور التذكرة التيمورية ص ١٤٤ .

(٣) أنظر ابن شداد : النوادر ص ٢٤٢ - ٢٤٣ ، وأنظر أيضًا هذه الرسوم عند ابن واصل : مفرج ج ٢ ص ٤١٤ - ٤١٦ وفيه : ولما لقى السلطان الحج ، استعبرت عيناه ، كيف فاته الحج وسألهم عن أحوال مكة وأميرها وحال الخصب بها . وكم وصلهم من غلات مصر وصدقاتها ، والفقراء المجاورين له ، ورواتبهم وإداراتهم ، وسر بسلامة الحج ؛ وهذا النص يفيد أن صدقة القمح التى كانت ترتب للحجاج من مصر منذ العصر العباسى الأول وحتى العصر العثمانى ، أنظر بعده ، قد ظلت مستمرة فى عصر صلاح الدين ، وخلفائه سلاطين بنى أيوب . ولعل مما يؤكد الأهمية التى أظهرها الملوك والسلاطين فى ذلك الوقت نحو رعايتهم طريق الحج ، ما ذكر المنشىء النسوى ، مؤرخ سيرة جلال الدين منكبرتى ، آخر سلاطين الدولة الخوارزمية ، أن سبب الوحشة بينه وبين الخليفة العباسى ، التى جعلته يفكر تفكيرًا جديًا فى تحقيق حلم أبيه فى قصد بغداد والتحكم فى الخليفة ، وإقامة سلطنة بغداد فى أسرته على مشاكله السلطنة السلوجوقية ، أن الخليفة العباسى ، قدم سبيل صاحب بلاد الموت أمام الإسماعيلية ، على سبيل سلطان خوارزم ، الذى رتبه فى طريق مكة لسقاية الحجيج. أنظر النسوى : سيرة جلال الدين منكيرنى ، ص ٥١ . ويذكر ابن واصل ، أن مظفر الدين كوكبرى ، الذى كان يعد نفسه سلطانًا مستقلاً عن بنى أيوب ، تابعًا تبعيه مباشرة للخليفة العباسى ، بعد نزاعه مع أولاد الملك العادل الأيوبى الأكبر ، أنظر قبله ، أعتنى بتأمين فريضة الحج ، فيقول ابن واصل : وكان يقيم فى كل سنة سبيلاً للحاج ، ويسير مع السبيل جميع ما تدعو حاجة المسافر إليه فى الطريق ، ويسير صحبته أمينا معه خمسة أو ستة آلاف دينار ، لينفق بالحرمين على المحاويج وأصحاب الرواتب؛ وله بمكة حرسها الله تعال ، آثار جميلة وبعضها باق إلى الآن ، وهو أول من أجرى الماء إلى جبل عرفات ليلة الوقوف وغرم عليه جملة كثيرة ، وعمر بالجبل مصانع للماء وبنى تربة هناك . (ابن واصل : مفرج ج ٥ ص ٥٦ - ٥٧) .

نلاحظ عناية سلاطين بنى أيوب ، بعد وفاة صلاح الدين ، وحتى عصر شجرة الدر القصير ، بشق طرق جديدة عبر صحراء سيناء ، وتعبيدها ، لتسهيل سبل قوافل الحج والتجارة[1] .

وإذا كان المؤرخون قد لاحظوا ، أن أحدًا من سلاطين مصر الأيوبية ، لم يحج بنفسه ، لانشغالهم الدائم بجهاد الصليبيين[2] ؛ فقد حج من أيوبى اليمن الملك المعظم شمس الدولة تورانشاه ، أخو صلاح الدين ، وفاتح اليمن ، وأول ملوكها[3] ؛ ثم الملك المسعود المعروف باقسيس ، ابن الملك الكامل سلطان مصر[4] ، وحج من أيوبى الشام ، الملك المعظم عيسى ، ابن العادل أبى بكر ، صاحب دمشق ؛ والملك الناصر داود بن المعظم عيسى صاحب الكرك[5] .

انقطاع طريق لواء الحج العراقى بسبب تحرك المغول من آسيا الوسطى صوب العراق :

وليس أدل على اقتران حماية ورعاية فريضة الحج فى تاريخ الإسلام ، باستقرار أحوال الخلافة الإسلامية أو ما يساندها ، وأعنى وظيفة السلطنة العامة ؛ من تعطيل موسم الحج ، نتيجة لانقطاع طريق لواء الحج العراقى ، سنوات متتالية ، منذ سنة ٦٣٤هـ / ١٢٣٦[6] ، بسبب تحرك المغول ،

(١) أنظر عباس مصطفى عمار : المدخل الشرقى لمصر ، أهمية شبه جزيرة سيناء كطريس للمواصلات ومعبر للموجات البشرية ، القاهرة ١٩٤٦ ص ١٠٩ - ١١٥ ، وقال ابن واصل فى ترجمته للسلطان الملك الكامل: وبلغ من هيبته ، أن الرمل الذى بين العريش وديار مصر ، كان يمر به الإنسان وحده ومعه الذهب الكثير ، أو الجماعة اليسيرة ومعهم الأحمال من القماش ، فلا يخافون سارقًا ولا قاطع طريق .. ، (ابن واصل : مفرج ج ٥ ص ١٥٧) .

(٢) الشيال : مقدمة الذهب المسبوك للمقريزى ص ١٥ ، ولقد ذكر مؤرخو صلاح الدين ، أنه كان قد عزم على الحج ، بعد توقيعه الهدنة مع الفرنج ، ولكنه تخوف من نقض الفرنج للهدنة ، لو عرفوا بأنه قد ترك الشام إلى الأراضى الحجازية ، أنظر ابن شداد : النوادر ص ٢٣٧ س ٧ ، ص ٢٣٩ س ٨ ، وأنظر ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ٤٠٨ ، الذى يذكر أنه كان قد كاتب أخاه العادل بمصر ، وأخاه صاحب اليمن ، يخبرهما بغرضه على الحج . وقد علق ابن شداد على عدم استطاعة صلاح الدين الحج بقوله ص ٢٣٩ س ٨ : وانقطع شوقه إلى الحج ، وكان من أكبر المصالح التى فاتته ، ولقد تعرض ابن شداد فى الفصل الأول من كتابه النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، وهو فى سيرة صلاح الدين ، إلى حرصه على أداء جميع أركان وفرائض الإسلام من صلاة وصيام وزكاة ، وحين تعرض لفريضة الحج قال ابن شداد : أما الحج فإنه لم يزل عازمًا عليه ، وناويًا له ، بينما فى العام الذى توفى فيه ، فإنه صمم العزم عليه ، وأمر بالتأهب ، وعملت الروادة ، ولم يبق إلا المسير ، باعتناق عن ذلك بسبب ضيق الوقت وفراغ اليد عما يليق بأمثاله ، فأخره إلى العام المستقبل ، فقضى الله ما قضى ، وهذا شيء اشترك فى العلم به الخاص والعام . راجع النوادر السلطانية ، ص ١٧ - ٣٤ .

(٣) المقريزى : الذهب المسبوك ص ٧٠ - ٧٣ .

(٤) نفس المصدر ص ٧٦ - ٧٩ .

(٥) نفس المصدر ص ٧٣ - ٧٦ .

(٦) نفس المصدر ص ٨١ - ٨٤ .

وانشغال الخليفة في بغداد ، وملوك بني أيوب بالشام والجزيرة الفراتية ومصر ، بجمع العساكر لمواجهته ، مما جرأ البدو في بادية الشام والحجاز على نهب ركب الحجاج[1] ؛ فلا غرو أن اقترنت صحوة الموت ، التي بعثها الخليفة المستعصم بالله العباسي ، آخر الخلفاء العباسيين ببغداد ، في دماء الخلافة العباسية ؛ بالاهتمام بأمور الحج سنة ٦٤٠ هـ / ١٢٤٢م ، من تأمين طرقه ، وتوكيل إمارته لأمير كفء شجاع ، جدير بتحمل تبعاته ، وتكليفه بإخضاع أمير مكة ، ثم عمارة الأسبلة التي أنشأها من قبل خلفاء بني العباس في طريق الحج ، لسقاية الحجيج ، وتعيين السبلدارية المخصصين لحفظها ورعايتها ، إلى جانب إصلاح الآبار بطريق الحج[2] .

إلا أن غارات التتار ، ما لبثت أن اشتدت ، وأصبحت تهدد عاصمة الخلافة نفسها ، بل استطاعت أن توجه للأمة الإسلامية كلها ، طعنة كادت تكون قاتلة - لولا لطف الله بالإسلام والمسلمين ، ونهوض المماليك لإحياء الخلافة وحماية الإسلام[3] - وذلك بإسقاط الخلافة العباسية وقتل الخليفة المستعصم بالله سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨ ، فصار الناس بغير خليفة إلى سنة ٦٥٩هـ / ١٢٦٠م إذ أقيم في تلك السنة خليفة عباسي بمصر[4] ، الأمر الذي أدى إلى تعطيل أداء فريضة الحج من العراق تمامًا من سنة ٦٥٥هـ / ١٢٥٧م إلى سنة ٦٦٦هـ / ١٢٦٧م[5] . ولكن حج ملك اليمن الرسولي - والملوك الرسولين هم مماليك بني أيوب باليمن كما تقدم القول - الملك المظفر شمس الدين بن رسول سنة ٦٥٩هـ / ١٢٦٠م ، وغسل الكعبة بنفسه ، وطيبها وكساها من داخلها وخارجها ، فكان أول من كسى الكعبة من الملوك ، بعد قتل الخليفة المستعصم ببغداد ؛ وعلى هذا النحو ؛ قام الملك المظفر بمصالح الحرم وأهله ، وخُطب له بمكة ، واستمر يخطب له بعده لملوك اليمن الرسوليين على منبر مكة ، إلى عصر المقريزي (القرن الـ ٩ هـ) ، بعد الخطبة لسلطان مصر[6] .

---

(١) نسمع عن تهديد الأعراب لقافلة الحج العراقي منذ سنة ٦٢٦هـ ، فكانوا يقطعون طريق الحاج ، ويطلبون رسوم الخفارة ، مما ألزم الخلافة دفع هذه الرسوم من الديوان (أنظر ابن الفوطي : الحوادث ص ٦ - ٧) ونسمع سنة ٦٣١هـ أنهم كانوا يطمون الآبار ، مما أضطر الحجاج للرجوع ، حتى تحقق فوات الحج (نفس المصدر ٦٠ - ٦٦) ، وفي السنة التالية سنة ٦٣٢هـ منعوا الحج أيضًا (نفسه ص ٩٠) ؛ ولكن الهجمات المغولية التي وصلت أطراف بلاد العراق سنة ٦٣٨، هي التي أدت إلى تعطل ركب الحج العراقي (ص ١٤٦) وما لبس أن انقطع تمامًا سنة ٦٤٣ (ص ٢٠٨) وسنة ٦٤٤ (ص ٢١٥) وسنة ٦٤٧ (ص ٢٤٥) ؛ ولم يستطع لواء الحج العراقي الحج مرة أخرى إلا سنة ٦٥٣هـ (ص ٣١١ - ٣١٢) .

(٢) يفيد ابن الفوطي أن الخليفة المستعصم ، عاد إلى الاهتمام بأمور الحج سنة ٦٤٠هـ ، وكان منقطعًا من سنة ٦٣٤هـ ، عن مظاهر هذا الاهتمام ، أنظر بالتفصيل ابن الفوطي : الحوادث ص ١٦٣ - ١٦٤ ، ص ١٦٦، ص ١٧٣ - ١٧٥ .

(٣) أنظر قبله وبعده .

(٤) المقريزي : السلوك ١: ٢٢ .

(٥) ابن الفوطي : الحوادث ص ٣٥٨ ، المقريزي : الذهب المسبوك ص ٨٤ س ٧ - ٨ .

(٦) المقريزي : الذهب المسبوك ، ص ٨٤ .

مداومة سلاطين بنى أيوب ، وسلاطين المماليك من بعدهم ، على إرسال كسوة الكعبة من مصر ؛ وكان السلطان المماليكى الظاهر بيبرس ، بعد نقله لمقر الخلافة العباسية إلى القاهرة ، هو أول من أدار محمل الكسوة الشريفة بمصر ؛ وصيرورة سلاطين الأيوبيين ، ومنّ بعدهم سلاطين المماليك وسلاطين العثمانيين ، حماة الحرمين الشريفين والقبلتين :

ويرى الشيال ، أنه كان هناك نزاع خفى دائم ، بين ملوك اليمن الرسولين ، وبين ملوك الأيوبيين أولاً ، وسلاطين المماليك ثانيًا فى مصر ، حول السيطرة على الأراضى المقدسة بالحجاز ، ومظهر ذلك رغبتهم فى أن يخطب لهم على منابر مكة ، وسعيهم أن يكسوا هم الكعبة[1] ، خاصة وقد استن السلطان المملوكى الظاهر بيبرس سياسة محنكة ، تجاه السيطرة على موسم الحج ، فتعمد إدارة محمل الكسوة الشريفة بمصر ، قبل إرساله إلى مكة فكان أول من استحدث هذا الرسم من سلاطين المماليك[2] ، الأمر الذى تعمد إخفاءه - فيما يبدو - ملوك بنى أيوب ، منذ عصر صلاح الدين ؛ رغم أن الكسوة كانت تصنع بمصر[3] ، وذلك إجلالاً للخليفة ، ولاستكمال مظاهر سيادته على موسم الحج .

فحج السلطان بيبرس بنفسه سنة ٦٦٨هـ / ١٢٦٨م ، ورتب أموالاً سنوية لأمير مكة ، عوضًا عما يؤخذ بمكة من المكوس عن الحجاج ؛ كما اشترط على أميرى مكة والمدينة ، أن يخطب له بمكة والمشاعر ، وتضرب السكة باسمه ؛ وكتب التقليد ، لأميرى مكة والمدينة من قبله ، وسلم أوقاف الحرم بمصر والشام لنوابهما ، وأنعم على الطواشية خدام الحجرة الشريفة[4] ، الذين كان صلاح الدين أول من رتبهم[5] .

وهنا نلاحظ أن سياسة بيبرس لرعاية الحرمين الشريفين ، مستمدة من سياسة نور الدين زنكى ، ثم صلاح الدين الأيوبى[6] ، فبعد أداء بيبرس لفريضة الحج ، غسل الكعبة بيده بماء الورد ، وعلق كسوتها بنفسه ومعه خواص رجاله[7] ؛ ومن هذه السنة ، أصبح محمل الحج المصرى ، رمزًا لسلطة

(١) الشيال : مقدمة كتاب الذهب المسبوك للمقريزى ص ٢١ . وأنظر عن علاقات بنى رسول بالخلافة العباسية ابن الفوطى : الحوادث ص ١٢٢ وأنظر عن محاولة بنى رسول الاستيلاء على مكة ، بعد موت الملك الأقسيس بن الملك الكامل ، صاحب اليمن الأيوبى ، ونجاحهم فى طرد نواب الملك الكامل من مكة ، أنظر ابن الفوطى: الحوادث الجامعة ص ١٢٣ - ١٢٤ ، وأنظر تفاصيل اشتباك مسلح كاد يقع بين عساكر الملك الصالح نجم الدين أيوب سلطان مصر ، وعساكر الملك المنصور نور الدين بن رسول ملك اليمن سنة ٦٤٠ هـ ، داخل مكة إبان موسم الحج (أنظر المقريزى : السلوك ج ١ ص ٣١٢) ولعل هذا الخبر ما يفسر الحملة البحرية التى أرسلها الصالح نجم الدين أيوب إلى اليمن سنة ٦٣٨هـ (المقريزى ، ١ : ٣٠٦) .

(٢) الشيال : نفس المصدر ص ١١ .

(٣) أنظر قبله .

(٤) المقريزى : الذهب المسبوك ص ٨٧ - ٨٩ .

(٥) أنظر قبله .

(٦) أنظر قبله .

(٧) المقريزى : الذهب المسبوك ص ٩١ .

سلطان مصر ، وحمايته للحرمين الشريفين ، وبسط نفوذه الروحى والزمنى ، على كافة أنحاء العالم الإسلامى ، فى كل مدينة ينزل بها المحمل ، على طول الطريق من القاهرة إلى مكة[1] .

فلا غرو أن اتخذ بيبرس ، بعد نقله للخلافة العباسية إلى مصر ، ألقابًا لم يتخذها من قبله ، سلاطين البويهيين أو السلاجقة أو حتى أساتذته بنو أيوب : فتلقب بـ « سلطان الإسلام والمسلمين » . وهو لقب جديد ظهر بعد أن هوت الخلافة العباسية ببغداد سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م ، وأصبح السلطان المملوكى بمصر ، هو الزعيم الحقيقى للعالم الإسلامى ، كما تلقب بـ « صاحب القبلتين » ، أى الكعبة والمسجد الأقصى ، و « خادم الحرمين الشريفين » أى الحرمين المكى والمدنى ، وهو لقب اتخذه من قبل صلاح الدين[2] ، « والآمر ببيعة الخليفتين » ، أى الخليفة المستنصر العباسى ، ثم الحاكم بأمر الله العباسى ، وكلاهما بويع بمصر على التوالى ؛ وأخيرًا توج الظاهر بيبرس هذه الألقاب ، بلقب « قسيم أمير المؤمنين »[3] .

وظل لقب « حامى حمى الحرمين الشريفين » أهم الألقاب التى يتفاخر بها سلاطين المماليك ، ويتطاولون به على كافة سلاطين الإسلام المعاصرين لهم ، بحيث جعلهم هذا اللقب ، بالإضافة إلى تربعهم على عرش مصر ، أعظم ملوك الإسلام بملاحظة مؤرخهم ابن إياس[4] ؛ وكان ميراث العثمانين لهذا اللقب ، عن سلاطين المماليك المصريين ، إلى جانب أصطحاب الخليفة العباسى المصرى إلى استانبول ، من أهم الأسباب التى شجعت سلاطين بنى عثمان ، على إعلان قيام خلافتهم[5] .

وقد حرص السلطان سليم العثمانى ، فاتح مصر ، على أن يحى تقليد إرسال صدقة القمح إلى الحرمين من مصر[6] ، إشعارًا وتأكيدًا بأنه أصبح حامى حمى الحرمين الشريفين ؛ وكانت صدقة

---

(١) أنظر : Jomier: Le Mahmed وهو فصل بعنوان " المحمل وسياسة بيبرس " ،

(٢) أنظر قبله .

(٣) أنظر دراسة وافية لهذه الألقاب وغيرها من ألقاب السلطان الظاهر بيبرس فى مقال محمد عبد العزيز مرزوق : جامع الظاهر بيبرس البندقدارى : المجلة التاريخية المصرية المجلد الثالث ، العدد الأول ، مايو سنة ١٩٥٠ ، ص ٩١ - ١٠٢ .

(٤) ابن إياس : بدائع الزهور ٥: ٢٠٦ .

(٥) أنظر قبله .

(٦) أنظر كتاب السناء الباهر رقم ٢٠٣٣ تاريخ تيمور بدار الكتب ص ٢٢٤ ، وكتاب الإعلام لقطب الدين رقم ١٢٣٩ تاريخ تيمور بدار الكتب ص ٣٣٢ ، وكتاب نزهة الجليس رقم ٩٤ أدب - تيمور بدار الكتب المصرية ج ١ ص ١٧٦ ، وأنظر أحمد تيمور : التذكرة التيمورية ص ١٣١ - ١٣٢ ، مادة " الحجاز " .

الحرمين من القمح ، ترسل من مصر أيضًا منذ العصر العباسي الأول ، وكان أول من قررها البرامكة[1] ، وهم من وزراء بني العباس ، واستمرت في عصر صلاح الدين وخلفائه من سلاطين بني أيوب[2] .

ويستلفتنا هنا ، أن الخطبة للخليفة العباسي السني ، على منابر الحرمين ، قد استمرت منذ عصر نور الدين زنكي[3] ، وطوال العصر الأيوبي منذ عصر صلاح الدين[4] ، كما استمر يخطب لخلفاء بني العباس السنيين ، حتى بعد انتقال الخلافة العباسية إلى القاهرة في العصر المماليكي[5] ، وإن تخللت هذه الفترة ، التي استمرت قرابة ثلاثة قرون ، شهور وجيزة ، أذّن فيها أمراء مكة بالآذان الشيعي « حي على خير العمل »[6] كنوع من المشاغبة السياسية لخلفاء بني العباس ببغداد وسلاطين بني أيوب بمصر ، تذكرة بالسيادة الفاطمية على الحرمين ، إذ كان أمراء مكة على المذهب الشيعي الزيدي[7] ، أو مجاملة لائمة اليمن الزيدية كما حدث سنة ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م[8] . وقد كان للائمة الزيدية دولة مستقلة بصعده بشمال اليمن ، منذ القرن الرابع الهجري ، ولم يستطع الأيوبيون في اليمن القضاء عليها[9] .

---

(١) أنظر الجهشياري : رقم ٢٢٤٤ تاريخ تيمور بدار الكتب المصرية ص ٢١١ - ٢١٢ ، وأنظر أحمد تيمور : التذكرة التيمورية ص ١٣١ .

(٢) أنظر قبله ، وأغلب الظن أن العثمانيين ، ورثوا إرسال صدقة القمح من مصر إلى مكة عن المماليك .

(٣) المقريزي : الذهب المسبوك ص ٦٩ .

(٤) أنظر ابن جبير : الرحلة ص ٧٣ ، المقريزي : الذهب المسبوك ص ٧٠ - ٧٩ ، ٨١ - ٨٣ .

(٥) أنظر المقريزي : الذهب المسبوك ص ٦١ - ٦٢ ، ٨٥ - ٩٥ ، ٩٥ - ١٠٩ .

(٦) سبط : مرآة ٨: ٣٨٨ .

(٧) يقول ابن جبير : وللحرم أربعة أئمة سنية ، وإمام خامس لفرقة تسمى الزيدية ، وأشراف أهل هذه البلدة على مذهبهم ، وهم يزيدون في الأذان : حي على خير العمل ، أثر قول المؤذن حي على الفلاح ، وهم روافض سبابون ، والله من وراء حسابهم وجزائهم ، ولا يجمعون مع الناس (أى أنهم لا يصلون صلاة يوم الجمعة) إنما يصلون ظهرًا أربعًا ، ويصلون المغرب ، بعد فراغ الأئمة من صلاتها (أنظر الرحلة ص ٧٨ س ١٥ - ١٩) .

(٨) أنظر ابن الفوطي : الحوادث ص ٢٥٣ ، وليس صدفة ولا ريب ، أن أمراء مكة الزيدية ، لم يجرؤا على إظهار ميلهم لأئمة اليمن الزيدية ، وترتيب أمام بالحرم يؤذنه بالشعار الشيعي " حي على خير العمل " إلا في سنة ٦٤٨هـ ، وهى التي أصبح فيها زوال ملك بني أيوب من مصر ، أمرًا أكيد الوقوع .

(٩) أنظر محمد عبد الله ماضي ، دولة ائمة اليمن الزيدية ، مقال بمجلة الجمعية التاريخية المصرية ، المجلد٣، ج ١، ١٩٥٠م ، ص ١٥ - ٣٥ ، وأنظر أيمن فؤاد : المذاهب الدينية باليمن في القرن الرابع الهجري ، رسالة ماجستير جامعة القاهرة ١٩٨٠ تحت إشراف الدكتور حسن محمود .

ويبدو أن الأيوبيين قد اكتفوا إقرارًا للأمور ، نتيجة للبعد التاريخى المرتبط بحكم الأئمة الزيدية باليمن ، وشدة حماسة اليمنين للمذهب الزيدى ، بأن يخطب أئمة الزيدية باليمن للخليفة العباسى السنى ، ويعترفون بخلافته[1] .

أما الخليفة العثمانى السنى ، فقد ظل يخطب له بالحرمين ، اربعة قرون ، حتى سقوط الخلافة العثمانية فى مطلع القرن العشرين[2] ، بمعنى أن الخلافة السنية ، بعد سقوط الخلافة الفاطمية بمصر سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م ، قد دعى لها على الحرمين طوال سبعة قرون ، بدأت بالعصر الأيوبى ، وانتهت بالعصر العثمانى ، وهو مظهر من أهم مظاهر غلبة الدعوة السنية على العالم الإسلامى ، منذ ظهور حركة الأحياء السلجوقى[3] .

حاز السلطان الأيوبى إذًا منذ عصر صلاح الدين ، شرف حماية فريضة الحج والإشراف على الحرمين الشريفين ، وتعضيد النفوذ السياسى لأمير لواء الحج العراقى على بلاد الحجاز ؛ كما أصبحت السلطنة الأيوبية هى حامية الدعوة العباسية ، والعاملة على نشر دعوتها فى جميع ديار الإسلام ، سواء فى ممتلكات الخلافة الفاطمية أو الخلافة الموحدية ، وفوق ذلك فى البلاد الإسلامية بالشام التى يتم استردادها من الصليبيين ، وأخيرًا على منبر المسجد الجامع بمدينة القسطنطينية ، عاصمة الدولة البيزنطية زعيمة العالم المسيحى . ولا ريب أن تفرد سلاطين بنى أيوب ، بالنهوض بأعباء الدعوة العباسية ، وحماية الخليفة العباسى ، وإلزام ملوك الأطراف إظهار الطاعة والتبعية له ، قد أمد السلطنة الأيوبية بسند شرعى ، جعلها تتصدر الزعامة السياسية للعالم الإسلامى .

والجدير بالملاحظة أن أول السلاطين السنيين الذين اضطلعوا بحماية فريضة الحج ، قبل نور الدين زنكى وتلامذته سلاطين بنى أيوب ، كان السلطان محمود الغزنوى أول السلاطين السنيين وأقدمهم ظهورًا فى تاريخ المشرق الإسلامى[4] ؛ ثم ورثة تلامذته السلاجقة ، فالسلطان ملكشاه السلجوقى ، كان أول من استن وسائل حماية هذه الفريضة لمن بعده من السلاطين ، فبنى أجواض الماء

---

(١) أنظر ابن الفوطى : الحوادث ص ٢٥٨ .
(٢) أنظر سيد رجب حراز : الدولة العثمانية والجزيرة العربية ص .
(٣) أنظر قبله وبعده .
(٤) قال ابن الجوزى فى حوادث سنة ٤١٢هـ : فمن الحوادث فيها ، أنه كان حاج العراق تأخر عن الحج سنة ٤١٠ و ٤١١هـ ، فلما جاءت سنة ٤١٢هـ ، قصد جماعة من الناس يمين الدولة أبو القاسم محمود بن سبكتكين ، وقالوا له : أنت سلطان الإسلام ، وأعظم ملوك الأرض ، وفى كل سنة تفتتح من بلاد الكفرة قطعة ، والثواب فى فتح طريق مكة أعظم ، والتشاغل به أوجب ، وقد كان بدر الدين بن حسنوية ، وما فى أصحابك إلاّ مَنّ هو أكبر شأنًا منه ، يسير الحاج بماله وتدبيره عشرين سنة ، فأنظر لله تعالى ، واجعل لهذا الأمر حظًا من اهتمامك ، فتقدم إلى أبى محمد الناصحى ، قاضى القضاه فى مملكته بالتأهب للحج ، ونادى فى سائر أعمال خراسان بالتأهب للمسيرة ، وأطلق للعرب فى البادية ، ثلاثين ألف دينار ، وسلمها إلى الناصحى ، سوى ما أطلقه من الصدقات ، (ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ص ٢) .

على طريق الحجاز ، ورفع المكوس ورسوم الخفارة عن طريق الحاج ، وأقطع أمراء الحرمين نظير ذلك الإقطاعات والأموال ، وكانوا يأخذون قبل ذلك من كل حاج سبعة دنانير ذهبية ، وأنعم كذلك على عرب البادية وعلى مجاورى الكعبة بالإنعامات الطائلة[١] .

ويبدو أن حماية فريضة الحج ، كان عهدًا قطعه السلاجقة على أنفسهم ، حين أعلنوا قيام سلطنتهم سنة ٤١٣ هـ / ١٠٤١ م ، وطاعتهم وتبعيتهم للخلافة العباسية ، بحيث وعدوا الخليفة بمداومتهم على زيارة الكعبة ؛ وإن كانت ظروف دولتهم قد حالت أغلب الظن دون قدومهم بأنفسهم إلى الحجاز[٢] ، لأن المقريزى فى كتابه الذهب المسبوك فيمن حج من الخلفاء والملوك لم يترجم لأحد من سلاطين بنى سلجوق .

وقد أكد تقليد الخليفة العباسى المستنصر بالله ، الذى فوض بمقتضاه السلطنة للملك الكامل الأيوبى سلطان مصر ، أن حماية فريضة الحج ، أصبحت من أهم الواجبات الدينية ، التى عهدت بها الخلافة العباسية ، لسلاطين بنى أيوب[٣] ؛ فلا غرابة أن أصبحت حماية فريضة الحج فى العصر

---

(١) أنظر الراوندى : راحة الصدور ، ص ٢٠٥ .

(٢) أكد هذا الظن الإمام الجوينى ، الذى كان الفقيه والمفكر السياسى الأكبر فى عصر السلاجقة ، وذلك فى كتابه الشهير غياث الأمم ، وهو كتاب فقهى فى علم الأحكام السلطانية ، ألفه باسم الوزير السلجوقى الشهير نظام الملك وأهداه إليه ؛ إذ أفاد الجوينى أنه إذا كان حج السلطان إلى مكة سوف يعوقه من مباشرة أمور الإمامة بأكملها ، وهى الخاصة بإمضاء شريعة الإسلام ، ورعاية شئون الرعية ، وإقرار الأمن فى ديار الإسلام ، والدفاع عن بيضة الإسلام بالمثاغرة فى الثغور ، فإن فريضة الحج تسقط عن السلطان ؛ كذلك إذا كان الحج ، سوف يعرضه هو ورعيته للأخطار ، سقط وجوب الحج عن السلطان ورعيته ؛ ومن ثم فالجوينى يناشد السلطان السلجوقى فى عصره ، ضرورة العناية بتأمين طريق الحج وحماية الحجيج . أنظر مناقشة فقهية طويلة لهذه القضية عند الجوينى : غياث الأمم ، تحقيق فؤاد عبد المنعم ومصطفى حلمى ، القاهرة ١٩٧٩م . ص ٢٦٤ - ٢٧٠) . ولاشك أن هذه الأسباب التى أجازت شرعًا لسلاطين السلاجقة - فى رأى الجوينى - إسقاط فريضة الحج عنهم " لعدم الاستطاعة " ، هى ذاتها التى تفسر عدم إقدام أحد من خلفاء الفاطميين على أداء فريضة الحج ، وعدم استطاعة أحد من الخلفاء والعباسيين بعد عصر هارون الرشيد، الذى شهدت الخلافة فى عصر أولاده الانقسام وظهور الدويلات المنقطعة ، أيضًا أداء هذه الفريضة ، وهى تُفسر أخيرًا عدم استطاعة صلاح الدين الحج ، رغم رغبته فى ذلك ، وإظهار العزم على أداء هذه الفريضة قبيل موته . ولقد أوضح الجوينى أن ارتباط العبادات بنظر الإمام وإشرافه عليها ، ينسحب على العبادات والفرائض التى ترتبط باجتماع جمع غفير من المسلمين مثل فريضة الحج ، كما أوضح أن وظيفة إمارة الحج ، كان النبى يقوم بها بنفسه ، وأحيانًا ينيب فيها أبا بكر الصديق ، ثم أصبح خلفاء المسلمين يستنيبون فيها الأمراء أو ذوى الألوية (غياث الأمم ص ١٤٦ - ١٤٧) .

(٣) جاء فى هذا التقليد على لسان الخليفة : وأمره باعتبار أسباب الاستظهار والأمنة ، واستقصاء الطاعة المستطاعة ، والقدرة الممكنة ، فى المساعدة على قضاء تفث حجاج بيت الله الحرام ، وزوار نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام ، وأن يمدهم بالإعانة فى ذلك على تحقيق الرجاء وبلوغ المرام ، ويحرسهم من التخطف والأذى فى حالتى الظعن والمقام ، فإن الحج أحد أركان الدين ، المشيدة ، وفروضه الواجبة المؤكدة ، قال الله تعالى : " ولله على الناس حج البيت " سورة آل عمران الآية ٩٧ ، أنظر القلقشندى : مآثر الإنافة ، ص ١١٤ - ١١٥ .

المساليكي بمصر ، وبعد انتقال مقر الخلافة العباسية إلى القاهرة ، إثر سقوط بغداد عاصمة الخلافة أمام الغزو المغولي ، من أهم واجبات السلطان المملوكي ، وراثة عن سلاطين بني أيوب[1] .

---

(١) أجمع الفقهاء المصريون ، الذين ألفوا كتب الأحكام السلطانية والسياسة الشرعية ، في العصر المماليكي ، أن تأمين طريق الحج ، من أهم الواجبات الشرعية التي يلتزم بها السلطان المملوكي . وقد حرص هؤلاء الفقهاء على أفراد فصول وفقرات من مؤلفاتهم لشرح أهمية إشراف السلطان على تعيين أمير للحج ، وحماية فريضة الحج ، وإرسال الكسوة إلى الكعبة . فيقول خضر بن أبي بكر في الفصل الثالث من الباب الرابع من كتابه المناقب المعزية وعنوانه : " في أمير الحج " : ينبغي له (أي السلطان) أعزه الله ، أن يقيم شعار الحج ، فإنه من أركان الإسلام .. وليؤمر عليه أميرًا ، وهي ولاية سياسية وحراسة ، ومن شرطه أن يكون مطاعا ، ذا رأي وشجاعة وهداية ، عارفًا بمناسك الحج وأوقاته ، وأن يجمع الناس ويرتبهم ، ويرفق بهم ويحميهم ، ويصلح بين المتنازعين فيهم (أنظر المناقب المعزية – خ ، ص ٩٠) . أما ابن جماعة فيذكر أن الحق الثالث من حقوق الرعية العشر على السلطان لإقامة شعائر الإسلام ، والإعتناء بتيسير الحجيج من نواحي البلاد ، وإصلاح طرقهم وأمنها في مسيرهم ، وانتخاب من ينظر في أمورهم (أنظر تحرير الأحكام – خ ، ص ١٥ ، الباب الثاني) . وكان عبد الصمد الصالحي ، أكثر فقهاء العصر المماليكي توضيحًا لدور السلطان في حماية فريضة الحج ، وعمارة الكعبة وكسوتها ، فكتب يقول : وأما كسوة الكعبة زادها الله تشريفًا وتعظيمًا ، فينبغي للملك أن يكسوها في كل سنة كما جرت به العادة ، ويكون ثمن الكسوة وما ينصرف عليها من مال الخراج والجزية ، وما يهديه أهل الحرب إلى الملك ، وهذه جهة مصرفها قديمًا ، وأما الآن فلها جهة مخصوصة ، فتكسى منها مع شمول نظر الملك في أمرها ، وعرض الكسوة بين يديه وتفقد أحوال ذلك ، ويكون الناظر عليها رجلاً دينًا أمينًا عفيفًا عاقلاً ، ذا ثروة ومال ، يمنعه من التماس شيء من مالها المعد لها في كل سنة .. ، وأما إصلاح طريق الحاج ، فينبغي للملك أن يتعهد ذلك في كل سنة ، بعمارة البرك في الطريق ، وتطرق الماء إليها ، ونزح الطين من الأعين ، وتمهيد ما في الطريق من الوعر ، وتسهيل ذلك وتوسيع المضايق وبناء العلائم (أي العلامات الهادية في الطريق) ويصرف على ذلك من المال المتقدم ذكره ؛ وأما تجهيز المحمل الشريف في كل سنة فكذلك ، ويصرف عليه من المال المذكور . وينبغي للملك أن يوصي أرباب الإدراك بطريق الحاج بحفظ الحجاج ورعايتهم ممن يؤذيهم ، وأن يصرف لهم معاليمهم المرتبة لهم في كل سنة من بيت المال ، ويجهز خلعهم الجاري بها العادة إليهم ، فإذا صرف لهم ذلك بتمامه من غير نقص ، وحصل للحاج مع ذلك ، أذى من قطع طريق أو غيره مما يكون حفظه لازمًا لهم ، ينبغي للملك أن يرسل خلفهم ويعنفهم على ذلك ويهددهم إذا عادوا في التقصير لحفظ الحاج ؛ وأما ترتيب سير الحاج ، فينبغي للملك أن يوصي أمير الحاج في كل سنة بالرفق في السير ، وحفظ الحجاج ، وتفقد أحوالهم ، ولا سيما الفقراء منهم ، وإقامة الحرمة ، والإقامة بهم في الأماكن التي جرت بها العادة بالمقام فيها ، وينبغي للملك أن يرسل معهم في كل سنة طائفة تحميهم وتمنع عنهم العدو . أنظر عبد الصمد الصالحي : هدية العبد القاصر إلى الملك الناصر – خ ، مكتبة كوبرلي برقم ٢٩٠ ، ومصور بالمكتبة الزكية بدار الكتب المصرية برقم ٢٦٠٢ تاريخ ، ٥٥٨٣٦ عمومي ، الفصل الرابع لوحة ٥١ – ٥٢ .

الفصل السادس

تَبَعِيّة سلاطين بنى أيوب ،لدولة الخلافة العباسية السُّنِّيَّة ، ونهوضهم بفريضة الجهاد ، وتوحيدهم كلمة المسلمين ، ونشرهم لعلوم السُنة .

- التقليد والتفويض الخليفى لسلاطين بنى أيوب .
- ألقاب السلطنة الأيوبية .
- سلطنات إسلامية متعاصرة، وأسباب تفرد السلطنة الأيوبية بالتفويض الخليفى فى ديار الإسلام .
- الوضع الشرعى للسلطنة الأيوبية .

تبعية سلاطين بنى أيوب ، لدولة الخلافة العباسية السُنّية

ونهوضهم بفريضة الجهاد ، وتوحيدهم كلمة المسلمين ، ونشرهم لعلوم السُنّة :

التقليد والتفويض الخليفى لسلاطين بنى أيوب :

لا ريب أن التفويض الخليفى لصلاح الدين وخلفه، كان بالإضافة إلى إسباغه الشرعية ، فى نظر العالم الإسلامى ، على الممتلكات النورية والفاطمية التى ضمها إلى دولته الفتية ، فإنه كان تفويضًا من الخليفة العباسى إلى صلاح الدين ، بجميع السلطات الشرعية ، التى يعد الخليفة هو القائم بها ، من واقع تفويض الأمة الإسلامية له هذه السلطات عن طريق مبايعة أهل الحل والعقد له بالخلافة[١] .

ولقد حدد القلقشندى ، الوظائف الرئيسية فى الدولة الإسلامية ، بوظائف عشر ، يفوضها الخليفة إلى من يرى فيه الكفاءة على القيام بها على خير وجه ، ثم أفاد أن هذه الوظائف العشر ، أصبحت يفوضها الخليفة إلى السلطان ، ثم يفوضها السلطان بدوره إلى من يستطيع النهوض بأعبائها[٢] .

ولدينا لحسن الحظ ، وثيقتان هامتان ، إحداهما خاصة بتقليد الخليفة الناصر لدين الله العباسى لصلاح الدين[٣] ، وثانيهما تقليد الخليفة المستنصر بالله العباسى للملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر[٤] .

وبدراستنا لهاتين الوثيقتين ، دراسة مقارنة ، نستطيع أن نحدّد السلطات الشرعية التى فوضها الخلفاء العباسيين لسلاطين بنى أيوب ، على أساس أن الوثيقة الأولى ، ترجع إلى عهد قيام الدولة الأيوبية ، والوثيقة الثانية ، ترجع إلى عصر استقرارها وبلوغها أوج اتساعها فى عصر السلطان الملك الكامل محمد .

كما أن لدينا أيضًا ، وصفًا دقيقًا شائقًا ، لرسوم وصول الخلع الخليفية ، مع رسل وسفراء الخلافة العباسية إلى مصر ، واستقبال سلاطين الأيوبيين لهؤلاء السفراء ، وركوب السلاطين المصريين فى موكب رسمى ، بالآلات الملوكية والخلع والأعلام الخليفية ، المميزة باللون الأسود شعار بنى العباس ، وبين يدى السلطان وزيره راكبًا فرسه ، حاملاً عهد الخليفة « التقليد الخليفى » ، الذى يسبغ الشرعية على سلطنة بنى أيوب ، أمام رعاياهم المصريين وأمام العالم الإسلامى كله[٥] .

---

(١) أنظر قبله ، وبعده .

(٢) أنظر القلقشندى : مآثر الإنافة فى معالم الخلافة ، ١: ٧٤ – ٨٠ .

(٣) أنظر نص هذا التقليد عند القلقشندى : مآثر ، ٣: ٨٦ – ٩٨ ، صبح ، ١٠ : ١٤٥ – ١٥٢ .

(٤) أنظر نص هذا التقليد عند القلقشندى : مآثر ، ٣: ٩٩ – ١٢١ ، صبح ، ١٠ : ٩٨ – ١١١ .

(٥) أنظر وصف تفصيلى لهذه الرسوم عند المقريزى : الخطط ، ٣: ١٧٤ – ١٧٥ .

وقد حدّدت التقاليد الخليفية لسلاطين بنى أيوب ، حدود ممتلكات الدولة الأيوبية ، التى سوف يسرى فى أراضيها هذا التفويض الخليفى ؛ وهنا نلاحظ أنه إلى جانب البلاد والممتلكات ، التى كان كل من صلاح الدين ، ثم السلطان الكامل ، قد ضموها إلى دولتهم بالفعل ؛ فإن الخليفة العباسى ، كان يتعمد تفويضهم سلطاته الشرعية ، على كل البلاد التى سوف ينجحون فى ضمها إلى ممتلكاتهم؛ سواء من البلاد التى كان الفرنج قد استولوا عليها ببلاد الشام، أو البلاد التى كانت الخلافة الفاطمية، والكيانات السياسية الشيعية التابعة لها ، قد نشرت فيها المذهب الفاطمى ، وخطبت على منابرها للخليفة الفاطمى[1] ؛ وقد داوم .. الخليفة فى هذه التقاليد على تذكير سلاطين بنى أيوب ، على ما يجب عليهم شرعًا من طاعة الخليفة العباسى ، والولاء للخلافة العباسية ، وأن يطالعوا الخلافة بأحوال دولتهم ، ويطلبوا منها المشورة عند الملمات[2] .

ثم تنتقل التقاليد ، إلى التنويه بميراث البيت العباسى ؛ لنص النبى على أن الخلافة والإمامة فى بيت عمه العباس !؟ ، ثم تعداد فضائل ومناقب البيت العباسى ، بل الغريب أن صرّحت هذه التقاليد ، بمبدأ عصمة الأئمة ، ووصفت الخليفة بأنه « إمام المسلمين خليفة الله فى أرضه » ، وأنه الذى حاز « مواريث النبوة والإمامة ، وخصّه الله من حسن التوفيق الإلهى بأمتن عصمه » ، «.. واختاره للمسلمين إمامًا»؛ وفى هذا جنوح للنظريات السياسية الفاطمية، الخاصة بالإمامة، مثل مبدأ « التنصيص » ، و عصمة الائمة مع التلميح إلى مبدأ « الحكم الإلهى » والمفاهيم الثيوقراطية للدولة ، كما ألمحت هذه التقاليد أيضًا إلى فكرة حق الخليفة فى الولاية والطاعة على جميع المسلمين وهو ما عبّرت عنه التقاليد بـ « الطاعة الواجبة على الخلائق » ، وفى هذا أيضًا تأثرًا بمبدأ « الولاية » ، عند الفاطميين ؛ كذلك تبدى تأثر الخلافة العباسية ، غداة القضاء على الخلافة الفاطمية بالصيغ والمفاهيم الشيعية الخاصة بالصفات الدينية للخلفاء ، من دعاء كاتب هذه التقاليد ، للخليفة العباسى ، بصيغة « صلوات الله عليه وسلامه » ، وهى أيضًا صيغة شيعية[3] .

---

(١) أنظر القلقشندى : مآثر ، ٣: ٨٨ ، س ٩ – ١٧ (تقليد صلاح الدين) ، ج ٣ ، ص ١٠٤ – ١٠٥ ، (تقليد الملك الكامل) .

(٢) أنظر القلقشندى : مآثر ٣: ٨٨ ، س ٢ – س ٨ ، ٩٧ – ٩٨ (تقليد صلاح الدين) ، ٣: ١٠٠ – ١٠١ ، (تقليد الملك الكامل) .

(٣) عن هذه التعابير والصيغ الشيعية الواردة فى التقاليد الخليفية لسلاطين بنى أيوب أنظر القلقشندى : مآثر ، ٣: ١٠٠ – ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤، وعن النظريات السياسية الفاطمية أنظر ماجد: نظم الفاطميين، ١: ٥١ – ٧٧ ، وأنظر قبله هامش واف فى الفصل الخاص بالقضاء على الدعوة الفاطمية ، فيه مناقشة هذه النظريات السياسية الفاطمية .

والملاحظ أن هذا الأثر الواضح ، للفكر السياسي الفاطمى ، فى المفاهيم والصيغ السياسية للخلافة العباسية ، وخلفاء بنى العباس ، إثر سقوط الخلافة الفاطمية بمصر ، وتفرد العباسيين بالخلافة ، قد وجدنا أثره فى مدائح الشعراء لخلفاء بنى العباس التى ترجع إلى هذا العصر ، بل وجدناه أيضًا فى الوثائق الرسمية والنقوش التى ترجع إلى هذا العصر أيضًا[1] .

أما جوهر السلطات الشرعية ، التى فوّضها الخليفة لسلاطين بنى أيوب ، فهى فى الواقع جميع السلطات الشرعية التى عرفت فى الدولة الإسلامية ، وهى فى مجملها تدور فى فلك الوظائف العشر التى قسم القلقشندى[2] عليها ، السلطات السياسية العامة ، التى يمنحها الخليفة للسلاطين ، ويمنحها السلاطين بدورهم لمن يتولى مباشرتها من الأكفاء ؛ وهى : إمامة الحرب أى قيادة الجيوش ، وإمامة الصلاة ، ونظر المظالم ، والمعاون والأحداث ـ أى ولاية الشرطة ـ ، والحسبة ، ونظر الأوقاف ، والأشراف على جباية الجبايات الشرعية مثل الخراج والزكاوات والجوالى وسائر وجوه الجبايات وصرفها فى أوجه صرفها الشرعية واختيار الأمناء الأكفاء العارفين بأحكام الشريعة لجبايتها وصرفها ؛ وبخصوص ولاية القضاء ، أى السلطة التشريعية فى البلاد ، فلقد أمر الخليفة السلطان ، بتقوية يد القضاه لتمكينهم من تنفيذ الأحكام والحدود الشرعية ؛ ويستلفتنا بخصوص وظيفة نظر المظالم ، أمر السلطان بأن يتولى نظرها بنفسه ، ولا يفوّض أو يستنيب فيها أحد ، ليظهر العدل فى الرعية ، ويساوى بين أقويائهم وضعفائهم ، ويمنعهم عن التظالم فيما بينهم .

ولقد عسدت التقاليد الخليفية لسلاطين بنى أيوب ، على توضيح كل سلطة مخوّلة إلى السلطان الأيوبى على حدة ، وشرح كيفية اختياره لمباشريها ، أو إشرافه عليهم ، لتؤدى مصالح المسلمين على الوجه الأكمل .

وقد نوّهت هذه التقاليد ، بضرورة التزام السلطان بإقامة وإظهار شعائر الإسلام ، وتشييد قواعده ، بالنهوض بنفسه بإمامة الصلاة فى صلوات الجمع والأعياد ، والإشراف بنفسه على تعمير المساجد ، كما أناطت به وظيفة دينية هامة ، وهى حماية وتأمين طريق الحج[3] .

كما حثت التقاليد الخليفية ، سلاطين بنى أيوب على ضرورة جهاد الفرنج فى بلاد الشام ، لكون جهاد المشركين ، فريضة إسلامية[4] .

---

(١) أنظر تتبع لهذه النصوص فى الفصل الخاص بالوضع السياسى والشرعى لمصر الأيوبية .

(٢) أنظر القلقشندى : مآثر ، ١ : ٧٤ – ٨٠ .

(٣) أنظر ما تقدم بحثًا مستوفيًا عن حماية الأيوبيين لفريضة الحج . وأنظر القلقشندى : مآثر ، ٣: ١١٤ – ١١٥ (تقليد الكامل) .

(٤) أنظر القلقشندى : مآثر ، ٣: ٩٤ ، س ٩ – ١٧ (تقليد صلاح الدين) ، ج ٣: ص ١١١ – ١١٤ (تقليد الكامل) .

ولم يفت التقليد الخليفى ، أن ينبه السلطان الأيوبى ، إلى العهد الذى التزمه بالخطبة على منابر مملكته للخلافة العباسية « فيقيم الدعوة الهادية على المنابر على عادة من تقدمه »[1] ؛ ولما كان صلاح الدين ، هو مؤسس الدولة الأيوبية ، وأول سلاطينها ، فأغلب الظن أن الخليفة يعنى بعبارة « على عادة من تقدمه » ، السلاطين السنيين ، الغزنويين والسلاجقة والزنكيين على التوالى .

وفى حين ألمح التقليد الخليفى لصلاح الدين إلى أنّ تتبع فلول الشيعة ودعاتهم من المهام الموكولة إلى المحتسب[2] ، وإلى وجود رجال للشرطة فى أطراف البلاد مكلفين بالقبض على دعاة الشيعة ؛ لم يشر تقليد الملك الكامل إلى اهتمام المحتسب بتتبع الشيعة ودعاتهم[3] ؛ وأغلب الظن لأن الدعوة الفاطمية ، كان قد تم القضاء عليها تقريبًا فى عصر الملك الكامل[4] .

فعلى هذا النحو إذًا ، فوضّ الخليفة لسلاطين بنى أيوب ، جميع سلطاته الشرعية ، بوظائفها الدينية والحربية والإدارية ، وترك لهؤلاء السلاطين اختيار الأكفاء من رعاياهم القادرين على النهوض بأعباء هذه الوظائف على الوجه الأكمل ، ليفوّض السلطان بدوره ، لكل منهم ، سلطات الوظيفة التى يستطيع الاضطلاع بها ؛ ولقد أوضحت كتب السياسة الشرعية ، أن تفويض السلطان الوظائف العامة للأكفاء ، يعد فى الفقه الدستورى الإسلامى ، من باب أداء الأمانات إلى أصحابها[5] ؛ وذلك لأن حق الرعية ، يعد من الناحية الشرعية النظرية هو حق الله[6] ؛ بمعنى أن من فرط فى مصلحة الرعية ، وفى حق من حقوقها ، فكأنّه فرّط فى حق من حقوق الله .

والجدير بالالتفات ، أننا نجد فى التفويض الخليفى لسلاطين بنى أيوب ، تلخيصًا شاملاً لأهم قواعد وأسس النظرية السياسية فى الإسلام ؛ فنجده ينص على المبدأ والمحور الأساسى لهذه النظرية ، وهو مبدأ الشورى[7] ؛ كما يؤكد ارتكاز المفاهيم السياسية فى الإسلام على أساس أخلاقى يستمد أصوله من السنة النبوية[8] .

---

(١) أنظر القلقشندى : مآثر ، ٣: ٨٩ ، س ٨ – ١٨ (تقليد صلاح الدين) ، ٣: ١٠٩ ، س ٢ – ١٥ (تقليد الكامل) .

(٢) أنظر القلقشندى : مآثر ، ٣: ٩٣ – ٩٤ (تقليد صلاح الدين) .

(٣) أنظر القلقشندى : مآثر ، ٣: ١١٩ ، س ١ – ١٥ (تقليد الكامل) .

(٤) أنظر قبله ، الفصل الخاص بالقضاء على الدعوة الفاطمية .

(٥) أنظر ابن تيمية : السياسة الشرعية ، تحقيق على سامى النشار ، ١٩٥١م ، ص ٤ – ١١ .

(٦) نفس المصدر ، ص ٦٦ – ١٧٢ .

(٧) أنظر القلقشندى : مآثر ، ٣: ٩٢ ، س ٨ – ١١ (تقليد صلاح الدين) ، ٣: ١١٠ ، س ٧ – ١٣ (تقليد الملك الكامل) .

(٨) أنظر القلقشندى : مآثر ٣، ٨٧–٨٩ (تقليد صلاح الدين) ، ٣: ١٠٧–١١٠ (تقليد الملك الكامل) .

وترتيب هاتين الوثيقتين ، يكاد يتطابق ، بل أن الأفكار فى الوثيقتين واحـدة ، ولـم يتغير سـوى الأسلوب ؛ ومنهـج الوثيقتين ، هـو النـص علـى الأمـر الخليفـى ، أى السـلطة أو الوظيفـة المفوّضـة ، ثم الاستشهاد على كونها مستمدة من الشرع ، أى من القرآن والسنة .

ويستلفتنا عند مقارنة رسوم المكاتبات الإنشائية فى كلتا الوثيقتين ، أن ديوان الإنشاء الخليفـى ، لم يفته التمييز فى رسوم الإنشاء الرسمية ، بين تقليد صلاح الدين ، وكان فى ذلك الوقـت ، حاكمًـا مستقلاً بمصر وبلاد اليمن والحجاز والقيروان وبعض مدن الشام ، وبين تقليد الملـك الكـامل ، وكـان فى ذلك الوقت سلطانًا على أغلب بلاد المشـرق الإسـلامى ، بمـا فيهـا بـلاد الشـام والجزيـرة الفراتيـة وأرمينية وأجزاء من آسيا الصغرى ، وهذا ما لاحظه مؤرخو ديوان الإنشـاء فـى العصـر الأيوبـى مثـل ضياء الدين بنى الأثير ، وفى العصر المماليكى ، مثل القلقشندى[1] .

ألقاب السلطنة الأيوبية :

وسنقف قليلاً ، لمناقشة الألقاب الرسمية ، التى منحها الخلفاء العباسيون ، لسلاطين بنى أيوب، متخذين فى دراستها ، المنهج المقارن ، الذى سبق أن أشرنا إليه ، فى نقدنا للمصادر[2] ؛ وهـو مقارنـة هذه الألقاب الرسمية الواردة فى سجلات تقليد سلاطين بنـى أيـوب ، بالألقـاب الرسـمية والشـرفية التى وردت على أثار ونقوش ومسكوكات الدولة الأيوبية ، والتـى وردت أيضًـا علـى المؤلفـات ذات الصفة الرسمية ، ألفت برسم خزانة السلاطين الأيوبيين وأهديت إليهم بصفة رسمية .

لقد لُقّب صلاح الدين فى التقليد العباسى بـ « الملك ، الأجل ، السيد ، صـلاح الديـن ، نـاصر الإسلام ، عماد الدولة ، جمال الأمة ، فخر الملة ، صفى الخلافة ، تاج الملوك والسلاطين ، قامع الكفـرة والمشركين ، قاهر الخوارج والمتمردين ، عز المجاهدين ، ألب غازى بك يوسف بن أيوب »[3] .

ولُقّب الملك الكامل بـ « الملك ، الأجل ، السيد ، الكامل ، المجـاهد ، المرابـط ، نصـير الديـن ، ركـن الإسـلام ، أثـير الأنـام ، تـاج الملـوك والسـلاطين ، قـامع الكفـرة والمشـركين ، قـاهر الخـوارج والمتمردين ، ألب غازى بك ، محمد بن أبى بكر بن أيوب ، معـين أمـير المؤمنـين »[4] ؛ وعلـل الخليفـة منح هذه الألقاب له بأنها « رعاية لسوابق خدمه وخدم أسلافه وآبائه »[5] .

---

(١) أنظر القلقشندى : مآثر ، ٣: ٨٦ ، ٩٩ ، صبح ، ١٠ : ٩٨ ، ١٣٥ .

(٢) أنظر أحمد فؤاد سيد : مصادر تاريخ مصر الإسلامية فى العصر الأيوبى ٥٦٧هـ - ٦٤٨هـ (دراسـة مقارنـة بمصادر تاريخ مصر الإسلامية فى العصر المماليكى ؛ مع ترجمة ونشر ١٤ وثيقة أيوبية من الأرشيفات الإيطالية، تنشر لأول مرة) ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٤١٧هـ/١٩٩٦م ، ص ١٢-١٣ ، ص ١٤٥-١٧٢.

(٣) القلقشندى : مآثر ، ج ٣ ، ص ٨٧ ، س ١٢ - ١٤ ، ص ٨٨ ، س ١ - ٢ .

(٤) القلقشندى : مآثر ، ج ٣ ، ص ١٠٥ - ١٠٦ .

(٥) القلقشندى : مآثر ، ج ٣ ، ص ١٠٦ ، س ٤ - ٦ .

وأول ما نلاحظه فـي هـذه الألقـاب ، أن الثلاثة الأول منها ، قد ورثت عن وزراء السيوف المفوّضين في العصر الفاطمي ، وهي علـى ترتيـب ظهورهـا فـي العصر الفـاطمي ، السـيد ، الأجـل ، الملك[1] ؛ وإن كنا نلاحظ أنها وردت في التقليدين العباسيين بعكس هذا الترتيب ، بحيـث جـاء لقـب «الملك» ، ـ وهو آخر هذه الألقاب ظهورًا في العصـر الفـاطمي ، وأضخمها ، وأكثرهـا دلالـة علـى استقواء نفوذ هؤلاء الوزراء المفوضين ـ أول هذه الألقاب الثلاثة في التقليد العباسي .

ثم تستلفتنا الألقاب الخاصة بالعلاقة بين سلاطين بني أيوب والخلافة العباسية ، فلقب صلاح الدين بـ « عماد الدولة » ، و « صفي الخلافة »[2] ، ولقب الملك الكامل بـ « معين أمير المؤمنين »[3] ؛ والألقاب الدالة على جهاد الأيوبيين للصليبيين أى لقب « قامع الكفرة والمشركين »[4] ؛والدالة علـى قضـاء الأيوبيـين علـى الدعـوة الإسـماعيلية وتتبعهـم لفلـول الشـيعة ، أى لقـب « قـاهر الخـوارج والمتمردين »[5] ؛ والدالـة علـى مكانـة سـلاطين الأيوبيـين فـي العـالم الإسـلامي ، وتصدرهـم للملـوك وسلاطين الأطراف كألقاب « نـاصر الإسـلام » ، « جمـال الأمـة » ، « فخـر الملـة » ، « تـاج الملـوك والسلاطين » ، التي لقّب بها صلاح الدين[6] ، وألقاب « ركن الإسـلام » ، « أثـير الأنـام » ، « تـاج الملوك والسلاطي »ن ، التي لقب بها الملك الكامل[7]؛ وأغلب الظن أن لقب « ألب غازى بك »[8] ، الذى لقّب به كلا السلطانين الأيوبيين ، يشير إلى تاريخ اسرتهم المجيد في محاربة الفرنجة منـذ التحـاق أجدادهم بخدمة نور الدين زنكي .

والجدير بالملاحظـة ، أن اللقـب الـذى منحـه الخليفـة الفـاطمي العـاضد لصـلاح الديـن ، وهـو « الناصر لدين الله »[9] ، لم يرد في التقليد العباسي لصلاح الديـن ، بـل أغلـب الظـن أنـه قـد تُعمِّـد حذفه ، وذلك لأن الخليفة العباسي الناصر لدين الله ، كان قد تغير علـى صـلاح الديـن لمشـاركته لـه في لقبه كما ذكر القلقشندى[10] ، وإن لاحظ بعض المؤرخين أن اتخـاذ صـلاح الديـن لهـذا اللقـب ،

---

(١) أنظر ماجد : نظم الفاطميين ، ج ١ ، ص ٨٣ – ٨٧ .
(٢) القلقشندى : مآثر ، ج ٣ ، ص ٨٧ – ٨٨ .
(٣) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ١٠٥ – ١٠٦ .
(٤) أنظر القلقشندى : مآثر ، ج ٣ ، ص ٨٧ – ٨٨ ، ص ١٠٥ – ١٠٦ .
(٥) نفس المصدر في الموضعين .
(٦) القلقشندى : مآثر ، ج ٣ ، ص ٨٧ – ٨٨ .
(٧) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ١٠٥ – ١٠٦ .
(٨) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٨٧ – ٨٨ ، ص ١٠٥ – ١٠٦ .
(٩) أنظ تقليد العاضد لصلاح الدين عند القلقشندى : صبح ، ج ١٠ ، ص ٩١ – ٩٨ ، وأنظر قبله .
(١٠) القلقشندى : مآثر ، ج ٣ ، ص ٨٧ .

كان سابقًا لخلافة الخليفة الناصر لدين الله ولا وجه لغضب الخليفة من صلاح الدين[1] ، وذلك فى حين ذكر اللقب الملكى وهو « الكامل » فى تقليد الملك الكامل[2] ؛ والواقع أن هذا اللقب الملكى المزدوج مع لقب الملك قد ورثه الأيوبيون أيضًا عن وزراء السيف المفوضين فى العصر الفاطمى ، فلقب شيركوه (الملك المنصور)[3] وصلاح الدين (الملك الناصر) ، ولقب نجم الدين أيوب والد صلاح الدين (الملك الأفضل)[4] ، وصار هذا تقليدًا فى ألقاب جميع الأسرة الملكية الأيوبية[5] ، كما ورث المماليك فيما بعد هذا اللقب المزدوج عن الأيوبيين .

كذلك ، فقد لقب كل من السلطانين ، بلقب مضاف إلى الدين ، أولهما (صلاح الدين)[6] ، وثانيهما (نصير الدين)[7] .

وأخيرًا لقب الملك الكامل بـ (المجاهد) ، والمرابط[8] ، وهى ألقاب أعتز بها سلاطين الأيوبيين ثم سلاطين المماليك من بعدهم ، لدلالتها على رسالتهم فى تزعم حركة جهاد الصليبيين فى الشرق الإسلامى ؛ مثل ألقاب (المثاغر)[9] ، والمجاهد[10] ، والمرابط[11] ، والمظفر[12] ، والمنصور[13] ، والمؤيد[14] .

ولاشك أن هذه الألقاب التى منحها الخليفة العباسى لسلاطين بنى أيوب ، قد اسبغت على سلطنتهم الشرعية ، فى نظر العالم الإسلامى كله ، خاصة وقد زالت الخلافة الفاطمية من مصر ،

---

(١) أنظر كتاب إنسان العيون فى مشاهير سادس القرون ، مخطوط رقم ٩١٩ تاريخ تيمور بدار الكتب المصرية ورقة ١٥٩ - ١٦٢ ، وأنظر السيوطى : حسن المحاضرة ، الطبعة القديمة ، ج ٢ ، ص ٢٧ ، وأنظر أحمد تيمور : التذكرة التيمورية ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩ ، حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ، ص ٧٩ .

(٢) القلقشندى : مآثر ، ج ٣ ، ص ١٠٥ - ١٠٦ .

(٣) أنظر تقليد العاضد لشيركوه ، عند القلقشندى : صبح ، ج ١٠ ، ص ٨٠ - ٩٠ .

(٤) أنظر قبله .

(٥) أنظر حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ، ص ٧٣ - ٧٤ ، و ص ٨٢ ، و ص ٥٢٥ .

(٦) القلقشندى : مآثر ، ج ٣ ، ص ٨٧ - ٨٨ .

(٧) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ١٠٥ - ١٠٦ .

(٨) نفسه ، ص ١٠٥ - ١٠٦ .

(٩) القلقشندى : صبح ، ج ٦ ، ص ٢٦ .

(١٠) نفس المصدر ، ج ٦ ، ص ٢٦ .

(١١) نفس المصدر ، ج ٦ ، ص ٢٧ .

(١٢) نفس المصدر ، ج ٦ ، ص ٢٨ .

(١٣) نفس المصدر ، ج ٦ ، ص ٣١ . .

(١٤) نفس المصدر ، ج ٦ ، ص ٣٢ .

وأصبحت الخلافة العباسية هي مستقر السلطات الشرعية في العالم الإسلامي ، بما يشبه الإجماع بين الفقهاء ؛ ولاشك أيضًا أنها قد اظهرتهم أمام بقية ملوك الأطراف التابعين للخلافة العباسية ، كحماة لهذه الخلافة ، وللمذهب السني ، ولديار الإسلام أمام الخطر الصليبي ، مما كان له أبعد الأثر في استقواء النفوذ السياسي والأدبي لسلاطين بني أيوب في بلاد المشرق الإسلامي بصفة عامة ؛ وقد أيد هذا النفوذ تفرد الخلافة العباسية بالعراق ، بعد سقوط الخلافة الفاطمية بمصر ، بحق منح الألقاب الرسمية لملوك الأطراف .

لقد أنفرد الخلفاء دائمًا بسلطة التلقيب ، وذلك نتيجة لتمتعهم بحق التعيين ، وكان من تقاليد الدولة العباسية أن يُنص على اللقب عند كتابة التقليد[1] ؛ كما احتفظ الخلفاء الفاطميون أيضًا بحق التعيين والتلقيب ، وحرصوا على عدم التفريط في هذا الحق حتى نهاية العصر الفاطمي ، حتى أن الألقاب التي أطلقها وزراء السيوف المتغلبين على الفواطم في نهاية دولتهم ، ظلت في نظر الناس مغتصبة وغير رسمية[2] ؛ وظل حق الخليفة في التولية باقيًا حتى الدولة الأيوبية ، بحيث حرص الملوك مهما كبر سلطانهم واتسع نفوذهم على الحصول على عهود أو تقاليد من الخلافة تثبتهم في مراكزهم ؛ وكان من الطبيعي أن يستتبع ذلك احتفاظ الخليفة بسلطته في التلقيب ، فكانت الألقاب تثبت في العهد نفسه[3] ، على نحو ما رأينا في التقليدين السابقين ، لصلاح الدين والسلطان الكامل ؛ ولكن بسقوط الخلافة العباسية في بغداد وانتقالها إلى القاهرة ، فقد الخليفة العباسي سلطته في التعيين ، والتلقيب ، واقتصرت مهمته على مبايعة السلطان المملوكي وإعلان لقبه[4] .

بمعنى أن هذه الألقاب ، التي منحتها الخلافة العباسية لسلاطين بني أيوب ، قد مُنحت لهم بعد أن استعادت هذه الخلافة هيمنتها العامة تقريبًا على ديار الإسلام بسقوط الخلافة الفاطمية ، وبعد تفردها بحق التلقيب الرسمي ، وحين أصبحت كلمتها مسموعة مهابه بين جميع ملوك الأطراف ، حتى أصبحت طاعتهم في العرف الإسلامي العام آنذاك مفروضة واجبة على المسلمين جميعًا[5] .

ونستطيع أن نصنف الألقاب التي أضفاها ملوك وسلاطين بني أيوب على أنفسهم ، إلى ألقاب رسمية منحها لهم الخلفاء العباسيون ووردت في تقاليدهم ، وألقاب فخرية اسبغها عليهم كتاب

---

(١) حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ، ص ٩٢ .
(٢) حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ، ص ٩٣ .
(٣) حسن الباشا : نفس المرجع ، ص ٩٩ .
(٤) نفس المرجع ، ص ١٠٢ .
(٥) أنظر قبله .

دولتهم ومتملقوهم ، أو نعوت نعت بها ملوك بنى أيوب أنفسهم للاتصاف بالصفات التى أملتها روح العصر ، مثل الزهد والعلم ؛ كما حملت بعض هذه الألقاب الفخرية ، معانى المبالغة فى النفوذ السياسى والحربى والروحى للسلطنة الأيوبية .

والواقع ان هذا الصنف الأخير من الألقاب الفخرية الطنانة لم يظهر بجلاء إلا فى ألقاب السلاطين الأيوبيين المتأخرين ، حين إنكمش النفوذ السياسى لسلطان مصر ؛ باستقلال ملوك الأطراف الأيوبيين عنه ، أو بضم سلاطين خوارزم بإيران ، أو سلاطين سلاجقة الروم بآسيا الصغرى ، لبعض الممتلكات الأيوبية ببلاد الجزيرة الفراتية وشمال الشام من ناحية ؛ ونتيجة لتزايد الأطماع الصليبية فى غزو مصر من ناحية أخرى .

وبعض الألقاب الرسمية ، يظهر العلاقة الوثيقة بين الخلافة وبنى أيوب(١) ، مثل الأشارة إلى قيامهم بإحياء الخلافة العباسية ، أو إلى تقسيم السلطة السياسية بينهم وبين الخلافة ، أو تأكيد طاعتهم وولائهم للخليفة ، أو التنويه بالمعونات العديدة التى أسدوها له ، أو تخليدًا لمظاهر الود والصداقة ، التى ربطت بين الخلافة العباسية ، وهؤلاء السلاطين السنيين .

ومن هذه الألقاب : « صفى الخلافة » ،الذى منح لصلاح الدين(٢) و « خليل أمير المؤمنين » ، الى منح لأخيه الملك العادل(٣) « وظهير أمير المؤمنين » ، الذى يبدو أنه منح للملك العزيز عثمان ابن صلاح الدين وخليفته فى حكم مصر بصفة رسمية ، بدليل استخدامه على نقوشه(٤) ، و « معين أمير المؤمنين » ، الذى منح للملك الكامل بعد توليه سلطنة مصر(٥) .

---

(١) عن هذه العلاقة الوثيقة ، أنظر قبله .

(٢) القلقشندى : مآثر ، ج ٣ ، ص ٨٧ – ٨٨ .

(٣) المقريزى : السلوك ، ج ١ ، ص ١٦٨ ، G. Wiet: Les inscriptions du Mausolée de Sha fiei. p.175.

(٤) أنظر لوحة تأسيسية من الخشب مؤرخة سنة ٥٩٤هـ محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، خاصة بوقف قيصرية على صوفية خانقاه سعيد السعداء . وأنظر .

Jean David weill : Catalogue général du Musée Arabe du Caire, les Bois a Épigraphes jusque Lépoque Mamlouke, Le Caire, 1931, p. 14. No 484.

ولأهمية هذا النقش واشتماله على جميع ألقاب الملك العزيز عثمان سوف أورده بتمامه وهو : " اللهم أرحم الملك الناصر صلاح الدنيا والدين ، ورضى الله عنه ، الذى أنعم على الصوفية بهذه القيصرية ، وأوقفها على بقعتهم التى تعرف بدار سعيد السعداء بمحروسة القاهرة ، وقد أمر بهذا الباب الجديد والفتح السعيد ، سيد الملوك والعبيد ، عماد الدنيا والدين وسلطان الإسلام والمسلمين عضد الدولة القاهرة ، تاج الملة الزاهرة، نظام العالم ملك المعالى ، الملك العزيز عثمان بن يوسف بن أيوب ظهير أمير المؤمنين ، خلد الله ملكه ، فى تاريخ ربيع الأول سنة أربع وتسعين وخمسمائة (٥٩٤هـ) ، وصلى الله على محمد وآله وأصحابه أجمعين " .

(٥) القلقشندى : مآثر ، ج ٣ ، ص ١٠٥ – ١٠٦ .

والواقع أن لقب « خليل أمير المؤمنين » ، هو اللقب الذى توارثه أغلب سلاطين بنى أيوب بمصر ، وأثبتوه على نقوشهم[1] ؛ ويبدو أن السلطان العادل الأول أبو بكر بن أيوب ، هو أول من لقب به بصفة رسمية ، إذ أثبت فى التقليد الخليفى للملك العادل بالسلطنة ، الذى أرسل إليه فى سنة ٦٠٤هـ ـ ٧٠ [illegible][2] ، رغم أنه لم يرد من قبل فى التقليد الخليفى لأخيه صلاح الدين[3] ؛ ويفيدنا القلقشندى ، أن لقب « خليل أمير المؤمنين » ، هو الأدنى مرتبة مباشرة ، من لقب « قسيم أمير المؤمنين »[4] .

---

(١) قد ورد هذا اللقب ، ضمن ألقاب الملك العادل فى نقوش أثرية ببيت المقدس بتاريخ ٥٨٩هـ / ١١٩٣م ، وبدمشق من سنة ٦٠٥هـ / ١٢٠٨م إلى سنة ٦١٠هـ / ١٢١٤م ، وبالقاهرة بتاريخ سنة ٦٠٥هـ / ١٢٠٨م (حسن الباشا : الألقاب ، ص ٢٠١) كما لقب به ابنه السلطان الكامل محمد (أنظر :
G. Wiet: Les inscriptions de Shafiei . p. 175
وحفيده السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب أنظر :
Van Barchem: Matériaux, p. 103, p. 105.

(٢) أنظر المقريزى : السلوك ١ : ١٦٨ ، الذى يذكر أنه لما تسلطن العادل فى سنة ٦٠٤هـ / ١٢٠٧م أرسل إليه الخليفة العباسى الناصر ، يقلده جميع البلاد التى فتحها ، ويخاطبه بـ " شاهنشاه ملك الملوك ، خليل أمير المؤمنين " .

(٣) أنظر قبله ، والغريب أن هذا اللقب ، جاء ضمن ألقاب صلاح الدين فى نص إنشاء بتاريخ ٥٨١هـ / ١١٨٥م ، من قلعة جندى بسوريا (حسن الباشا : الألقاب ، ص ٢٠٠ ؛ واستعمل لأخيه العادل أثناء سلطنه صلاح الدين ، فى نقش على قلعة القاهرة بتاريخ ٥٧٩هـ – ١١٨٣م (أنظر Van Barchem: Matériaux, p. 81 ؛ فأغلب الظن أن هذا اللقب ، كان العادل ، هو أول من خُصّ به من الخلافة العباسية ، فى حياة أخيه صلاح الدين ، ثم استعاره منه صلاح الدين على نقوشه ، إذ أنه من المستبعد أن يلقب الخليفة العباسى صلاح الدين وأخاه بنفس اللقب ؛ ويبدو أن هذا اللقب كان محببًا للملك العادل ، فحين ناشده الخليفة رفع الحصار عن مدينة سنجار ، بعد أن حاول العادل ضمها لممتلكاته فى بلاد الجزيرة الفراتية ، قدم إليه رسول الخليفة يأمره بالرحيل ، وقال له عن الإمام الناصر ، قال لك : « بحياتى يا خليلى أرحل » (المقريزى : السلو ١ : ١٧١) .

(٤) أنظر القلقشندى : صبح ، ٦ : ١١٣ – ١١٤ . ولقب قسيم أمير المؤمنين ، أول من اتخذه السلطان المملوكى الظاهر بيبرس بعد نقل مقر الخلافة العباسية من بغداد إلى القاهرة (أنظر ابن أيبك : الدرة الزكية ، ص ٤٩ ، المقريزى : السلوك ١ : ٤٤٧ ، حسن الباشا : الألقاب ، ص ٢٠٤) ؛ وهو لقب يشى بمحاولة السلطان المملوكى بيبرس ، الظهور أمام العالم الإسلامى ، بمظهر من يقاسم الخليفة سلطاته على ديار الإسلام (أنظر محمد عبد العزيز مرزوق : جامع الظاهر بيبرس البندقدارى ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثالث مايو ١٩٥٠ م ، ص ٩١ – ١٠٢) ففيه دراسة وافية لألقاب بيبرس اعتمادًا على النقوش التأسيسية لجامعه .

ويبدو أن لقب « قسيم أمير المؤمنين » ، قد أطلق على صلاح الدين ، في الأوساط الشعبية بمصر[١] ؛ وهو لقب حمله من قبل بعض سلاطين السلاجقة[٢] ، كما حمل نور الدين زنكي بعض ألقاب مشابهة له[٣] ؛ ولكن الأرجح أن صلاح الدين وخلفاءه من سلاطين بني أيوب[٤] ، لم يحملوه ، وذلك للإبقاء على النفوذ السياسي للخليفة العباسي ، مهابًا مصونًا .

---

(١) نقش هذا اللقب على طاسة نحاسية من الطاسات التي عرفت بطاسة الخضة ، إذ وصلتنا طاسة من هذا النوع ، حقق الأثريون أنها من عصر صلاح الدين ، ولقد جاءت ألقاب صلاح الدين على هذه الطاسة على هذا النحو " عز لمولانا السلطان الملك المؤيد المنصور أبو المظفر يوسف قسيم أمير المؤمنين .. ، أنظر: Ahmed Zabi: Goupe Magique. p. 265. حيث يلاحظ أن مصطلح " عز نصره " ، ظهر لأول مرة على هذه الطاسة النحاسية وظل مستخدمًا طوال العصر المماليكي .

(٢) أنظر الراوندي : راحة الصدور ، ص ١٤٣ ، حيث يفيد أن بعض سلاطين السلاجقة ، قد تلقب بـ " يمين أمير المؤمنين " ، و " برهان أمير المؤمنين " ، و " قسيم أمير المؤمنين " ، وأنظر قبله .

(٣) تلقب نور الدين زنكي بـ " قسيم الدولة وعمادها " ، و " اختيار الخلافة ومعدها " ، و " رضى الإمامة وأميرها"، و "ناصر دولة أمير المؤمنين" ، أنظر سبط : مرآة ، ٨: ٣٢٢ - ٣٢٣ ، ابن عساكر : تاريخ دمشق - خ ، نسخة المكتبة الأزهرية رقم ٧١٤ ، مصورة بمعهد المخطوطات ف ٧٦ ، ج ١٩ ، لوحة ٥ ب .

(٤) وردت ألقاب الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين ، على لوحة تأسيسية من الخشب ، مؤرخة سنة ٥٩٤هـ - ١١٩٧م ، محفوظة بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة ، خاصة بوقف قيصرية على صوفية خانقاه سعيد السعداء ، على هذا النحو : " .. الملك ، الناصر ، صلاح الدنيا والدين .. سيد الملوك والعبيد ، عماد الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، عضد الدولة القاهرة ، تاج الملة الزاهرة ، نظام العالم ، ملك المعالي ، الملك العزيز عثمان بن أيوب ، ظهير أمير المؤمنين .. ، أنظر : عبد العزيز مرزوق : الفن الإسلامي في العصر الأيوبي ص ٣٦ - ٣٧ .

ووردت ألقاب الملك الكامل محمد بن العادل، على نقش تأسيسي بقبة الإمام الشافعي مؤرخ سنة ٦٠٨هـ/ ١٢١١م على هذا النحو : " .. هذا قبر .. والدة الفقير إلى رحمة ربه محمد ، ولد مولانا السلطان الملك العادل العالم العابد المجاهد المرابط المؤيد المظفر المنصور ، سيف الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، سيد الملوك والسلاطين قامع الخوارج والمتمردين ، قاهر الكفرة والمشركين ، أبو بكر بني أيوب ، خليل أمير المؤمنين .. وأنظر : G. Wiet: Les inscriptions du Mausolee de shafiei, B.I.E. Tome XV, 1932-1933, p. 175 ووردت ألقاب الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل على نقوش ضريحه في قبته ومدرسته على النحو التالي : " .. مولانا الملك الصالح السيد العالم العادل المجاهد المرابط المثاغر ، نجم الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، سيد ملوك المجاهدين ، وارث الملك عن آبائه الأكرمين .. أنظر : Van Berchem: Matériaux .

ويبدو أن رجال دولة صلاح الدين ، قد لقبوه بـ « محى دولة أمير المؤمنين »[١] ؛ وأغلب الظن أن هذا اللقب لم يمنحه الخليفة العباسى لصلاح الدين ، أولاً لعدم وروده فى وثيقة تقليده ، وثانيًا لاستبعاد تصريح الخليفة بمثل هذا اللقب ، حتى ولو كان حقيقى الدلالة ؛ فأغلب الظن إذا أنه جاء من وحى اعتزاز كتاب رسوم المكاتبات والبروتوكولات بديوان الإنشاء المصرى بسلطانهم ، وإشادتهم بدوره فى توحيد العالم الإسلامى حول الخلافة العباسية . ويرى بعض الباحثين أن لقب « محى دولة أمير المؤمنين » الذى لقب به صلاح الدين بصفة غير رسمية ، كان المصدر للقب الذى ابتكره كتاب ديوان الإنشاء فى العصر المماليكى ، وهو لقب « محى الدولة العباسية » ، الذى اتخذه الملك الأشرف خليل ابن قلاوون[٢] .

ولكن رغم أن لقب « محى دولة أمير المؤمنين » ، لم يكن لقبًا رسميًا لصلاح الدين ، فقد استجاز كتاب ديوان الإنشاء بمصر الأيوبية لأنفسهم ، محاكاة للقاضى الفاضل ، إثبات هذا اللقب على نقوش صلاح الدين[٣] ، وعلى نقوده[٤] .

---

(١) جاء هذا اللقب على نقش بقلعة القاهرة مؤرخ سنة ٥٧٩هـ ١١٨٣م أنظر : Van Berehem: Matériaux, p. 81، وهذا اللقب لقب به من قبل ، السلطان السنى محمود الغزنوى ، أنظر الكرملى : النقود العربية ، ص ١٣٣ ، حسن الباشا : الألقاب ، ص ٤٦٣ ، وعن بقية ألقاب محمود الغزنوى ومنها لقب سلطان ، أنظر العتبى : التاريخ اليمينى ١: ٢٠ – ٢٩ .

(٢) تتبع أحمد زكى باشا فى دراسته الممتعة لألقاب صلاح الدين التى وردت على طاسة الخضة لقب " محى دولة أمير المؤمنين " ، لكونه قريب الدلالة من لقب " قسيم أمير المؤمنين " ، الذى نقش على هذه الطاسة ، وانتهى إلى أن الخليفة العباسى لم يمنح هذا اللقب قط لصلاح الدين ، ولكنه كان من ابتكار القاضى الفاضل رئيس ديوان الإنشاء المصرى فى عهد صلاح الدين لوروده فى نص رسالة فاضلية أوردها أبو شامة فى الروضتين ، وما لبث أن شاع هذا اللقب بين كتاب وأدباء العصر الأيوبى ، بحيث استخدمه الخطباء فى أوّل خطبة جامعة أقيمت على منابر بيت المقدس بعد أن استرده صلاح الدين من الصليبيين سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م ، وأيد أحمد زكى رأيه فى أن هذا اللقب لم يكن رسميًا ، بأن القلقشندى حين عرض للألقاب الرسمية ، لم يذكر سوى لقبى " محى السنة " و " محى العدل فى العالمين " ، ومن ناحية أخرى فقد تدارس زكى باشا الوثائق والمكاتبات التى أرسلها خلفاء بنى العباس لصلاح الدين ، فلم يجد إلا لقبًا شبيهًا له ، هو " معز أمير المؤمنين " ولكنه ولا ريب مخالف له فى الدلالة . أنظر : Ahmed Zaki: Coupe magiqua, p. 263 - 265

(٣) أنظر : Van Benchem: Matériaux p.81, Corpus, Egypte, v.1, No, 527، حسن الباشا : الألقاب، ص ٢٠٧ .

(٤) Lane poole: Catalogue of oniental Coins in the British musum, v.4, p. 71-72; soret; Eléments de la numismatique musulmane. p. 168.

وعلى هذا الأساس نستطيع أن نلاحظ ، أن ثمة ألقاب حملها صلاح الدين بطريقة رسمية لورودها فى تقليده الخليفى ؛ وثمة ألقاب حملها أخوه الملك العادل بعد توحيده للدولة الأيوبية سنة ٦٠٤هـ / ١٢٠٧م ، وإقرار الخليفة العباسى له بالسلطنة ، ومنحه التقليد الخليفى الذى لقبه فيه بـ « شاهنشاه ، ملك الملوك ، خليل أمير المؤمنين »[(١)] ؛ أى أن هذه الألقاب الجديدة المضافة إلى ألقاب صلاح الدين الرسمية قد منحت للسلطان العادل بصفة رسمية أيضًا ، ومن ثمّ فقد توارثها سلاطين بنى أيوب ، حتى آخر دولتهم .

وأول الألقاب الرسمية ، التى توارثها سلاطين بنى أيوب « لقب سلطان » ، وهو لقب أطلق - كما سبق القول - على وزراء السيوف المفوّضين ، سواء فى العراق العباسى أو بمصر الفاطمية ، ابتداء من القرن الخامس الهجرى[(٢)] ، وأصبح بمرور الوقت ، وبظهور ملوك الأطراف المستقلين ، يعنى فى العرف السائد ملك الملوك ، أو كبير ملوك الأطراف[(٣)] ؛ وفى اعتقادنا أن أول من حمله بصفة رسمية ، هو السلطان محمود الغزنوى ، سلطان غزنة والهند وإيران ، الذى كان فى القرن الخامس الهجرى ، أقوى ملوك المشرق الإسلامى ، الذين رفضوا الدعوة الفاطمية ، وعمد إلى مساندة الخلافة العباسية فى صراعها مع الخلافة الفاطمية ، من أجل السيطرة على العالم الإسلامى[(٤)] ؛ ولقد أفاد العتبى مؤرخ سيرة هذا السلطان ، أن الذى أوحى إلى الخليفة العباسى بمنح محمود الغزنوى لقب « سلطان » الإمام أبو إسحاق الأسفراينى[(٥)]، وهو من ائمة الدعوة الأشعرية السنية التى وقفت من الدعوة الفاطمية الشيعية موقف الخصومة المذهبية والسياسية[(٦)]؛ فلا غرو أن اعتز محمود الغزنوى،

---

(١) أنظر عن الخلع والألقاب الخليفية التى منحت للسلطان العادل سنة ٦٠٤هـ ، القلقشندى : مآثر الإنافة ، ٢: ٥٩ - ٦٠ ، سبط : مرآة ، ٨: ٥٣٤ ، المكين ابن العميد : أخبار ، ص ١٣٥ - ١٣٦ ، المقريزى : السلوك ، ١: ١٦٨ .

(٢) أنظر قبله ، الفصل الخاص بالقضاء على الدعوة الفاطمية ، حيث ناقشت مسألة تطابق وظيفتى وزارة التفويض والسلطنة .

(٣) عن التطور التاريخى للقب "السلطان" ، أنظر القلقشندى : صبح ، ٥: ٤٤٧ - ٤٤٨ ، ٩: ٣٩٨ ، ٤٠٣ ، ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٣٨ - ٢٣٩ ، أبو المحاسن : النجوم ٥: ٢٧٩ ، السيوطى : الوسائل ، ص ٧٨ .

(٤) أنظر قبله الفصل الخاص بالقضاء على الدعوة الفاطمية ، والوضع الخاص بالوضع السياسى والشرعى لمصر الأيوبية . وأنظر السيوطى : الوسائل ، ص ٧٨ ، حيث ينص على أن محمود الغزبوى هو أول من حمل لقب سلطان .

(٥) أنظر العتبى : التاريخ اليمينى ، ص ٣١ ، وفيه مناقشة لغوية وفقهية لمعنى لقب " سلطان " .

(٦) أنظر قبله الفصل الخاص بإعادة الشعائر السنية إلى مصر ، ونشر الدعوة الأشعرية بها .

بهذا اللقب وذكره على نقوشه[1] ، ثم توارثه عنه جميع سلاطين المشرق الإسلامى السنيين ، المفوضين من قبل الخليفة العباسى ، والقائمين بدعوته ، وهم : السلاجقة ثم الزنكيين ثم الأيوبيين[2] .

وإذا كان البعض قد ذهب إلى أن لفظ « سلطان » يرجع إلى أصل فارسى[3] أو أصل سريانى أو آرامى[4] ، فنحن نستطيع أن نؤكد أن هذا اللفظ عربى ، لوروده أكثر من مرة فى القرآن الكريم[5] ؛ وقد تتبع المؤرخ بدر الدين العينى ، مرات ذكر هذا اللفظ فى القرآن ، فوجد أن الله قد ذكره فى القرآن فى اثنين وثلاثين موضعًا[6] ؛ وقد ذهب اللغويون فى شرح معنى كلمة السلطان ، كما وردت فى القرآن بأنها أحيانًا ما تكون فى معنى « البرهان » ، ومنها ما يكون فى معنى « القدرة » ، وأحيانًا ما تأتى فى القرآن بمعنى « الحجة »[7] ؛ وحاول بعض اللغويين ، تفسير إطلاق هذه اللفظة على خليفة المسلمين ، أو من ينوب عنه فى مباشرة السلطة السياسية فى ديار الإسلام ، فذهب أحدهم إلى أنه إنما قيل للخليفة سلطان لأنه ذو السلطان أى ذو الحجة ، وقيل لأنه به تقام الحجج والحقوق[8] ، وذهب آخر إلى أنه « قيل للأمراء سلاطين ، لأنهم الذين تقام به الحجّة والحقوق »[9] ، وذهب ثالث إلى ان « السلطان إنما سمى سلطانًا ، لأنه حجة الله فى أرضه »[10] فى حين حاول فريق آخر من اللغويين ، تفسير هذه اللفظة تفسيرات مجازية مستمدة من الأوضاع السياسية ، فلاحظ الزبيدى أن « السليط » فى اللغة ما يضاء به ، « والسلطان » ، الوالى ، لتنوير الأرض وكثرة الانتفاع به[11] ، فى حين ذهب ابن منظور إلى أن « السلاطة » فى اللغة القهر ، ومن ثم فإن « السلطان » ، قدرة الملك ، وقدرة من جعل ذلك له[12] .

---

(١) أنظر حسن الباشا : الألقاب ، ص ٣٢٣ .

(٢) أنظر أبو المحاسن : النجوم ، ٥: ٢٧٩ .

(٣) أنظر F. Steimgais: A Comprehenaive Persian- Einghih Dictionary .., New impression 1970, p. 693

(٤) أنظر حسن الباشا ، الألقاب ، ص ٣٢٣ .

(٥) أنظر محمد فؤاد عبد الباقى: المعجم المفهرس لألقاب القآن الكريم ، القاهرة ١٣٦٤هـ ، ص ٣٥٤ – ٣٥٥، ويستفاد منه أن لفظه « سلطان » ، قد وردت فى القرآن ٣٧ مرة ، وليس ٣٢ مرة كما ذكر البدر العينى .

(٦) أنظر البدر العينى : الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر (ططر) ، تحقيق محمد زاهد الكوثرى ، القاهرة ، ٢٣ – ٢٤ .

(٧) أنظر ابن دريد: كتاب الإشتقاق ، تحقيق عبد السلام هارون ، نشر الخانجى ، ١٩٥٨ ، ص ١١١ – ١١٢ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، مادة ، " سلط " ، الزبيدى : تاج العروس ٥: ١٥٩ ، مادة " سلط " .

(٨) نقل هذا الرأى الزبيدى : تاج العروس ، ٥: ١٥٩ ، عن الأزهرى فى كتابه " تهذيب اللغة " .

(٩) هذا رأى ابن منظور ، صاحب لسان العرب .

(١٠) هذا رأى محمد بن يزيد اللغوى ، كما أورده ابن منظور فى لسان العرب .

(١١) أنظر الزبيدى : تاج العروس ، ٥: ١٥٩ .

(١٢) أنظر ابن منظور : لسان العرب ، مادة " سلط " .

ونحن نستطيع اعتمادًا على هذه التعريفات اللغوية لكلمة السلطان ، مع مطابقتها على الأوضاع السياسية والشرعية ، والظروف التاريخية التي صاحبت تلقيب السلاطين السنيين به ، أن نقرر أن هذا اللقب ، عمدت دول الخلافة العباسية برضائها ، إلى منحه لأعظم الملوك السنيين المعاصرين لها ، للإشارة إلى أن هذا الملك ، هو السلطان أو الحجة أو البرهان ، الذى يعلن عن سلطة الخليفة السياسية وعن وجوده الشرعى ، على أساس أنه بالخليفة أو بحجته الذى هو السلطان ، تقام الحجج والحقوق الشرعية ؛ ولما كان هذا اللقب لا يمنح إلا للأمراء العسكريين من أرباب السيوف ، فقد اقترن مفهوم هذه اللفظة فى اللغة بمعنى القدرة والشدّة والحدّة والسطوة ، وأصبحت تسمية عامة ، لكل من يتولى أمرًا من الأمور أو ولاية من الولايات .

وبالنسبة للأسرة الأيوبية فالجدير بالالتفات حقًا ، ما لاحظه الباحثون المحدثون ، أنه من الثابت تاريخيًا أن صلاح الدين لم يتخذ لقب « سلطان » رسميًا ، وإن كان بعض المؤرخين قد أضفوا عليه هذا اللقب[1] ؛ فى حين ذهب بعض الباحثين المحدثين ، إلى أن صلاح الدين هو الذى أطلق هذا اللقب على نفسه[2]، وهى ملحوظة هامة يؤيدها التقليد الخليفى لصلاح الدين الذى سبق دراسته[3] .

وعلى هذا الأساس ، فنحن نستطيع أن نقرر ، أن الملك العادل ، هو أول من حمل لقبى « السلطان » ، و « خليل أمير المؤمنين » ، بصفة رسمية ، من الخليفة العباسى سنة ٦٠٤هـ / ١٢٠٧م ، وعنه توارث جميع سلاطين بنى أيوب هذا اللقب ، حتى نهاية دولتهم ، بل ورثه عنهم سلاطين المماليك بمصر .

أما صلاح الدين ، فقد ورث عنه خلفاؤه لقب « تاج الملوك والسلاطين » ، الذ منحه له الخليفة[4] ، إذ توارث جميع السلاطين الأيوبيين[5] ؛ ويرى البعض أنه فى العصر الأيوبى ، أخذ اللقب

---

(١) أنظر سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك فى مصر والشام ، دار النهضة العربية ١٩٧٠ ص ١٧٥ .

(٢) أنظر : Ahmed zaki: Coupe Magine, p. 260.

(٣) أنظر قبله نفس هذا الفصل ، وعلى هذا الأساس نحن نرفض ما ذهب إليه البدر العينى حين ذهب إلى : " أن لفظة السلطان إنما ظهرت فى دولة بنى أيوب ، أول من ملك منهم هو السلطان صلاح الدين .. ولم يكن أحد قبله يخاطب بالسلطان " ، أنظر العينى : الروض الزاهر ، ص ٢٣ - ٢٤ ، وذلك لأن هذا اللقب قد تلقب به كثيرون قبل صلاح الدين ، سواء بصفة رسمية أو اغتصابًا ، أنظر بعده الفصل الخاص بالوضع السياسى والشرعى ، وأغلب الظن أن البدر العينى ، وهو مؤرخ ألف كتابه فى عصر السلطنة المماليكية بمصر ، وارثة السلطنة الأيوبية ، قد حاول أن يبالغ فى أهمية السلطنة الأيوبية ، بالنسبة لتاريخ الخلافة الإسلامية .

(٤) أنظر القلقشندى : مآثر ، ٣: ٨٧ - ٨٨ .

(٥) حسن الباشا : الألقاب ، ص ٢٣٢ .

المضاف إلى « الدنيا والدين » ، يختص بالسلاطين دون غيرهم ، وأن أوّل من تلقب بهذه الألقاب المضافة إلى الدنيا والدين بصفة رسمية من الخلفاء العباسيين ، هو السلطان طغر لبك ، أول سلاطين السلاجقة[1] .

ولاشك فى أن توارث سلاطين بنى أيوب لهذه الألقاب « السلطان » ، و « تاج الملوك والسلاطين » ، قد ميّزهم عن معاصريهم من ملوك الأطراف فى المشرق الإسلامى ، خاصة بعد أن نهضوا بفريضة الجهاد ضد الصليبيين باسم الخليفة العباسى ، وقيامهم بحماية فريضة الحج ، فضلاً عن إحيائهم لدولة الخلافة العباسية[2] ، وقضائهم على الخلافة الفاطمية والكيانات السياسية الشيعية[3] ؛ كما أن فى حملهم للألقاب المضافة إلى « الدنيا والدين » ، إشارة خفية لتفويض الخليفة العباسى لهم لسلطاته الشرعية التى تشمل الدنيا والدين ، لكون الإسلام دين ودولة .

ولقد استلفت نظر بعض الباحثين[4] ، أن سلاطين بنى أيوب ، قد حملوا جميعًا لقبًا مزدوجًا ، هو « السلطان الملك » ، وعللوا هذا االقب المزدوج بإشارة القلقشندى وابن خلدون ، أن الوزير جعفر البرمكى ، هو أوّل من حمله[5] ، وأن وزراء السيوف فى العصر الفاطمى المتأخر ، قد توارثوا لقب « الملك »[6] ، فى حين أطلق على العادل بن سلار - وكان سنى المذهب - لقب سلطان[7] ، كما اتخذ بعض أخوة وزراء السيوف الفاطميين هذا اللقب[8] ، فى حين منح الخليفة الفاطمى العاضد لقب الملك لشيركوه ولصلاح الدين بصفة رسمية .

وعلى هذا الأساس ، فقد ورث الأيوبيون عن وزراء السيوف الفاطميين لقب ملك[9] ، فى حين آل إليهم لقب سلطان عن طريقين :

---

(١) نفس المرجع ، ص ١٥٤ .

(٢) أنظر بعده الفصل الخاص بالوضع السياسى والشرعى لمصر الأيوبية .

(٣) أنظر قبله الفصل الخاص بالقضاء على الدعوة الفاطمية .

(٤) أنظر : Ahmed zaki: Coupe Magiqne, p. 260-262

(٥) أنظر القلقشندى : صبح الأعشى ، طبع بولاق ٩: ٤٠٥ ، ابن خلدون : المقدمة ، طبع بولاق ١٢٨٤هـ ، ص ١٩٩ .

(٦) أنظر القلقشندى : صبح ، طبعة دار الكتب المصرية ، ٥: ٤٤٧ - ٤٤٨ ، الخالدى : المقصد - خ ، لوحة ١٩٣ أ - ١٩٣ ب ، القلقشندى : صبح ، ٩: ٣٩٩ - ٤٠٤ .

(٧) أنظر المقريزى : إتعاظ الحنفا ، حسن الباشا : الألقاب ، ص ٣٢٣ .

(٨) أنظر المقريزى: الخطط، طبعة بولاق، ١: ٤١١، ٤٨٦، رغم أن هذا الأخ لم يكن إلا مجرد واليًا للإسكندرية.

(٩) ماجد : نظم الفاطميين ، ١: ٨٧ .

أولهما السلاطين الزنكيين الذين عمل أباء الأيوبيين فى خدمتهم .

وثانيهما عن وزراء السيوف الفاطميين(١) .

ويفيدنا القلقشندى ، أن الفرق بين « السلطان » ، و « الملك » ، أن الملك أخصّ ، بمعنى أن السلطان قد يكون تابعًا له أكثر من ملك ، بمعنى أن السلطان يعنى ملك الملوك(٢) ، وهو اللقب الذى لقب به الخليفة العباسى الملك العادل سنة ٦٠٤هـ / ١٢٠٧م ، فخاطبه بـ « شاهنشاه » ، ملك الملوك(٣) .

وثمة بعض الألقاب ، التى منحتها الخلافة العباسية لسلاطين بنى أيوب ، منذ عصر صلاح الدين ، للإشارة إلى قضائهم على الدعوة الفاطمية ، مثل « جامع كلمة الإيمان »(٤) ، « وقامع الخوارج والمتمردين »(٥) ، و « دافع المتمردين فى البلاد »(٦) ، و « دامغ المفسدين فى البلاد »(٧) ، و « ماحى البغى والعناد » ، و « ماحى البغى والفساد »(٨) ، و « مهلك الطغاه والمارقين »(٩) .

كذلك منح سلاطين بنى أيوب ، ألقابًا تمجد دورهم السياسى فى توحيد الجبهة الإسلامية لمواجهة الصليبيين فى بلاد الشام ، ودورهم الحربى فى التصدى للقوى الصليبية بالشام ، وإلحاق الهزائم بها ، واسترداد بيت المقدس من أيديهم مثل ألقاب : « المجاهد »(١٠) ، « المثاغر »(١١) ، « سيد ملوك المجاهدين »(١٢) ، « مطهر قبور الإسلام والمسلمين من رجس الكافرين »(١٣) ،

---

(١) أنظر : حسن الباشا : الألقاب ، ص ٣٢٥ – ٣٢٦ .
(٢) القلقشندى : صبح ، ٩: ٣٩٨ .
(٣) المقريزى : السلوك ، ١: ١٦٨ .
(٤) حسن الباشا : الألقاب ، ص ٥٠٥ – ٥٠٦ .
(٥) أنظر ابن شداد : النوادر ، ١٢٤ – ١٢٦ ، حسن الباشا : الألقاب ،ص ٢٣٥ – ٢٣٦ .
(٦) أنظر حسن الباشا : الألقاب ، ص ٤٢٥ .
(٧) نفس المرجع ، ص ٢٨٦ .
(٨) نفس المرجع ، ص ٢٨٦ – ٢٨٧ .
(٩) نفس المرجع ، ص ٥١٥ .
(١٠) نفس المرجع ، ص ٤٥١ – ٤٠٢ .
(١١) نفس المرجع ، ص ٤٤٩ – ٤٥٠
(١٢) القلقشندى : صبح ، ١٠ : ٩٩ – ١١١ ، نفس المرجع ، ١٩٣ ، ٣٥٠ .
(١٣) حسن الباشا : نفس المرجع ، ص ٤٧٣ .

« قامع عبدة الأوثان »[1]، « قامع عبدة الصلبان »[2]، « حافظ الجمهور »[3] ، « حامى الثغور »[4] ، « سيف الإسلام »[5] ، « سيف الدولة »[6] ، « منقذ بيت المقدس من أيدى الكافرين »[7] .

وأغلب الظن أن بعض هذه الألقاب ، قد منحت رسميًا من الخلافة العباسية ، ووردت في العهود الخليفية لسلاطين بني أيوب ، والبعض الآخر أطلقه بنو أيوب على أنفسهم ، ولكننا لا نستطيع التمييز بدقة بين كلا النوعين من الألقاب ، لعدم توفر جميع التقاليد الخليفية لسلاطين بنى أيوب[8] .

ومن الألقاب الكثيرة والمتنوعة لسلاطين بنى أيوب ، نُولى اهتمامًا خاصًا بألقابهم التى تدل على اتساع نفوذهم السياسى والدينى علي ديار الإسلام ، لكونهم قد أصبحوا بسيطرتهم على الحرمين الشريفين مكة والمدينة ببلاد الحجاز ، واستردادهم لبيت المقدس من أيدى الصليبيين بالشام ، وحمايتهم لفريضة الحج التى صاحبها بعد استردادهم القدس ، ظاهرة الحج لبيت المقدس ، بعد الحج لمكة وذلك بعد انتهاء موسم الحج[9] ، وأهم هذه الألقاب ولا ريب ، « خادم الحرمين الشريفين »[10] ،

---

(١) نفس المرجع ، ص٤٢٥ .
(٢) نفس المرجع ، ص ٢٥٣ .
(٣) نفس المرجع ، ص ٢٥٣ .
(٤) نفس المرجع ، ص٢٥٥ .
(٥) نفس المرجع ، ص٣٤١ .
(٦) نفس المرجع ، ص ٣٤٣ .
(٧) نفس المرجع ، ص ٥١٣ .
(٨) أغلب الظن أن الكتابات الرسمية على النقوش ، كانت تلتزم بالألقاب الرسمية التى منحها الخليفة لسلاطين بنى أيوب ، وفى بعض الأحيان ، كان ديوان الإنشاء المصرى ، يزيد بعض الألقاب التى يؤثرها هؤلاء السلاطين لأنفسهم ويجدونها جديرة بهم ، أو أحيانًا لاستغلالها كوسيلة دعائية إعلامية عن مكانتهم فى العالم الإسلامى ؛ والملاحظ أن هذه الألقاب الفخرية الواردة على النقوش الأثرية للعصر الأيوبى ، الخاصة بمنشآت سلاطين بنى أيوب ، تكاد تطابق الألقاب التى أوردها كتاب ومؤرخو هذا العصر فى الكتب الرسمية التى أهدوها لهؤلاء السلاطين ، أو ألفوها باسمهم ، وذلك فى ديباجة هذه المؤلفات ، أنظر ابن شداد نوادر، ص ٣، س ٩ – ١١ ، ابن مماتى : قوانين ، ص ٥٢ ، س ١ – ٢ ، الشيزرى: المنهج المسلوك ، ص ٣ ، س ٩ – ١١ ، ابن بعره : كشف الأسرار العلمية ، ص ٥٠ ، س ٢٠ ، النابلسى : تجريد سيف الهمة ، لوحة ٢ ، أ – ب لوحة ٩٢ ب ، س ٦ ، النابلسى : إظهار صنعة الحى القيوم ، ص ٢ ، س ٧ – ٨ ، النابلسى : لمع القوانين ، ص ٣ ، س ٦ – ٩ .
(٩) أنظر قبله ، الفصل الخاص بالوضع السياسى والشرعى لمصر الأيوبية .
(١٠) أنظر ابن شداد ، نوادر ، ص ٣ .

و « صاحب الحرمين الشريفين »[١] ، « ومالك الحرمين الشريفين والبيت المقدس »[٢] .

ولا يخفى أن السيادة على الحرمين الشريفين ، تعتبر رمزًا لشمول النفوذ على العالم الإسلامى كله[٣] ، فلا غرو أن أطلق بعض سلاطين الأيوبيين ، على أنفسهم لقب سلطان الإسلام والمسلمين[٤] ، وشجعوا رجال دولتهم على مخاطبتهم بـه[٥] ، بحيث ذاع هذا اللقب فى ديار الإسلام، وطار فى الآفاق، وصار علمًا على سلاطين بنى أيوب ، يلقبهم به العلماء والمفكرون ، حتى من حظى برعاية عظماء ملوك الإسلام ، المزاحمين للدولة الأيوبية فى نفوذها السياسى ، وأعنى بهم ملوك الدولة الخوارزمشاهية فى إيران وما وراء النهر وعراق العجم[٦] .

كما دلّت بعض ألقاب سلاطين بنى أيوب على اتساع نفوذهم السياسى ، وامتداد ممتلكات دولتهم ، وأغلبها ذات دلالة حقيقية ، فى حين أن بعضها ، « صاحب ديار مصر وزبيد وعدن واليمن وديار بكر »[٧] ، « ملك الديار المصرية والشامية والأخلاطية »[٨] ، « شاه أرمن »[٩]، « فاتح الطراز الأخضر من بنى الأصفر »[١٠] .

---

(١) أنظر حسن الباشا : الألقاب ، ص ٣٧١ .

(٢) نفس المرجع ، ص ٤٤٥ ، والواقع أن لقب حامى حمى الحرمين الشريفين ، كان هو اللقب الذى ورثه الظاهر بيبرس ، عن سلاطين بنى أيوب ، وجعله أحد دعائم زعامته للعالم الإسلامى ، بعد أن ساهم فى هزيمة المغول فى عين جالوت سنة ٦٥٨هـ / ١٢٥٨م ، ونقله للخلافة العباسية إلى مصر سنة ٦٥٩هـ / ١٢٦٠م أنظر ابن أيبك : الدرة الزكية ، ص ٤٩ ، والمقريزى : السلوك ١: ٤٤٧ ، وأنظر دراسة مستفيضة لألقاب بيبرس، فى مقال عبد العزيز مرزوق : جامع الظاهر بيبرس البند قدارى : المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثالث ، مايو ١٩٥٠، ص ٩١ - ١٠٢ ، وقد ورث هذا اللقب عن سلاطين المماليك ، سلاطين العثمانيين ، أنظر قبله ، الفصل الخاص بالوضع السياسى والشرعى لمصر الأيوبية .

(٣) حسن الباشا ، الألقاب ، ص ٣٦٨ .

(٤) نفس المرجع ، ص ٣٣١ - ٣٣٣ .

(٥) أنظر ابن شداد : النوادر ، ص ٣ ، النابلسى : تجريد الهمة ، لوحة ٢ ، أ - ب .

(٦) ألف الإمام فخر الدين الرازى ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م ، الذى عاش فى بلاط الدولة الخوارزمية وحظى عند ملوكها ، كتابه أساس التقديس ، وأهداه للسلطان العادل أبى بكر ابن أيوب ، ولقبه بهذا اللقب ، أنظر أساس التقديس ص ٣ ، س ٣ - ٦ ، وأنظر قبله .

(٧) أنظر حسن الباشا : المرجع السابق ، ص ٣٧٢ .

(٨) أنظر : المقريزى : الخطط ٤: ٢١١-٢١٦ (المدرسة الكاملية) ، وخاصة ص ٢١٤ - ٢١٥ .

(٩) أنظر ، سبط : مرآة ، ٨ : ص ٧١١ ، حسن الباشا : المرجع السابق ، ص ٣٥٢ - ٣٥٣ ، وأنظر ديوان ابن النبيه ، ص ١٥ ، ص ٢٢ ، ص ٥٦ ، ص ٧٦ .

(١٠) أنظر حسن الباشا المرجع السابق ، ص ٤١٥ .

ونجد أن آخر سلاطين الأيوبيين ، وهو الملك الصالح نجم الدين أيوب ، تلقب بـ « شهريار الشام » ، « سلطان العرب والعجم » ، « صاحب الحرمين الشريفين » ، « ملك البرين والبحرين » ، « ملك الهند والسند واليمن » ، « ملك صنعاء وزبيد وعدن » ، سلطان المشارق والمغارب »[١] ، والطريف أن الملك الأشرف موسى بن الملك العادل أبى بكر ، وجد فى سيطرته على أغلب أجزاء الجزيرة الفراتية مسوغًا له لينعت نفسه بـ « سلطان العراق »[٢] وبـ « خسروا إيران »[٣] .

وبالنسبة لألقاب سلاطين بنى أيوب ، التى استقر عليها مصطلح رسوم المكاتبات فى ديوان الإنشاء الأيوبى ، فلقد كان سلاطين بنى أيوب ، يخاطبون بـ « مولانا »[٤] ، و « المجلس »[٥] ، و « المقام العالى »[٦] ، و « الجناب »[٧] ، و « المقر الشريف »[٨] ، فى حين كان جميع أفراد الأسرة المالكة الأيوبية ، يطلق عليهم لقب « الأمير »[٩] .

ونختتم ألقاب الأسرة الأيوبية ، بإيراد النعوت التى نعت بها صلاح الدين نفسه ، قبل أن يستقل بحكم مصر ، حينما كان نائبًا عن نور الدين ، ثم عن ابنه الصالح إسماعيل فى حكم مصر ، والنعوت التى نعت بها صلاح الدين نفسه فى مراسلاته مع الخلافة العباسية ، مثل « المملوك »[١٠] ، و « المولى »[١١] ، و « الخادم »[١٢] ، فى حين كان نور الدين يلقب صلاح الدين «بالاسفهسلار»[١٣] بمعنى مقدم العسكر .

---

(١) أنظر حسن الباشا : المرجع السابق ، ص ٥٠٦ .

(٢) نفس المرجع ، ص ٣٣٦ – ٣٣٧ .

(٣) نفس المرجع ، ص ٢٧٥ .

(٤) أنظر القلقشندى : ٦: ٣٠٥ ، ٧: ٨٧ ، ٧: ٨٨ ، حسن الباشا : الألقاب ، ص ٥٢٠ .

(٥) حسن الباشا : المرجع السابق ، ص ٤٥٥ – ٤٥٦ .

(٦) ابن شيث : معالم الكتابة ، ص ٣٦ ، حسن الباشا : نفس المرجع ، ص ٤٨٢ – ٤٨٣ .

(٧) ابن شيث: المصدر السابق ، ص ٣٦ ، القلقشندى : صبح ، ٥: ٤٩٩ ، الباشا : المرجع السابق ، ص ٨٤ ، ٢٤٢ .

(٨) ابن شيث: المصدر السابق ، ص ٣٦ ، الباشا : المرجع السابق ، ص ٨٤ ، ٤٨٩ .

(٩) الباشا : نفس المرجع ، ص ١٨٤ .

(١٠) نفس المرجع ، ص ٥٠٨ – ٥٠٩ .

(١١) نفس المرجع ، ص ٥٠٨ – ٥٠٩ .

(١٢) نفس المرجع ، ص ٢٦٦ – ٢٦٧ .

(١٣) نفس المرجع ، ص ١٥٦ – ١٥٧ .

ولعل من الطريف أن نذكر لقبين ، حملهما بعض ملوك الأيوبيين ، كانا لهما دلالتين فريدتين هما : « بقية الملوك والسلاطين »[1] ، و « شيخ الملوك والسلاطين »[2] .

وإذا كانت الألقاب الرسمية والفخرية ، لسلاطين بني أيوب ، قد أوضحت النفوذ السياسى والدينى ، الذى تمتع به سلاطين بنى أيوب ، وأهمية السلطنة الأيوبية ، بالنسبة للعالم الإسلامى ، والخلافة العباسية ؛ وإذا كان أغلب هذه الألقاب ، قد تتشابه كما أوضحنا مع ألقاب السلاطين المشارقة السنيين ، الذين قاموا من قبل بنفس رسالة السلطنة الأيوبية فى تعضيد الدعوة السنية والخلافة العباسية ، وهم على التوالى سلاطين الغرنويين ثم السلاجقة ثم الزنكيين ؛ فقد لاحظ القلقشندى ، أن الخلع والتشاريف الخليفية ، التى منحت لسلاطين بنى أيوب ، تكاد تطابق الخلع والتشاريف التى منحها الخلفاء العباسيين للأمراء والسلاطين ، الذين قاسموهم السلطة فى بغداد ، مثل أسرتى البويهيين ثم السلاجقة على التوالى ؛ وفى رأى القلقشندى ، أن الأيوبيين ، قد أصبحوا من واقع هذه الخلع ، هم سلاطين الإسلام ، وحماة الخلافة العباسية ، شأنهم شأن سلاطين السلاجقة ، إلا فى كون هؤلاء كانوا قد اتخذوا من بغداد ، مقرًا رسميًا لدار سلطنتهم ، فى حين اتخذ الأيوبيون من مصر ، مقرًا لسلطنتهم[3] .

سلطنات إسلامية متعاصرة ، وأسباب تفرد السلطنة الأيوبية بالتفويض الخليفى فى ديار الإسلام :

والجدير بالملاحظة ، أنه بعد سيطرة صلاح الدين على مصر ، وممتلكات الدولتين النورية والفاطمية ، وتوحيده للجبهة الإسلامية بالمشرق الإسلامى لمحاربة الصليبيين ،[4] عاصر قيام الدولة

---

(١) أفاد القلقشندى ، أن هذا اللقب من ألقاب من له سلف من الملوك ، كصاحب حصن كيفا من الملوك الأيوبية، أنظر القلقشندى : صبح ، ٦: ٤١ .

(٢) أفاد القلقشندى أن هذا اللقب من ألقاب المسنين من الملوك ، قال القلقشندى : هذا اللقب رأيته عن كتاب عن الملك الكامل محمد بن العادل أبو بكر بن أيوب بعث به نجم الدين أيوب ، والد السلطان صلاح الدين ، أنظر صبح ، ٦ : ٥٧ .

(٣) أنظر القلقشندى : مآثر ، ٢: ٥٩ - ٦٠ ، ٢٣٧ - ٢٤٠ ، صبح ، ٣: ٢٦٩ - ٢٧٢ ، وأنظر قبله ، الفصل الخاص بالوضع السياسى والشرعى لمصر الأيوبية .

(٤) لاحظ سبط ابن الجوزى ، أنه فى بدء سنة ٦١٥هـ ، توفى ثلاثة من الملوك الأكابر ، العادل الأيوبى ، ومحمد بن تكش " خوارزمشاه " ، وعز الدين كيكاوس ، سلطان سلاجقة الروم (مرآة ، ٨: ٦٠٠) ، وفى هذا ما يفيد أن أعظم ثلاثة ملوك بالشرق فى مستهل العصر الأيوبى ، كان سلطان سلاجقة الروم ، وسلطان الدولة الأيوبية ، وخوارزمشاه ملك الدولة الخوارزمية ؛ وإلى جانب هؤلاء الملوك الذين وصفوا بـ " الأكابر " ، اشتهر عدد آخر من ملوك الأطراف بديار المشرق الإسلامى ، فيذكر سبط ابن الجوزى أن سنة ٥٨٩هـ ، يقال لها سنة الملوك، مات صلاح الدين، وبكتمرشاه أرمن، وعز الدين صاحب الموصل (مرآة ، ٨: ٤٢١).

الأيوبية بمصر ، ملكان عظيمان من ملوك الأطراف ، ببلاد المشرق الإسلامى ، زاحماه الزعامة السياسية والعسكرية ، وهما : خوارزمشاه ، ملك الدولة الخوارزمية[1] ، التى ورثت ممتلكات السلاجقة فى العراق وإيران وما وراء النهر ، وسلطان سلاجقة الروم ، وهم آخر الفروع التى تبقت من الأسرة السلجوقية[2] ، وذلك بعد ان أزال خوارزمشاه محمد بن تكش السلطنة السلجوقية من بغداد سنة ٥٩٠هـ / ١١٩٣م[3] وبعد سيطرة أسرة البهلوان على سلاطين سلاجقة العجم[4] ، بحيث لم يتبق من الدولة السلجوقة ، إلا فرع سلاجقة الروم بآسيا الصغرى .

---

(١) أعظم ملوك خوارزم الذين عاصروا صلاح الدين ، هو محمد بن تكش ، ت سنة ٦١٦هـ ، قال ابن واصل : " كانت مملكته من حدّ العراق إلى تركستان من بلاد الترك ، مضافًا إلى غزنه وبعض الهند وسجستان وكرمان وطبرستان وغير ذلك من الممالك ، وبالجملة لم يملك أحد بعد إنقراض الدولة السلجوقية مثله ، غير أن السعادة أدبرت عنه ، وزال بزوال ملكه ملك البلاد الإسلامية فى جميع هذه الممالك ، فسبحان من لا يزول ملكه " ، (أنظر مفرج الكروب ، ج ٤ ، ص ٤٥ - ٤٦) . ويقصد ابن واصل بزوال ملكه على يد الغارة المغولية ، ولقد عبر المنشيء النسوى ، مؤرخ البيت الخوارزمى ، الذى دخل فى خدمة سلاطين بنى أيوب بعد زوال الدولة الخوارزمية ، عن اتساع دولة محمد بن تكش بقوله : " بلغ من أمر السلطان الأعظم محمد بن تكش ، وعظم شأنه ، أنه جمع إلى ما أورثه أبوه من خراسان وخوارزم ، ملك العراق ، ومازندران ، وضم إلى هذه الواسطة كرمان ومكران وكيش وسجستان ، وبلاد الغور وغزنة وباميان ، إلى ما يليها من الهند بأغوارها وأنجادها .. وملك على الخطائية وغيرهم من ملوك الترك وما وراء النهر بعد إخافتهم واستئصال شأفتهم ، والجأ المفلتين منهم إلى أقاصى الصين ، .. وخطب له على منابر فارس وإيران وأذربيجان إلى ما يلى دربند شروان ، فتواصلت له فتوح الأقاليم (أنظر النسوى : سيرة جلال الدين منكبرتى ، ص ٣٥ - ٣٧) .

(٢) أنظر عدة إشارات هامة عن أهمية دولة سلاجقة الروم عند الراوندى فى راحة الصدور ، ولقد ألف الراوندى هذا الكتاب لسلطان سلاجقة الروم فى عصره كيسخروبن قلج أرسلان ، ولقد ناشد الراوندى سلطانه " احياء دولة آل سلجوق " ، و " إحياء مراسم العدل ، بتقريب العلماء وتقوية الإسلام ونصرة الشريعة ، وأن يسلك النهج الذى سلكه السالفون من سلاطين آل سلجوق أنظر راحة الصدور ، ص ٨٣ ، كما ناشده أحياء علوم الدين فى آسيا الصغرى ، وأن يحرص على أن تصبح علوم الفقه والكلام ولغة العرب والخط والأدب والشعر الفارسى والعربى متداولة على ألسنتهم فى هذه الناحية ، وأن يعمل على أن تكون آثار السلاجقة ومنشآتهم الدينية والاجتماعية سائدة فى جميع أرجاء العالم (راحة الصدور ، ص ١٠٤) ؛ هذا إلى جانب إنشاء المدارس السنية بآسيا الصغرى ووقف الأوقاف عليها (راحة الصدور ص ١٤٠) . وفى رأى الراوندى أن اقتداء ملوك سلاجقة الروم فى زمانه بالسلاجقة الأوائل سيكون سببًا فى تأكيد دينهم ودولتهم وتأسيس قواعد ملكهم وسلطنتهم (راحة الصدور : ص ١١٨ ، س ٢ - ٣) .

(٣) استعان الخليفة العباسى الناصر لدين الله ، بالسلطان محمد بن تكش الخوارزمى ، للقضاء على آخر سلاطين السلاجقة بالعراق سنة ٥٩٠هـ . أنظر النسوى ، سيرة منكبرتى ، ص ٤٩ ، هامش (٤) ، ويبدو أن الخطبة لسلطان خوارزم قد استمرت ببغداد منذ سنة ٥٩٠هـ وراثة عن سلاجقة العراق ، ثم انقطعت سنة ٦١٤هـ ، كما ذكر النسوى ، أنظر سيرة منكبرتى ، ص ٥٢ ، ويبدو أنه كان لخوارزم شاه شحنة ببغداد أيضًا ، شأن السلاجقة ، أنظر النسوى ، سيرة منكبرتى ، ص ٥٣ - ٥٤ ، وأنظر قبله .

(٤) ابن واصل : مفرج ، ج ٢ ، ص ٢٤٨ .

ولكن رغم مزاحمة هاتين الدولتين الإسلاميتين العظيمتين ، للدولة الأيوبية ; النفوذ السياسى فى بلاد الشرق الإسلامى ، فلقد استطاع صلاح الدين الأيوبى ، أن يحقق له ولدولته ولخلفائه من بعده - مكان الصدارة فى المشرق الإسلامى ، ولقد ساعده على ذلك أسباب عدة إذ توفرت فى شخصيته ولا شك صفات الزعامة ، وأيده تاريخ أسرته المجيد فى جهاد الفرنج بمصر والشام ، إبان خدمتهم لنور الدين زنكى ، فضلاً عن ميراثه لرسالة نور الدين فى توحيد الجبهة الإسلامية ضد الفرنج ، إلى جانب الموقع المتوسط لممتلكاته ، بالشام والجزيرة الفراتية ومصر والحجاز واليمن وبرقة ، إذ تشغل قلب العالم الإسلامى ، وتضم أغلب الأقطار الناطقة بالعربية ، بالإضافة إلى اشتمالها علي المقدسات الإسلامية ، فى الأراضى الحجازية .

وفى اعتقادنا ، أن حصول صلاح الدين على تفويض الخليفة العباسى له سلطاته الشرعية فى ديار الإسلام ، سواء فى أرجاء الممتلكات الأيوبية ، أو فيما يستجد للسلطان فتحه من ديار الحرب أو استرداده من البلاد التى اغتصبها الصليبيون ; ثم تخويل الخليفة للسلطان ، حق ذكر اسمه بعد اسم الخليفة ، على منابر ممتلكات الدولتين النورية والصلاحية الزائلتين[1] ; وخاصة منابر الحرمين الشريفين بمكة والمدينة[2] ، وبيت المقدس بعد استرداد صلاح الدين له من الفرنج سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م[3] ، وأخيرًا بالمسجد الجامع بالقسطنطينية ، عاصمة الدولة البيزنطية زعيمة العالم المسيحى سنة ٥٨٦هـ / ١١٩٠م[4] ; قد جعل صلاح الدين فى الواقع نائبًا عن الخليفة العباسى فى جميع أرجاء الدولة الأيوبية ، التى اتسعت ، وبلغ أمتدادها من أطراف أرمنية الإسلامية والجزيرة الفراتية شمالاً إلى اليمن وبلاد النوبة جنوبًا ، وامتدت غربًا حتى بلاد القيروان[5] ; وما لبث السلطان العادل

---

(١) أنظر قبله ، نفس هذا الفصل دراستنا للتقليد الخليفى لبنى أيوب .

(٢) أنظر قبله ، الفصل الخاص بالوضع السياسى والشرعى ، وأنظر على الخصوص ، ابن جبير : الرحلة ، ص ٧٢ – ٧٣ ، ٨٠ .

(٣) دعا خطيب صلاح الدين ، على منبر بيت المقدس " للخليفة والسلطان " ، على حد قول العماد الأصفهانى ، أنظر الفتح القسى ، ص ١٤٠ ، س ٢ ، ص ١٣٧ – ١٤٠ ، ص ١٤٥ – ١٤٦ ، ص ١٤٧ س ١٦ – ١٧ ، حيث يقول عن القدس " رفعت الأعلام العباسية على منبره " ،وأنظر أيضًا ص ١٩٨ ، س ٦ – ٢٠ .

(٤) أنظر ابن شداد : النوادر ، ص ١٣٢ – ١٣٣ ، العماد : الفتح ، ص ٤١٤ ، سبط : مرآة ، ٨: ٤٠٤ ، الذى يقول : " خطب للخليفة والسلطان بقسطنطينية " ، ابن واصل : مفرج ٢: ص ٣٢٨ – ٤٢٩ ، ابن عبد الظاهر : الدر النظيم ، ص ٣٧ – ٤٢ ، المقريزى : السلوك ١: ٩٨ وهامش (١) ، وأنظر قبله ، الفصل الخاص بالوضع السياسى والشرعى لمصر الأيوبية .

(٥) أنظر كارل بيكر : دائرة المعارف الإسلامية ، الترجمة العربية ، الطبعة الأولى ، مادة أيوبيين ، أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الإسلامية ، ج ١ ، ص ١٤٢ – ١٥٧ ، ٣٥٠ – ٣٥١ ، وأنظر قبله .

الأول أبي بكر بن أيوب ، أن ربط دولته بدولة الخلافة العباسية ، برباط وثيق ، امتزجت فيه دعوة الجهاد ، بروح الصوفية وأخلاق الفتوة والفتيان ، بالأهداف السياسية والمذهبية للخلافة العباسية ، حين بادر بالاستجابة لدعوة الفتوة الخليفية الناصرية فى سنة ٥٥٩هـ / ١٢٠٢م قبل تفرده بالسلطنة الأيوبية ثم فى سنة ٦٠٥هـ / ١٢٠٨م ، عقب تربعه على السلطنة الأيوبية ووصول تقليده الخليفى وخلعه الخليفية بسنة واحدة ، مما حدا بجميع ملوك الأطراف المسلمين ، إلى الانضمام إلى دعوة الفتوة الناصرية ، متابعة للسلطان الأيوبى(١) .

ولقد سبق التدليل ، اعتماداً على وثائق العصر الأيوبى ، وعلى الحوادث التاريخية ، أن ممتلكات الدولة الأيوبية الواسعة ، وعلى رأسها مصر ، كانت من الناحية الشرعية النظرية ، ملكا للخليفة العباسى(٢) ؛ ذلك لأن صلاح الدين كما أكدت رسائله المتبادلة مع الخليفة العباسى ، بغرض إطلاعه على أسرار سياسته الحربية الخارجية ، أو بغرض البشارة بما تم من الفتوح(٣) ، كان يقوم بكل هذه الفتوحات باسم الخلافة العباسية ، ونيابة عنها ؛ وهذا فى الواقع ما منحه حق استنفار ملوك الأطراف المسلمين ، إلى الانضمام إلى جيوشه ، للقيام بفريضة الجهاد ، وفى نفس الوقت ، ألزم هؤلاء الملوك ، ضرورة الاستجابة لاستنفاره لهم(٤) .

ولاشك أن ميراث صلاح الدين لمكانة نور الدين ببلاد المشرق الإسلامى(٥) ، كان من أقوى الركائز التى استند عليها لتأكيد سطوته بين ملوك الشرق ، فكما ورث صلاح الدين ممتلكات نور الدين(٦) ، ومكانته السياسية ، فقد ورث أهدافه البطولية فى استرداد بيت المقدس(٧) ، وورث

---

(١) أنظر ابن شاهنشاه : مضمار الحقائق ، ص ٨٦ ، ١٧٧ ، ١٧٩ - ١٨٠ ، سبط : مرآة ، ٨: ٥١٣ ، ابن أيبك : الدر ، ص ١٦٥ ، ابن واصل : مفرج ، ٣ : ٢٠٦ - ٢٠٧ ، المقريزى السلوك ، ١: ١٧٢ ، ١: ٢١٨ ، س ٦ - ٧ ، ابن الساعى : الجامع المختصر ، ٩: ٢٣٣ - ٢٣٥ ، وأنظر قبله .

(٢) أنظر قبله ، الفصل الخاص بالوضع السياسى والشرعى لمصر الأيوبية .

(٣) أنظر قبله ، نفس الفصل السابق .

(٤) أنظر قبله ، نفس الفصل السابق .

(٥) قال سبط ابن الجوزى ، بعد أن عدد الحصون والبلاد التى استردها نور الدين زنكى من الصليبيين بالشام " فتح نيفا وخمسين حصنًا .. واتسع ملكه ، ففتح الموصل والجزيرة وديار بكر والشام والعواصم ودمشق وبعلبك وبانياس ومصر واليمن ، وخطب له فى الدنيا " (مرآة ، ٨: ٣٠٥ - ٣٠٦) .

(٦) أنظر قبله .

(٧) قال سبط ابن الجوزى ، نقلاً عن ابن الأثير : " ما كان يرى نور الدين إلا خلاص القدس من الفرنج واستئصالهم من الساحل " ، مرآة ، ٨: ٣٢١ ، س ٤ - ٥ ، وقال فى موضع آخر : كان فى عزمه (نور الدين) ، أن يفتح بيت المقدس ، فعمرّ منبرًا وقبلة بجامع حلب على اسم القدس ، فتوفى قبل الفتح ، فلما ملك صلاح الدين البيت المقدس ، حمل المنبر إليه وأبقى القبلة بجامع حلب ، أنظر مرآة ، ٨: ٣١٣ .

كذلك طموحاته السياسية في الاستيلاء على ممتلكات سلاجقة الروم في شمال الجزيرة الفراتية وفي أرمنية الإسلامية ، بل والإطاحة بسلطنتهم التي أقاموها بآسيا الصغرى حتى تنضوي دولتهم تحت لوائه[١] ، في كيان سياسي وعسكري موحد .

لهذا لا نعجب من إقدام صلاح الدين ، بعد استقواء دولته على محاربة سلطان سلاجقة الروم في سنة ٥٧٥هـ / ١١٧٩م ، وإرغامه على الدخول في طاعته[٢] ، ثم توقيع صلحًا مشتركًا يقضي بتعاون السلطانيين في وجه الكيانات الصليبية في سنة ٥٧٦هـ / ١١٨٠م[٣] ، وهو ما تم في نفس هذه السنة ، حين ساند السلطان صلاح الدين ، سلطان سلاجقة الروم ، إبان صراعه مع مملكة أرمينية المسيحية[٤] ، تلك المملكة المسيحية المتعاطفة مع الحركة الصليبية والتي كان الاستيلاء عليها يمثل إحدى طموحات نور الدين قبيل وفاته[٥] .

ثم ما لبث سلطان سلاجقة الروم ، أن أعلن في سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م ، بعد انتصار صلاح الدين على الصليبيين في حطين ، دخوله في طاعة صلاح الدين واتحاده معه[٦] ، وتابعه في ذلك ، جميع ملوك الأطراف المسلمين ، الذين راسلوا صلاح الدين بعد تمام فتح القدس في سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م ، يطلبون لأنفسهم منه تقليدًا على بلادهم[٧] ، وكان على رأس هؤلاء الملوك ، آخر ملوك سلاجقة العجم الذين سيطروا على عراق العجم ، وملوك الأراتقة الذين سيطروا على أغلب أقاليم الجزيرة الفراتية[٨] ؛ وفي هذا إقرار رسمي من جميع ملوك المشرق الإسلامي ، بشمول النفوذ السياسي لصلاح الدين على جميع بلاد المشرق الإسلامي على أساس أنه « سلطان » المسلمين ، أي ملك ملوك الإسلام[٩] ؛ فلا غرو أن أصبح لقب « سلطان » يشير إلى صلاح الدين دون غيره ،

---

(١) عن محاولة نور الدين زنكي ، ضم دولة سلاجقة الروم إليه سنة ٥١٨هـ ، أنظر سبط : مرآة ٨: ٢٣٣ – ٢٣٤ ، ٢٩٤ ، ابن واصل : مفرج ، ١: ٢٣٣ – ٢٣٤ ، ٢: ٩٦ – ٩٨ .

(٢) أنظر العماد : الفتح ، ص ١٨١ ، ص ٢١١ – ٢١٣ ، المقريزي : السلوك ١: ٦٨ – ٦٩ و ١١٢ ، ابن واصل : مفرج ، ٢ : ٧٩ .

(٣) أنظر ابن شاهنشاه : مضمار ، ص ٤٢ ، ابن واصل : مفرج ، ٢: ٩٦ – ١٠٠ ، أبو المحاسن : النجوم ، ٦: ٢٧ ، ٢٨ .

(٤) أنظر واصل ، ٢: ٩٦ – ١٠٠ ، أبو المحاسن : النجوم ، ٦: ٢٧ – ٢٨ .

(٥) أنظر ابن واصل : مفرج ، ١: ٢٣٦ .

(٦) أنظر على الخصوص : العماد : الفتح ، ص ٢١١ – ٢١٣ ، وأنظر قبله .

(٧) أنظر العماد : الفتح ، ص ١٨١ ، وص ٢١١ .

(٨) أنظر العماد : الفتح ، ص ٢١٢ – ٢١٣ ، ص ٥٧٢ – ٥٧٦ .

(٩) أنظر قبله مناقشة المفهوم الاصطلاحي للفظ " سلطان " .

حتى لو ورد فى سياق الحديث أخبار أحد سلاطين السلاجقة المعاصرين له[1] .

وكما اقنع صلاح الدين ملوك الأطراف المسلمين بالانضمام إليه والاعتراف بسلطنته ، وشمول نفوذه السياسى على ممالكهم اثر استرداده لبيت المقدس سنة ٥٨٣هـ ؛ فإن هذا الانتصار الحاسم للسلطان صلاح الدين على القوى الصليبية قد أرغم الإمبراطور البيزنطى الذى عرف بملك القسطنطينية على التخلى عن الحركة الصليبية ، وإرسال سفارة لصلاح الدين لتوقيع صلح معه يقضى بإقامته الخطبة « للدعوة الإسلامية العباسية » فى جامع القسطنطينية باسم السلطان صلاح الدين ، الذى أرسل مع السفير البيزنطى الخطيب والمنبر وجمعًا من المؤذنين[2] ؛ وقد شجعت هذه الخطوة الجريئة من الأمبراطور البيزنطى - زعيم العالم المسيحى الشرقى - ملك مملكة أرمينية المسيحية المعروف بالكيكاوس على مراسلة صلاح الدين بدوره ، وعرض عليه خدماته بخصوص إبلاغه بتحركات الحملات الصليبية[3] .

وفى هذا ما يؤكد أن صلاح الدين قد أصبح بعد انتصاره فى حطين واسترداده بيت المقدس ، سلطان الإسلام والمسلمين ، سواء فى نظر الخلافة العباسية ، أو فى نظر ملوك الأطراف المسلمين ، أو حتى فى نظر الممالك والدول المسيحية ، ببلاد الشرق ، وهى الأمبراطورية البيزنطية ، ومملكة أرمينية المسيحية .

وإذا كان سلطان سلاجقة الروم ، قد أقرّ للسلطنة الأيوبية بالزعامة على بلاد المشرق الإسلامى ، وأعلن انضمامه رسميًا للدولة الأيوبية فى تحالف سياسى وعسكرى سنة ٥٧٦هـ / ١١٨٠م ، فإن هذا فى واقع الأمر قد ضمن للسلطنة الأيوبية زعامة العالم السنى فى ذلك الوقت ، وعلى رأسه الخليفة العباسى ، ذلك لأن الدولة الخوارزمشاهية ، - التى كانت ولا ريب أقوى مملكة إسلامية بالمشرق الإسلامى فى القرن السادس الهجرى ، إذ ضمت بلاد ما وراء النهر إلى حدود

---

(١) أنظر سبط : مرآة ، ٨: ٤٠١ ، وقد تأكدت سيطرة وزعامة السلطان الأيوبى على جميع ملوك الأطراف ، حين وافت رسل ملوك الأطراف المسلمين ورسل الخليفة العباسى ورسل الفرنج السلطان الكامل محمد بن العادل سنة ٦٢٩هـ ، حين نهض لحرب المغول ، وألبسه رسل الخليفة خلعة السلطنة ، وكان من ضمن رسل ملوك الإسلام ، رسل ملك الهند ورسول صاحب جزيرة الأندلس ، أنظر ابن أيبك : الدر المطلوب ، ص ٣٠٥ - ٣٠٦ ، المقريزى السلوك ١: ٢٤٣ .

(٢) أنظر ابن شداد : النوادر ، ١٣٢ - ١٣٣ ، العماد : الفتح ، ص ٤١٤ ، سبط مرآة ، ٨: ٤٠٤ ، ابن واصل : مفرج ، ٢: ٣٢٨ - ٤٢٩ ، ابن عبد الظاهر : الدرّ النظيم ، ص ٣٧ - ٤٢ ، المقريزى : السلوك ، ١: ٩٨ ، وهامش (١) ، وأنظر قبله .

(٣) أنظر ابن شداد : النوادر ، ص ١٢٤ - ١٢٦ .

الصين وبلاد الهند وإيران وعراق العجم والجزيرة الفراتية ـ كانت تعتنق الدعوة الشيعية[1] ، شأن الدولة البويهية من قبل[2] ، وعلى هذا الأساس فإن ملك خوارزم الشيعي ، لم يكن من ناحية الانتماء العقائدى ، يصلح لتبنى الدعوة العباسية السنية ، التى التف المسلمون حولها بعد سقوط الخلافة الفاطمية الشيعية بمصر على يد الأيوبيين[3] .

ومع ذلك فقد اعتبر خوارزمشاه نفسه ، وارثًا لسلاطين السلاجقة السنيين ، فى السيطرة على الخلافة العباسية ببغداد ، والخطبة باسمه بعد الخليفة العباسي على منابر العراق ، وذلك بعد أن نجح خوارزمشاه فى سنة ٥٩٠هـ / ١١٩٣م ، فى إنهاء الوجود السياسى والعسكرى لسلاطين السلاجقة من العراق[4] ، وأغلب الظن أن استقواء النفوذ السياسى والعسكرى لخوارزمشاه محمد بن تكش ، وطموحه فى السيطرة على الخلافة العباسية بالعراق ، سيطرة مباشرة لقربها من دولته ، هو الذى

---

(١) إن غلبة دعوة الشيعة المعتزلة على بلاد خوارزم ، قد تم فى اعتقادنا منذ أيام الدولة الخوارزمية الأولى ، التى كانت تعرف بالدولة المأمونية ، وهذا هو السبب فى الواقع فى عداء السلطان محمود الغزنوى ، أول السلاطين السنيين ، للدولة الخوارزمية الأولى وإبادته لها ، وعلى هذا الأساس يكون دخول الدعوة الشيعية إلى خوارزم ، قد تم على الأقل فى مطلع القرن الخامس الهجرى ، إذ ألف القاضى عبد الجبار الهمدانى ت ٤١٥هـ / ١٠٢٤م ، أهم كتب الدعوة الاعتزالية ، وهو كتاب فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ، لخوارزمشاه مأمون بن مأمون الذى تولى سنة ٣٩٠هـ ، وتوفى سنة ٤٠٧هـ . أنظر القاضى عبد الجبار : فضل الاعتزال ، تحقيق فؤاد سيد ، تونس ١٩٧٤م ، ص ١٣٧ وهامش (١) . وقد بقيت دعوة الاعتزال قوية فى خوارزم حتى بعد إبادة السلطان محمود الغزنوى للدولة الخوارزمية الأولى ، حين أرسل المعتزلة إلى خوارزم أحد كبار دعاتها وهو أستاذ المفسر الشهير الزمخشرى ، صاحب التفسير المسمى بالكشاف ، وعنه أخذ الزمخشرى دعوة الاعتزال (أنظر زهدى : جار الله : المعتزلة ، القاهرة ١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م ، ص ٢١٧ – ٢١٨) ، وقد صرح الزمخشرى فى ديباجة تفسيره الكشاف أنه أملاه فى مكة ، بعد أن ألح عليه أصحابه من المعتزلة أهل العدل والتوحيد فى خوارزم فى تأليفه . بمعنى أن الاعتزال ظل قويًا فى خوارزم طوال القرن السادس الهجرى فى عهد الدولة الخوارزمية الثانية ، وهذا ما دعى إلى إقدام الإمام فخر الدين الرازى ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م أشهر علماء الدعوة الأشعرية السنية فى عصره ، على إهداء كتابه أساس التقديس ، للسلطان العادل الأيوبى ، رغم أنه كان من أصدقاء خوارزمشاه والمقربين إلى بلاطه والمقيمين فى دولته ، وقد ألمح الفخر الرازى إلى هذا السبب فى ديباجة كتابه أساس التقديس ، أنظر قبله الفصل الخاص بإعادة الشعائر السنية إلى مصر ، ونشر الدعوة الأشعرية بها .

(٢) أنظر قبله .

(٣) أنظر قبله .

(٤) أنظر المنشىء النسوى : سيرة جلالة الدين منكبرتى ، ص ٤٩ هامش (٤) ، ص ٥٠ – ٥٣ ، ص ٦٤ ، ص ٢٠٧ .

وقف حائلاً دون تمتع صلاح الدين رسميًا بلقب « سلطان » حتى وفاته[1] سنة ٥٩٨هـ / ١٤٠١م ؛ ويبدو أن الخطبة لخوارزمشاه استمرت ببغداد منذ سنة ٥٩٠هـ / ١١٩٣م ، وراثة عن سلاجقة العراق ، ثم انقطعت سنة ٦١٤هـ / ١٢١٧م[2] .

ورغم تشيع الدولة الخوارزمشاهية ، ورغم الدلالة السنية للقب « السلطان » ، فإن ملوك الدولة الخوارزمشاهية ، الذين عاصروا سلاطين بني أيوب ، قد حاولوا إرغام الخلافة العباسية وملوك الأطراف المسلمين على مخاطبتهم بلقب « سلطان » ، الذى خوطب به ملوك بنى أيوب منذ عصر السلطان العادل الأول سنة ٦٠٤هـ / ١٢٠٧م[3] ، ولكن الخلافة العباسية أبت عليهم هذا اللقب ، أغلب الظن لتشيعهم ، من ثمّ رفض ملوك المسلمين ، تلقيب ملك الدولة الخوارزمية بلقب « سلطان »[4] ، الذى صار علمًا على ملوك بنى أيوب .

وكان تشيع خوارزمشاه محمد بن تكش ، واستهانته بالخلافة العباسية ، ودعوتها السنية هو الذى زيّن له ـ فى رأينا ـ فكرة الاستيلاء على العراق ، والسيطرة على الخلافة العباسية سنة ٥٩٠هـ / ١١٩٣م[5] ، وإقامة سلطنة استبدادية شيعية ، تحجر على خلفاء بنى العباس[6] كما فعل أمراء بني بويه ، الشيعة من قبل بعد سيطرتهم على بغداد ، فى حين ظل سلاطين الأيوبيين وسلاجقة الروم ، وكلاهما من أهل السنة ، على ولائهم التقليدى المتوارث نحو الخلافة العباسية .

---

(١) أنظر قبله .

(٢) أنظر النسوى : سيرة منكبرتى ، ص ٥٢ ، وص ٣ .

(٣) أنظر قبله ، نفس هذا الفصل .

(٤) يقول النسوى : كان جلال لادين يكتب إلى الخليفة ... والوحشة قائمة ، حذوا على منوال أبيه (خادمه المطواع منكبرتى بن السلطان سنجر) ، ولما خلعت علي خلعت السلطنة .. سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م ، كتب إليه – أى إلى الخليفة – (عبيدة) والخطاب (سيدنا ومولانا أمير المؤمنين وإمام المسلمين وخليفة رسول رب العالمين ، وإمام المشارق والمغارب) ، وكان جلال الدين يكتب إلى علاء الدين كيقباذ – سلطان سلاجقة الروم – وملوك مصر والشام أجمع – بنى أيوب – اسمه واسم أبيه منعوتًا بالسلطان ولم يكتب شيئًا مما جرت به العادة من خادمه أو محبه أو أخيه ... ، وقد خاطبوه من الخليفة ... بـ (الجناب الرفيع الخاقانى) ؛ ولم يزل يقترح عليهم خطابه بـ " السلطان " فلم يجب إلى ذلك ، إذ لم تجر العادة به ، مع من تقدمه من كبار الملوك ، فلما كثر إلحاحه ، خاطبوه حين حملت إليه خلع السلطنة ، بـ (الجناب العالى الشاهنشاه) ، (أنظر سيرة منكبرتى ، ص ٣٨٤ – ٣٨٥) .

(٥) أنظر سبط : مرآة ، ٨: ٤٧٢ .

(٦) يقول ابن واصل : " حدّثته نفسه بقصد العراق وتملكه وتصيير الخليفة تحت حكمه ، كما كان الأمر فى استيلاء السلجوقية وبنى بويه قبلهم على الخلفاء ، (مفرج ٤: ٣٥) .

وحين كاتب خوارزمشاه الخلافة العباسية بأنه : يطلب ما كان لبنى سلجوق من الحكم والملك ببغداد . وترددت الرسل فى ذلك مرارًا ، فلم تجب إلى مراده لعلم الخلافة بتشاغل خوارزمشاه فى حروب مع الترك المغول ، بعد أن أوضح رسل الخلافة له ، أن تحكم بنى سلجوق فى بغداد ، اقتضته الظروف السياسية والمذهبية الحرجة التى صاحبت فتن البسا سيرى القائد والداعية الفاطمى حين تغلب على بغداد سنة ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م وخطب بها للخليفة الفاطمى : وإلا فليس يحتم أن يكون مع الزمان على أكتاف الخلافة ، متحكم يأمر فيها ، وينهى كيف شاء[1] ، على حد قول سفراء الخلافة العباسية .

ومع ذلك فقد قام خوارزمشاه بمحاولتين عسكريتين للسيطرة على بغداد والحجر على الخليفة العباسى ، أولهما سنة ٦١٤هـ / ١٢١٧م[2] ، حين أعاقه سقوط الثلج فظن أن هذا من كرامات البيت العباسى ، وخاطبه بعض خواصه بأن « ذلك غضب من الله ، حيث قصدت بيت الخلافة »[3] ، فأبدى خوارزمشاه الندم عن مهاجمته عاصمة الخلافة[4] ؛ إلا أن هذا لم يحل دون قيام ابنه جلال الدين منكبرتى ، آخر ملوك خوارزم بمحاولة أخرى لقصد بغداد والحجر على الخليفة العباسى ، وذلك فى سنة ٦٢٢هـ ، وكاتب الملك المعظم عيسى الأيوبى صاحب بلاد الشام والجزيرة الفراتية ليشترك معه فى هذه الحملة على بغداد إلا أنه اعتذر له قائلاً : « أنا معك على كل حدّ ، إلا الخليفة ، فإنه إمام المسلمين »[5] .

وعلى هذا نستطيع أن نقرر أن تشيع ملوك الدولة الخوارزمشاهية[6] ، واستهانتهم بالدعوة العباسية والخليفة العباسى ، ومحاولتهم الحجر عليه والسيطرة على بغداد وإقامة حكم عسكرى استبدادى بها ، قد حال دون اعتراف الخليفة العباسى وملوك الأطراف باتخاذ ملوك خوارزم للقب سلطان ، الذى أصبح علمًا على سلاطين بنى أيوب ، حماة الخلافة العباسية ، والدعوة السنية .

---

(١) النسوى : سيرة منكبرتى ، ص ٥٠ .

(٢) أنظر سبط : مرآة ، ٨: ٥٨٢ ، أبو المحاسن : النجوم ، ٦: ٢٦٩ - ٢٢٠ .

(٣) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ٢٩٨ .

(٤) أنظر نص هام أورده النسوى فى هذا المعنى : سيرة منكبرتى ، ص ٦٤ .

(٥) سبط : مرآة ، ٨: ٦٣٤ .

(٦) يعتقد د. أحمد السعيد سليمان أن ملوك خوارزم اعتنقوا التشيع ابتداء من سنة ٦١٤هـ ، وهذا الذى دفعهم لقصد بغداد أنظر : تاريخ الدول الإسلامية ، ٢: ٣٧٥ ، ولكننا أوضحنا أن دعوة الشيعة المعتزلة التشرت فى خوارزم من القرن الخامس الهجرى ، أنظر قبله .

أصبحت السلطنة الأيوبية إذا ، منذ عهد صلاح الدين ، وطوال عصور خلفائه ، هي الممثلة للخلافة العباسية ، والمفوّضة من قبلها ، والمتحدثة باسمها ، والمنفذة لسياستها ، سواء على المجال الإسلامي أو العالمي على حدّ سواء ؛ ولقد أملى هذا الولاءللخلافة العباسية ، والتبعية لدعوة خلفاء بني العباس ، على الدولة الأيوبية منذ قيامها ، موقفًا معاديًا تجاه الخلافة الموحدية بالمغرب ، التي كان قد أعلن قيامها بنو عبد المؤمن ، مظهرين بذلك استقلال خلافتهم عن الخلافة العباسية ، وعللوا هذا المسلك ، بأنهم قد احتسبوا على خلفاء بني العباس بعض المنكرات[1] ؛ وقد أقرّ فقهاء الإسلام الأمر الواقع ، واعترفوا بشرعية قيام الخلافة الموحدية بالمغرب ، وبنوا تخريجهم الفقهي هذا ، الذي ينافي رأي أغلب الفقهاء في عدم شرعية تعدد الخلافة في دار الإسلام ، على أساس وقوع ممتلكات الخلافة الموحدية بالمغرب والأندلس ، في بقعة بعيدة عن نظر الخليفة العباسي ، الذي يمثل بيته ، أقدم خلافة إسلامية قائمة في ديار الإسلام ، وتداخل بلاد المغرب والأندلس ، مع بلاد ديار الحرب ، ووجود بعض رعاياها المسلمين في الجزائر الواقعة فيما وراء دار الحرب ، الأمر الذي جعل الخليفة الموحدي المباشر الفعلي لمصالحهم[2] .

ولكن رغم هذا التخريج الفقهي لشرعية الخلافة الموحدية بالمغرب ، فإن خلفاء بني عبد المؤمن ، كانوا من الناحية الفعلية والشرعية ، سلاطين عسكريين ، لعدم توفر شروط الخلافة فيهم ، لأنهم ليسوا من قريش ، فهم إذًا سلاطين حملوا لقب الخلافة ، شأن الخلفاء العثمانيين الأتراك في القرن العاشر الهجري / ١٦م[3] .

ويبدو أن الدعوة المؤمنية الموحدية ، قد تميزت بنوع من التشدّد ، إذ نظرت إلى دعوتها على أنها هي الدعوة الإسلامية الحقة ، في حين أن باقي ديار الإسلام ، قد تابع في دعواته المذهبية آراء الفرق الكلامية ؛ فنجد الراحلة المغربي ابن جبير ، وهو في أغلب الظن أحد كبار الدعوة المؤمنية الموحدية ، يقرّر بعد مشاهدته لتعدد الفرق الإسلامية ، والميول السياسية في بلاد المشرق الإسلامي أنه « لا إسلام إلا ببلاد المغرب ! » « ولا عدل ولا حق ولا دين على وجهه إلا عند الموحدين » ؛ وهو يصف خلفائهم بأنهم « آخر أئمة العدل في الزمان ، وكل من سواهم من الملوك في هذا الأوان على

---

(١) أنظر قبله ، الفصل الخاص بالوضع السياسي والشرعي ، وأنظر الآن سبط : مرآة ، ٨: ١٥١ و ٢٤٥ – ٢٤٦ ، ٣٧٤ – ٣٧٥ ، ٤٤٦ – ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٦٤ – ٤٦٥ .

(٢) أنظر الجويني : غياث الأمم، ص ١٢٨ – ١٣٠ .

(٣) أنظر قبله ، الفصل الخاص بالوضع السياسي والشرعي .

غير الطريقة » ؛ والطريف أنه استثنى عن حكمه التعسفى هذا السلطان صلاح الدين بقوله : « اللهم إلا هذا السلطان العادل صلاح الدين »[1] .

وإذا كان الأيوبيون قد استطاعوا بعد جهود دامت حوالى خمسة عشر عامًا (من ٥٦٨هـ / ١١٧٢م - ٥٨٣هـ / ١١٨٧م) ، إعادة الخطبة للخليفة العباسى على منابر القيروان ، بعد انتزاعها من يد الخليفة ابن عبد المؤمن الموحدى[2] ، فإن هذا قد سبب ولا ريب عداءًا حربيًا وتناحرًا سياسيًا بين الدولتين الأيوبية والموحدية ؛ غير أن ظروف الوجود الصليبى ببلاد الشام ، ونهوض الدولتين بفريضة الجهاد ، الأيوبيين ضد الصليبيين بالشام ، والموحدين ضد حركة الاسترداد المسيحى بالمغرب والأندلس ، قد دفع بعاهلى الدولتين إلى محاولة التقارب ، بغرض التعاون العسكرى ضد الخطر الصليبى ، الذى أضحى خطرًا مشتركًا ، يهدد ديار الإسلام ، من الشرق والغرب على السواء .

فتراسل صلاح الدين مع الخليفة الموحدى المنصور أبى يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن على مدى سنتين ، بعد تمام فتح بيت المقدس سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م ، إذ استمرت هذه المراسلات من سنة ٥٨٤هـ / ١١٨٨م إلى سنة ٥٨٦هـ / ١١٩٠م ؛ ولدينا نصوص لبعض هذه المكاتبات التى أرسلها صلاح الدين بإنشاء القاضى الفاضل ، وفيها يعرض صلاح الدين على الخليفة الموحدى أسرار سياسته الحربية تجاه القوى الصليبية ، ويناشده عقد حلف بحرى بينهما ، يقضى بإمداد الخليفة الموحدى لصلاح الدين بالأساطيل البحرية ، حتى يتسنى له عزل الصليبيين فى ساحل الشام ، وقطع الإمدادات البحرية المرسلة إليهم من وراء البحر من قبل ملوك أوربا والبابوية ؛ وقد أفصح صلاح الدين للخليفة الموحدى فى هذه المراسلات ، إلى أنه يصبو إلى فتح القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية ؛ وقد بالغت المراسلات الفاضلية على إسباغ الألقاب على الخليفة الموحدى ،

(١) أنظر ابن جبير : الرحلة ، ص ٥٥ - ٥٦ ، ٥٦ - ٥٧ ، وهما نصان هامان فراجعهما بتمامهما ، والغريب حقًا أن ابن جبير ، حاول أن يقنع قارئ رحلته ، بانتشار الدعوة الموحدية المؤمنية بمصر وفى بلاد الحجاز ، وبوجود أنصار لها يراسلون الخليفة الموحدة بالمغرب ، ويلحون عليه فى المجيء إلى المشرق الإسلامى ، لإزالة ما فيه من منكرات ، بل ويجاهرون فى إعلان ولاءهم للخليفة الموحدى ؛ بل ذهب ابن جبير إلى القول بأنه قد نما إلى علمه أن بعض علماء مصر والإسكندرية وفقهائها وزعمائها ، قد حبّر خطبًا أعدها للقيام بين يدى الأمير الموحدى ، وذلك بعد فتحه لمصر ، ولقبه بـ " سيدنا أمير المؤمنين » !؟

(٢) أنظر قبله ، الفصل الخاص بالوضع السياسى والشرعى لمصر الأيوبية .

بتمجيد الدعوة الموحدية[1] ، ثم أيد صلاح الدين هذه المكاتبات الرسمية بسفارة دبلوماسية قام بها الأمير شمس الدين ابن منقذ إلى بلاط الخليفة الموحدى فى سنة ٥٨٧هـ / ١١٩١م[2] ؛ إلا أن كل هذه الدبلوماسية ، لعقد التحالف البحرى بين السلطان الأيوبى والخليفة الموحدى قد باءت بالفشل ، إذ عزّ على الخليفة الموحدى ، أن صلاح الدين ، لم يخاطبه فى هذه المراسلات بـ « أمير المؤمنين » ، وهو اللقب المحبب والمميز لخلفاء المسلمين .

لم تستطيع السلطنات الأربع ، التى تعاصرت فى ديار الإسلام فى القرنين السادس والسابع الهجرى (١٢ - ١٣م) ، الأيوبية ، وسلاجقة الروم ، والخوارزمشاهية ، والموحدية ، اتخاذ سياسة موحدة وخطة عسكرية مشتركة ، ضد الأخطار الخارجية ، التى راحت تتهدد العالم الإسلامى شرقًا وغربًا ؛ إذ أدّى التنافس السياسى والاختلاف المذهبى ، والطموحات الشخصية ، إلى تناحر هذه السلطنات الأربع المتعاصرة فيما بينها ، مما تمخض فيما بعد عن اجتياح المغول للشرق الإسلامى ، وإسقاطهم للخلافة العباسية ببغداد سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م ؛ فى حين استطاعت بقايا الصليبيين بالشام ، البقاء بالساحل ، فى شريط جغرافى ضيق ، يحيط به الكيانات الإسلامية من كل جانب !؟ ؛ أما فى بلاد المغرب الإسلامى ، فقد استطاعت حركة الاسترداد المسيحى بالأندلس ، إنهاء الحكم الإسلامى ببلاد الأندلس ، بل وتهديد سواحل بلاد المغرب العربى .

ورغم أن الخلافة العباسية فى طورها الأخير ، قد بذلت جهودًا دبلوماسية كبيرة ، فى سبيل جمع ملوك الأطراف حولها للتصدى للخطرين المغول والصليبى[3] ، إلا أن الانقسام المذهبى الذى ألم بالعالم الإسلامى ، أدّى إلى تفاوت ملوك الأطراف فى ولائهم وطاعتهم للخلافة العباسية ، ففى حين ظل سلاطين بنى أيوب ، وسلاطين سلاجقة الروم على ولائهم للخليفة العباسى ؛ فإن الدولة الخوارزمشاهية الشيعية ، لم تظهر مثل هذا الولاء ، رغم اعترافها بتبعيتها للخلافة العباسية ؛ فى حين

---

(١) أنظر هذا الخطاب القلقشندى : صبح ، ٦: ٥٢٦ - ٥٣٠ ، أبو شامة : الروضتين ٢: ١٧١ - ١٧٣ ، وأنظر رسالة أرسلها القاضى الفاضل للسلطان صلاح الدين بخصوص الخليفة الموحدى عند أبى شامة : الروضتين، ٢: ١٧٤ - ١٧٦ وأنظر: gaudefrey-Demombynes, M: "une lettre de saladin au Calife Almohade" Mil. R. Basset II, 1925, pp. 279 - 304.

(٢) عن هذه السفارة أنظر سبط : مرآة ، ٨: ٤٦٧ ، ابن واصل : مفرج ، ٢: ٣٦١ - ٣٦٢ .

(٣) أنظر قبله الفصل الخاص بالوضع السياسى والشرعى .

أعلنت الدولة الموحدية استقلالها بخلافة خاصة بها ، متوارثة فى بنى عبد المؤمن ، تتبنى دعوة إصلاحية سلفية مغايرة للدعوة العباسية ، الأمر الذى حال دون اتخاذ العالم الإسلامى ، لسياسة وخطة موحدة لجهاد هذه الأخطار الخارجية ، التى تهدّدته من جهة ديار الحرب .

الوضع الشرعى للسلطنة الأيوبية :

ولما كان منصب الخلافة ، هو الخاص بحماية أمور الدين والدنيا فى النظم الإسلامية لكون الإسلام دين ودولة ، فلقد استتبع هذا الوضع الشرعى الجديد لديار الإسلام ، بعد تفويض الخليفة مختارًا لصلاحيات ومسئوليات منصبه للسلاطين السنيين ، دراسات فقهية مستفيضة ، قام بها مفكروا الدعوة الأشعرية السنية ، التى قام مفكروها بالتوجيه الفكرى والسياسى للعالم الإسلامى كله منذ منتصف القرن الخامس الهجرى[1] .

وأهم ما يستلفتنا فى الفكر السياسى لمفكرى ودعاة الدعوة الأشعرية ، أنه يناقد تمامًا الفكر السياسى للدعوة الإسماعيلية والفرع الفاطمى منها بصفة خاصة ، كما أنه يناقض جميع النظريات السياسية لمفكرى دعاة المذاهب الشيعية المختلفة بصفة عامة[2] ؛ وإن ظل الفكر السياسى للأشاعرة ، فى جوهره مطابقًا للفكر السياسى السنى ، كما عرضته كتب الأحكام السلطانية لفقهاء أهل السنة فى القرنين الثالث والرابع للهجرة[3] ؛ ولم يضف فقهاء الدعوة الأشعرية على الفكر السياسى لأهل السنة إلا بعض الاجتهادات والتخريجات الفقهية أملتها الأوضاع السياسية والشرعية للعالم الإسلامى فى القرنين السادس والسابع الهجرى ، وكانت أهم هذه الاجتهادات لمفكرى الدعوة الأشعرية هى الخاصة بوظيفة « السلطنة » .

ويعد كل من إمام الحرمين الجوينى[4] ، وتلميذه أبى حامد الغزالى[5] ، أول من صاغا الفكر السياسى للدعوة الأشعرية ، اعتمادًا على الآراء التى كان قد أبداها من قبل الإمام أبى الحسن الأشعرى مؤسس الدعوة ، ثم أبى بكر الباقلانى أضخم مفكريها بعد الأشعرى ؛ والواقع أن جميع من ألف فى الفكر السياسى فى العصر الأيوبى وعلى رأسهم عبد الرحمن الشيزرى[6] ،

---

(١) أنظر قبله الفصل الخاص بنشر الدعوة الأشعرية .

(٢) عن تناقض جوهر النظرية السياسية الشيعية مع النظرية السياسية لأهل السنة ، أنظر قبله الفصل الخاص بالقضاء على الدعوة الإسماعيلية .

(٣) أنظر الجزء الثانى من كتابنا مصادر تاريخ مصر الإسلامية فى العصر الأيوبى ، تحت الطبع إن شاء الله تعالى ، عند دراستنا للمؤلفات الخاصة بالأحكام السلطانية والسياسية الشرعية .

(٤) عنهما أنظر قبله الفصل الخاص بالدعوة الأشعرية .

(٥) نفس المرجع عاليه .

(٦) عنهم أنظر الجزء الثانى من كتابنا مصادر تاريخ مصر الإسلامية فى العصر الأيوبى، تحت الطبع إن شاء الله تعالى .

وابن طلحة الدمشقى[١] ، وخضر بن أبى بكر[٢] أو فى العصر المماليكى وعلى رأسهم ابن جماعة[٣] ، قاموا - وخاصة فى الفصول التى عقدوها لمناقشة الوضع الشرعى لمنصب « الخلافة » ، ولمنصب « السلطنة » - بتلخيص آراء الجوينى والغزالى فى هاتين المسألتين .

لقد رفض الجوينى رأى فرق الشيعة ، التى ذهبت إلى القول بأن النبى صلى الله عليه وسلم ، قد نص على ولاية على ابن أبى طالب للخلافة من بعده ، وهو ما عرف عند الشيعة بـ « النص » ، أو « التنصيص »[٤] ؛ كما رفض آراء جميع الفرق الإسلامية التى قالت بمبدأ النص حتى من خالف منهم الشيعة العلويين ، وذهب إلى القول بأن النبى ، قد نص على أبى بكر الصديق[٥] ؛ بل رفض الجوينى ، رأى الفرقة العباسية التى ادعت أن النبى قد نص على ولاية عمه العباس للخلافة من بعده[٦] .

وأقام الجوينى حجته على بطلان مذاهب أصحاب النصوص على أساس نقده لأسانيد الأحاديث النبوية التى استندت عليها الفرق الإسلامية ، التى اعتنقت مبدأ « النص »[٧] ، وعلى أساس شرحه للأحاديث النبوية التى أوّلها الشيعة للتدليل على أنه تشير إلى حق على وابنائه فى ميراث النبوة والخلافة[٨] ؛ وفى رأى الجوينى أن يوم السقيفة أى اجتماع المسلمين فى سقيفة بنى ساعده لمبايعة أبى بكر ، وما حدث من تناقش المهاجرين والأنصار على منصب الخلافة ، يؤكد عدم وجود نص عن النبى ، يحدد فيه خليفته ؛ ومن ثم فيوم السقيفة عند الجوينى ، دليل قاطع على بطلان مذاهب أصحاب النصوص[٩] ، أما الحجة الدامغة فى رأيه فهو أن هذا الخبر العظيم الخاص بميراث النبوة لا يمكن أن يخفى على عامة المسلمين وتنفرد به بعض الفرق الإسلامية[١٠] .

---

(١) نفس المرجع عاليه .
(٢) نفس المرجع عاليه .
(٣) نفس المرجع عاليه .
(٤) أنظر الجوينى : غياث الأمم ، ص ١٩ ، وأنظر الغزالى : الاقتصاد فى الاعتقاد ، ص ١١٧ وأنظر قبله نقلاً عن فضائح الباطنية للغزالى ، أنظر الفصل الخاص بنشر الدعوة الأشعرية .
(٥) نفس المصدر ، ص ٢١ .
(٦) نفس المصدر ، ص٢١ .
(٧) نفس المصدر ، ص٢٢ .
(٨) نفس المصدر ، ص ٢٨ - ٣٢ .
(٩) نفس المصدر ، ص٢٥ - ٢٧ .
(١٠) نفس المصدر ، ص ٢٤ - ٢٥ .

فالإمامة في رأى الجويني ، تثبت بالاختيار من أهل الحل والعقد لعدم وجود نص[1] ، وخاصة لو أجمع أهل الحل والعقد على هذا الاختيار، لقول النبى لا تجتمع أمتى على ضلالة[2]؛ ولابد من توافر شروط الإمامة فيمن يقوم بها ، وهي الشروط التي حددها فقهاء أهل السنة من قبل سواء الخاصة بسلامة الحواس[3] أو فيما يتعلق بسلامة الأعضاء[4] ، أو ما يرتبط بالصفات اللازمة مثل النسب القرشي والذكورة والحرية والعقل والبلوغ[5]، أو فيما يتعلق بالفضائل المكتسبة مثل العلم والورع[6].

فالفكر السياسي الأشعرى إذًا كما عرضه الجويني والغزالي ، يطابق الفكر السياسي السني ، ويناقض الفكر السياسي الشيعي ؛ وهذا ما دعا كل من الجويني[7] والغزالي[8] إلى توجيه عناية خاصة لدحض نظرية « عصمة الائمة » ، التي اعتنقتها فرق الشيعة .

وإذا كانت الأمة الإسلامية ، مجمعة على أن نصب « الإمام » ، واجب شرعًا ، بمعنى أن وجوب نصب الخليفة مستفاد من الشرع المنقول وليس من قضايا العقول[9] ، وذلك لكون الخليفة هو زعيم المسلمين وراعي شئون دينهم ودنياهم ، والقائم على إقامة الدعوة الإسلامية[10] ؛ ومع تأكيد الجويني لهذه الحقائق الشرعية التي قررها فقهاء أهل السنة من قبل ، فقد عني بالرد على الشيعة ودحض معتقدهم في « النص » لقولهم بأن الإمامة موكولة إلى الله وليست إلى اختيار الرعية ؛ كما رفض الجويني أيضًا قول الشيعة بعدم إمكان خلو الزمان من إمام قائم ، ولقد علل الجويني رفضه على أساس أن الزمان يخلو من الأنبياء « فإذا جاز خلو الزمان عن نبي - وهو معتصم دين الأمة - فلا بعد في خلوه عن الأئمة »[11] .

---

(١) نفس المصدر ، ص ٣٤ ، ص ٤٣ ، وعن شروط أهل الحل والعقد وظروف عقد البيعة أنظر الجويني : نفس المصدر ، ص ٤٦ - ٥٧ ، ويقول الجويني في غياث الأمم ص ١٩ " لو ثبت النص من الشارع على الإمام ، لم يشك مسلم في وجوب الاتباع على الإجماع ، فإن بذل السمع والطاعة للنبى واجب باتفاق الجماعة ، وإن لم يصح النص ، فاختيارمن هو من أهل الحل والعقد كاف في النصب والإقامة وعقد الإمامة " .

(٢) الجويني : نفس المصدر ، ص ٣٤ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٦٠ - ٦١ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٦١ - ٦٢ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٦٢ - ٦٥ .

(٦) نفس المصدر ، ص ٦٥ - ٦٩ .

(٧) نفس المصدر ، ص ٧٠ - ٧٤ .

(٨) أنظر الغزالي : الاقتصاد في الاعتقاد ص ١١٧ ، وأنظر قبله نقلاً عن فضائح الباطنية للغزالي ، أنظر الفصل الخاص بنشر الدعوة الأشعرية .

(٩) أنظر الجويني : غياث الأمم ، ص ١٥ - ١٧ .

(١٠) يقول الجويني : " الإمامة رياسة تامة ، وزعامة عامة ، تتعلق بالخاصة والعامة في مهمات الدين والدنيا ، متضمنها حفظ الحوزة ورعاية الرعية ، وإقامة الدعوة بالحجة والسيف والانتصاف للمظلومين من الظالمين ، واستيفاء الحقوق من الممتنعين وإيفاؤها على المستحقين ، أنظر غياث الأمم ، ص ١٥ .

(١١) أنظر الجويني : غياث الأمم ، ص ١٧ - ١٨ .

وإذا كان الفكر السياسى الأشعرى ، يرى منع نصب إمامين فى وقت واحد ، لما فى ذلك من انقسام للأمة الإسلامية[1] ؛ فقد أجاز نصب إمام فى القطر الذى لا يبلغه نظر الإمام ، خاصة إذا كان هذا القطر متداخلاً مع ديار الحرب ، أو تفصله عن ديار الإسلام بعض أقطار ديار الحرب[2] ؛ وفى هذا التخريج الفقهى ما ينسحب كما أسلفنا على الخلافة الموحدية التى أعلن بنو عبد المؤمن قيامها بالمغرب الأقصى ، وباشرت أحوال المسلمين فى بلاد الأندلس ، إبان حركة الاسترداد المسيحى[3] .

ولما كان الهدف السياسى للدعوة الأشعرية ، جمع شمل المسلمين حول خلافة واحدة ، متناسقًا مع الهدف العقائدى لهذه الدعوة الساعى لجمع شمل المسلمين فى مذهب كلامى وعقائدى واحد[4]؛ فلقد قال الأشاعرة بمبدأ جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل ، على أساس أن التسليم بإمامة المفضول الذى تمت له البيعة يحسم الفتنة ، وعلى أساس أن المفضول فى أغلب شروط الإمامة ، قد يكون أفضل من غيره فى أمور الحرب التى قد تملى ظروف ديار الإسلام أهميتها عن بقية شروط الإمامة مثل العلم والورع وغير ذلك ؛ وأن تحفظ الأشاعرة ، فقالوا أنه لو أمكن إقامة الأفضل دون إشعال فتنة ، لكان هو الأصلح للمسلمين[5] .

ولقد قسم الجوينى نظر الإمام فى أصل الدين إلى قسمين : الأوّل حفظ الدين بأقصى الوسع على المؤمنين ، عن طريق إرشاد أهل الزيغ والأهواء والبدع وغلاة الفرق الإسلامية ، إلى التزام جادة

---

(١) يقول الجوينى : إذا تيسر نصب إمام واحد يطبق خطة الإسلام ، ويشمل الخليقة على تفاوت مراتبها فى مشارق الأرض ومغاربها أثره ، تعين نصبه ولم يتبع والحالة هذه نصب إمامين ، وهذا متفق عليه لا يلقى فيه خلاف .. وقد تقرر من دين الأمة قاطبة أن الغرض من الإمامة جمع الأراء المشتتة .. وليس بالخافى على ذوى البصائر أن الدول إنما تضطرب بتحزب الأمر ، وتفرق الأراء .. ، ونظام الملك .. بالإذعان والإقرار ولذى رأى ثابت لا يستبد ولا ينفرد ، أنظر غياث الأمم ، ص ١٢٦ - ١٢٧ .

(٢) يقول الجوينى : " والذى تباينت فيه المذاهب ، أن الحالة إذا كانت بحيث لا ينبسط رأى إمام واحد على الممالك ، وذلك يتصور بأسباب لا تغمض ، منها اتساع الخطة وانسحاب الإسلام على أقطار متباينة ، وجزائر فى لجج متقاذفة ، وقد يقع قوم من الناس نبذة من الدنيا ، لا ينتهى إليهم نظر الإمام ، وقد يتولج خطر من ديار الكفر بين خطة الإسلام ، وينقطع بسبب ذلك نظر الإمام عن الذين وراءه من المسلمين ، فإذا اتفق ما ذكرناه ، فقد صار صائرون عند ذلك إلى تجويز نصب إمام فى القطر الذى لا يبلغه اثر نظر الإمام ؛ وعزى هذا المذهب إلى شيخنا أبى الحسن (الأشعرى) ، والأستاذ أبى إسحق الأسفراينى وغيرهما ، وابتغى هؤلاء مصلحة الخلق ، أنظر غياث الأمم ، ص ١٢٨ - ٣٢٩ .

(٣) أنظر قبله الفصل الخاص بالوضع السياسى والشرعى لمصر الأيوبية ، وأنظر أيضًا ما تقدم هنا فى فصل السلطنة .

(٤) أنظر قبله الفصل الخاص بالدعوة الأشعرية السنية .

(٥) أنظر الجوينى : غياث الأمم ، ص ١٢١ - ١٢٥ .

الدين القويم ، وإلزامهم بذلك قهرًا إذا لـزم الأمـر[1] ؛ والثـانى السـعى فـى دعـاء الكـافرين إلى ديـن الإسلام ، أما بالحجة وإيضاح المحجة مثل إرسال السفراء والمرشدين إلى الأمـم التـى أبـدت اسـتعدادًا لاعتناق الإسلام ، وإما عن طريق مقاتلتهم بحد السيف حتى يفيئوا إلى أمر الله[2] .

ثم أوضح كيف يرتبط إظهار شعائر الإسلام ، بنصب الإمـام ، فـأكد أولاً أن العبـادات البدنيـة للفرد المسلم لا يتعلق صحتها بنظر الإمام[3] ، وإنما يرتبط بنظر الإمام ، ما يرتبط باجتماع عـدد كبير وحجم غفير كالجمع والأعياد ومجامع الحجيج[4] .

ثم عدد مهام الإمـام المتعلقـة بأحكـام الدنيـا ، مثـل الجهـاد وحفـظ ديارالإسـلام بسـد الثغـور ، والقضاء على أهل البغى واللصوص داخل ديار الإسلام ، وفصـل الخصومـات الثـائرة بإناطـة القضـاة والحكام بنظرها ، وإقامة السياسات والعقوبات والحـدود الزاجـرة مـن ارتكـاب الفواحـش ، وتكفـل ضعاف المسلمين ، وسد حاجات المحاويج ، لكون الإمام هو الولى على من لا ولى له ، وجباية الحقـوق الشرعية وحفظ أصول أموال المسلمين ، وصرفها فى أوجهها الشرعية[5] ؛ وبهذا ينهى الجوينى بسـط الفكر السياسى للدعوة الأشعرية ، الخاص بموضوع الإمامـة ، وهـو فـى هـذا التنـاول يقصـد منصـب « الخلافة » .

وأغلب الظن أن الجوينى هو أوّل من ناقش الوضع الشرعى لمنصب « السلطنة » ، بـين مفكـرى الإسلام ، وكانت أبحاثه واجتهاداته فى الواقع مستمدة ومُنصّبّةعلى أوضاع السلطنة السلجوقية التـى عاصرها ، وسيطرتها على الخلافـة العباسية فـى العـراق ؛ وقـد لخـص هـذه الأبحـاث الخاصـة بوظيفـة السلطنة تلميذه الغزالى ، الذى دوّن مؤلفاته أيضًا فـى العصـر السـلجوقى ، وعـن الجوينـى والغـزالى ، لخص المفكرون والفقهاء فى العصرين الأيوبى والمماليكى الوضع الشرعى لوظيفة السلطنة .

نظر هـؤلاء المفكـرون السـنيون إلى الأحـوال السياسـية والحربيـة للعـالم الإسـلامى ، فوجـدوه قد طرأ عليه خطب جلل لم يتعرض له من قبل ، ومن ثم لم يطرحه الفقهاء مـن قبـل للمناقشـة ؛ هـذا الخطب الجلل الطارئ ، هو الذى عبّر عنه الجوينى بالفرضية الفقهية التى طرحها بقولـه : « إذا وطـئ

---

(1) الجوينى : غياث الأمم ، ص ١٣٥ – ١٤٣ .
(2) نفس المصدر ، ص ١٤٤ – ١٤٥ .
(3) يريد الجوينى بهذه العبارة أن يشير إلى حقيقة أن الإسلام ليس لـه هيئـة كهنوتيـة (إكليـروس) تعـد الواسـطة بين المتعبد والله .
(4) نفس المصدر ، ص ١٤٦ – ١٤٧ .
(5) أنظر تفاصيل هذه المهام الموكلة للإمام والمتعلقة بأحكام الدنيا عن الجوينى ، غياث الأمم، ص ١٤٨ – ١٩٠.

الكفار ديار الإسلام »[1] ؛ وأغلب الظن أن هذا الظرف السياسي والحربي ، كان في ذهن الجويني ، حين دلّل على رأى الأشاعرة الخاص بجواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل ، إذا ما توفرت في هذا المفضول الكفاءة الحربية التي تطلبتها ظروف العصر ، رغم افتقاره لجميع الشروط الأخرى التي اشترط الفقهاء ضرورة توفرها في الإمام[2] .

ولعل هذا الوضع السياسي والحربي الطارئ ، هو الذي أملى على الجويني ، أفراد الباب التالي، من فصول كتابه الثلاث ، لمناقشة الأوضاع والافتراضات الشرعية الخاصة بوظيفة السلطنة ، وقد عنون هذا الباب بعنوان : « القول في خلو الزمان عن الإمام »[3] ؛ فناقش فيه أولاً جواز تنصيب إمام لا تتوفر فيه أهم شروط الإمامة ، مثل الانتساب القرشي ، أو العلم بالشرع أو الورع ، وأقر بجواز ذلك على أساس أن تعطيل الممالك عن راع يرعاها ، ووال يتولاها ، عظيم الأثر والموقع في انحلال الأمور ، وتعطيل الثغور[4] ؛ وثنّى بمناقشة « القول في ظهور مستعد بالشوكة مستول »[5] ، يقصد إذا ما استولى أحد الكفاة الشجعان ممن لا تتوفر فيه شروط الإمامة على السلطة الزمنية قهرًا ، وكان له من الأتباع من كفل له الأمر ، فإستجاب له الناس ، وأقر الجويني أيضًا بجواز إمامة هذا المستولى على الأمر قهرًا ، معللاً ذلك بأنه « إن لم يكن في الزمان من يستجمع صفات أهل الاختيار .. وكان الداعي إلى اتباعه على الكمال المرعي ، فإذا استظهر بالقوة ، وتصدى للإمامة ، كان إمامًا حقًا .. وقد خلا الدهر عن أهل الحل والعقد ، فلا وجه لتعطيل الزمان عن وال يذب عن بيضة الإسلام ويحمي الحوزة »[6] .

وتأسيسًا على أبحاث الجويني بصدد وظيفة السلطنة ، التي نظر إليها الجويني على أساس أنها الاعتراف بشرعية إمامة الكفاة الشجعان من أولي الشهامة والنجدة ، القادرين على حماية حوزة

---

(١) الجويني : غياث الأمم ، ص ١٩١ – ١٩٢.
(٢) يقول الجويني : ولو كان أحدهما أفقه ، والثاني أعرف بتجنيد الجنود ، وعقد الألوية والبنود ، وجر العساكر .. فينظر ذو الرأي إلى حكم الوقت ، فإن كان أكناف خطة الإسلام إلى الاستقامة ، .. ولكن ثارت بدع وأهواء .. والحاجة ماسة إلى من يسوس الأمور الدينية .. فالأعلم أولى ، وإن تصورت الأمور على الضد مما ذكرناه ، ومست الحاجة إلى شهامة وصرامة .. ، فالاشهم أولى بأن يقدم ، أنظر غياث الأمم ، ص ١٢٥ .
(٣) الجويني : غياث الأمم ، ص ٢٢٥ .
(٤) أنظر الجويني : غياث الأمم ، ص ٢٢٥ – ٢٣٠ ، وخاصة ص ٢٢٨ ، ص ٧ – ٨ .
(٥) الجويني : غياث الأمم ، ص ٢٣١ .
(٦) الجويني : غياث الأمم ، ص ٢٣٢ .

الإسلام ، حتى لو لم تتوفر فيه شروط الإمامة ؛ فرّق الغزالى بين منصبى « الخلافة » و « السلطنة » ، إذ أن الخلافة كما أوضح الغزالى ، واجبه شرعًا فى حين أن السلطنة يُحتم وجودها المنطق السليم ، لأن أمور الدنيا والدين لا تستقيم فى رأى الغزالى ، إلا بسلطان مطاع[1] ؛ وهو يقرر شرعية وظيفة السلطنة ، رغم عدم توفر شروط الإمامة والقائمين بها على أساس المبدأ القائل بأن الضرورات تبيح المحظورات ، لأن خلو الزمان من أى إمام قائم معناه عزل الولايات والوظائف الشرعية ، وإبطال جميع العقود الشرعية فى ديار الإسلام[2] .

وهنا لا يسعنا إلا أن نحيّ فقهاء الإسلام ، على جرأتهم بالتصريح فى وقت سيطر فيه على السلطة الزمنية السلاطين المتغلبون على الخلافة ، والذين لا تتوفر فيهم شروط الإمامة ، الشرعية وأهمها النسب القرشى ، بأن السلطنة وضعًا شرعيًا استثنائيًا ، أملاه الأمر الواقع ، على أساس أن الضرورات تبيح المحظورات .

ونفس هذه الجرأة والشجاعة نجدها عند فقهاء الإسلام فى العصور المتأخرة ، وعلى رأسهم ابن خلدون حين دللوا على أن « الخلافة » قد انقلبت إلى « ملك » وظهرت إرهاصات هذا الانقلاب منذ العصر الأموى ، حين استندت على « العصبية » ، وان استمر الدين وإقامة شعائره هو الوازع للملك ، ثم اتخذ خلفاء بنى أمية وبنى العباس رسوم الملك والترف والأبهة ؛ ثم ذهب رسم الخلافة وأثرها بذهاب عصبية العرب وبقى الأمر ملكًا بحتًا كما كان الشأن فى ملوك العجم بالمشرق ، والمقصود بالعجم البويهيين الفرس ، والسلاجقة الترك ، يدينون بطاعة الخليفة تبركًا والملك بجميع ألقابه ومناحيه لهم وليس للخليفة منه شيء ؛ أى أن الملك قد انفرد عن الخلافة ، حيث افترقت

---

(١) الغزالى : الاقتصاد فى الاعتقاد ص ١١٤ ، وأنظر الشيزرى : المنهج المسلوك ، ص ٧ – ٨ ، ابن طلحة : العقد الفريد ، ص ٣٤ – ٣٥ ، الحسن بن عبد الله : آثار الأول ، ص ١١ – ١٣ ، خضر بن أبى بكر : المناقب المعزية ، ق ٢٥ – ٢٧ .

(٢) يقول الغزالى : ليست هذه مسامحة عن الاختيار ، ولكن الضرورات تبيح المحظورات ، فنحن نعلم أن تناول الميتة محظور ، ولكن الموت أشد منه ، فليت شعرى ، من لا يساعد على هذا ، ويقضى ببطلان الإمامة فى عصرنا لفوات شروطها ، وهو عاجز عن الاستبدال بالمتصدى لها ، بل هو فاقد للمتصف بشروطها، فأى أحواله أحسن ، أن يقول القضاة معزولون والولايات باطلة والانكحة غير منعقدة ، وجميع تصرفات الولاة فى أقطار العالم غير نافذة ، وإنما الخلق كلهم مقدمون على الحرام ، أو أن يقول : الإمامة منعقدة ، والتصرفات والولايات نافذة بحكم الحال والاضطرار ، الغزالى : الاقتصاد فى الاعتقاد ص ١١٦ .

عصبيته عن عصبية الخلافة[1] ، لكون السلاطين أعاجم والخلفاء عرب .

وليس خافيًا ، أن ما عبر عنه ابن خلدون بافتراق عصبية الملك عن عصبية الخلافة ، يشير إلى استحواز السلاطين الأعاجم على السلطة الزمنية والألقاب الخلافتية ؛ وكلمة الأعاجم تنسحب على البويهيين الفرس ، والسلاجقة الترك ، والأيوبيين الكرد ، ومن بعدهم العثمانيين الترك[2] .

وتأثرًا برأى الغزالى ، فى أن وجود السلطنة ضرورة منطقية ، قرر الشيزرى ، المفكر السياسى للدولة اليوبية أن الملك هو القاعدة التى يبنى عليها المملكة ، أما الأساس الحامل للملكة فهو الدين[3]؛ فى حين ذهب ابن طلحة إلى القول : السلطنة أمر من أمرار الربوبية يناط بها العباد ويحفظ بها البلاد ، ويقطع بها العناد ... فالسلطان فى الحقيقة قائم برعاية عباد الله ، وحماية بلاد الله ، وحراسة دين الله، وإقامة حدود الله ، وحفظ أحكام الله ، قد ارتضاه الله من خليقته ، وأمرهم بطاعته .. ، وهو باتفاق ظل الله فى أرضه ، وبه يقام شعائر سنته وفرضه .. ، وثمرة السلطنة ، حراسة البلاد وسلامة النفوس

(١) أوضح هذا الرأى الخاص بانقلاب الخلافة إلى ملك ابن خلدون ، أنظر المقدمة ، الفصل الثامن والعشرون ، بعنوان " انقلاب الخلافة إلى ملك " ، ص ٢٠٢ - ٢٠٨ وأغلب تعابير الفقرة السابقة مأخوذة عن نفس تعابير ابن خلدون ، وهاك نص ابن خلدون بتمامه لأهميته ، ، يقول ابن خلدون بعد أن دلل على تطور ظاهرة انقلاب الخلافة إلى ملك ، منذ أن ظهرت ارهاصاتها فى عصر خلافة بنى أمية ، إلى أن اكتملت جميع خصائصها بسيطرة البويهيين على الخليفة العباسى فى بغداد ، واستبدادهم بالسلطة الزمنية دونه : " فقد رأيت كيف صار الأمر إلى الملك ، وبقيت معانى الخلافة من تحرى الدين ومذاهبه ، والجرى على منهاج الحق ، ولم يظهر التغير إلا فى الوازع ، الذى كان دينًا ثم انقلب عصبية وسيفًا ، وهكذا كان الأمر يعهد معاوية ومروان وابنه عبد الملك والصدر الأول من خلفاء بنى العباسى إلى الرشيد وبعض ولده ، ثم ذهبت معانى الخلافة ولم يبق إلا اسمها ، وصار الأمر ملكًا بحتًا ، وجرت طبيعة التغلب إلى غايتها ، واستعملت فى أغراضها من القهر والتقلب فى الشهوات والملاذ ، وهكذا كان الأمر لولد عبد الملك ولمن جاء بعد الرشيد من بنى العباس ، واسم الخلافة باقيًا فيهم لبقاء عصبية العرب ، والخلافة والملك فى الطورين ملتبس بعضهما ببعض ، ثم ذهب رسم الخلافة وأثرها بذهاب عصبية العرب وفناء جيلهم وتلاشى أحوالهم ، وبقى الأمر ملكًا بحتًا ، كما كان الشأن فى ملك العجم بالمشرق ، يدينون بطاعة الخليفة تبركًا ، والملك بجميع ألقابه ومناحيه لهم ، وليس للخليفة منه شيء ، وكذلك فعل ملوك زناته بالمغرب مثل صنهاجه مع العبيديين ، ومغراوة وبنى يفرن أيضًا مع خلفاء بنى أمية بالأندلس ، والعبيديين بالقيروان ، فقد تبين أن الخلافة قد وجدت بدون الملك أولاً ، ثم التقت معانيهما واختلطت ، ثم انفرد الملك حيث افترقت عصبيته من عصبية الخلافة " . (ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٠٨ ، س ١٢ - س ٢٥) . وأنظر فصلاً هامًا أورده السيوطى ، بعنوان " ذكر الفرق بين الخلافة والملك والسلطنة من حيث الشرع " أنظر السيوطى : حسن المحاضرة ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، ج ٢ ، ص ١٢٥ - ١٢٦ .

(٢) أنظر قبله : الفصل الخاص بالوضع السياسى والشرعى لمصر الأيوبية ، الفقرة الخاصة بالسلطنة العامة .

(٣) أنظر الشيزرى : المنهج المسلوك فى سياسة الملوك ، ص ١٤ - ص ٢٠ ، وأنظر أيضًا الحسن بن عبد الله : آثار الأول فى تراتيب الأول ، ص ١١ - ١٣ ، الباب الأول : فى فضل الملك وشرفه والحاجة الداعية إليه .

وحفظ الأموال ، وإدرار الأرزاق ، وإقامة المعايش ، ونشر العلم ، وإظهار الدين ، وذلك بقمع الظلمة، وردع البغاة ، .. فتأمن السبل وتتوفر الدواعي على مصالح الدين والدنيا ، فأى منقبة أنفع .. وأى مرتبة أجمع للمزايا ، وأشمل من حاله بها انتظام مصالح الدنيا ، وهى قوام الآخرة والأولى[1] .

وكان أكثر الفقهاء وضوحًا فى رأينا ، عند عرضه للوضع الشرعى لوظيفة السلطنة ، الفقية ابن جماعة فى كتابه « تحرير الأحكام فى تدبير أهل الإسلام » الذى ألفه فى العصر المملوكى فقال : إذ فوض الخليفة إلى رجل ولاية إقليم أو بلد أو عمل ، فإن كان تفويضًا خاصًا بعمل خاص ، لم يكن له الولاية فى غيره ، كما إذا ولاه الجيش دون الأموال ، أو الأموال دون الأحكام والحكام (أى القضاه) ونحو ذلك ، وإن كان تفويضًا عامًا كعرف الملوك والسلاطين فى زماننا جاز له تقليد القضاة والولاة وتدبير الجيوش ، واستيفاء الأموال من جميع جهاتها وصرفها فى مصارفها ، وقتال المشركين والمحاربين ، ولا ينظر فى غير الإقليم المفوّض إليه ، لأن ولايته خاصة ، وتعتبر فى السلطان المتولى من جهة الخليفة ما يعتبر فيه خلا النسب لأنه قائم مقامه .. ؛ وإذا استولى ملك بالقوة والقهر والشوكة على بلاد ، فينبغى الخليفة أن يفوض أمورها إليه استدعاءًا لطاعته ، ودفعًا لمشاقته ، وخوفًا من اختلاف الكلمة وشق عصا الأمة ، فيصير بذلك التفويض صحيح الولاية ، نافذ الأحكام ، فإن لم يكن أهلاً لذلك لفقد الصفات المعتبرة ، جاز للخليفة إظهار تقليده لما ذكرناه من المصالح[2] .

ثم أوضح ابن جماعة حقيقة هامة خاصة بنظم الحكم والإدارة ، فى الدول التى تمثل السلطنة القاعدة الأساسية لنظمها ، وهى ضرورة اختيار وزيرًا للسلطان الذى لا تتوفر فيه شروط الإمامة وخاصة الخاصة بالعلم والشرع ، ممن تتوفر فيه هذه الشروط التى تعوز السلطان ؛ وهذا فى رأينا تعليل كون وزراء جميع سلاطين الإسلام من أرباب الأقلام ، ووزراء تنفيذ[3] ، فيقول ابن جماعة : وينبغى أن يعين له نائبًا أهلاً لتقليد الولاية ، ينفذ الأمور لتكون صفات النائب جائزة لما فات من صفات المستولى قهرًا ، فتنتظم المصالح الدينية والدنيوية[4] ؛ وهذه الفكرة قد عبّر عنها من قبل الجوينى[5] .

---

(١) أنظر ابن طلحة : العقد الفريد للملك السعيد ص ١٣٣-١٤٢ ، وقارن الغزالى : الاقتصاد فى الاعتقاد ، ص ١١٤ ، فمن هذه المقارنة يتضح إلى أى مدى تأثر ابن طلحة بعبارات ومعانى الغزالى بخصوص وظيفة السلطنة .

(٢) ابن جماعة : تحرير الأحكام ، ح ، ورقة ١١ - ١٢ .

(٣) أنظر بعده الفصل الخاص بالوزارة الأيوبية .

(٤) ابن جماعة : المصدر السابق ، ورقة ١٢ .

(٥) يقول الجوينى : إذا كان سلطان الزمان لم يبلغ مبلغ الاجتهاد ، فالمتبوعون العلماء والسلطان نجدتهم وشوكتهم وقوتهم .. ، فعالم الزمان فى المقصود الذى نحاوله ، كنبى الزمان ، والسلطان مع العالم ، كملك فى زمان النبى ، مأمور بالانتهاء إلى ما ينهيه إليه النبى " أنظر الجوينى : غياث الأمم ، ص ٢٧٥ .

الفصل السابع

القـــدس

بين الفتح العُمرى سنة ١٥ هـ ، والفتح الصلاحى سنة ٥٨٣ هـ ، والفتح الناصرى الداوادى سنة ٦٣٧ هـ ، والفتح الصالحى النجمى سنة ٦٤٢هـ .

الفتح العُمَرِىّ للقدس سنة ١٥هـ

تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين بفتحهم القدس بعد وفاته صلى الله عليه وسلم إذ رُوِى عن الصحابى عوف بن مالك رضى الله عنه ، أنه قال : أتيتُ النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك (٩هـ) ، وهو فى قُبّة من أدم ، فقال لى : يا عوف أعدد ستّا بين يدى الساعة ، موتى ، ثم فتح بيت المقدس ؛ وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لشداد بن أوس - رضى الله عنه - : ألا أن الشام ستفتح ، وبيت المقدس سيُفتح إن شاء الله تعالى ، وتكون أنت وولدك من بعدك أئمة بها إن شاء الله تعالى . وهذا ما تم بالفعل(١) ، وقد شهد شداد بن أوس فتح القدس وتوفى بها وقبره بها معروف مزار رآه وزارة الرحالة المقدسى البشارى صاحب كتاب أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم(٢) .

وفى العام الثانى من خلافة الخليفة الراشد أبو بكر الصديق أول خلفاء الإسلام ، عقد رضى الله عنه أربعة ألوية وسيَّرها لفتح بلاد الشام ، ووجه كل لواء منها وعليه أمير إلى أحد الأقسام الإدارية الأربعة لبلاد الشام ، حسب التقسيم الإدارى والحربى للروم ، وكان عقدة رضى الله عنه لهذه الألوية يوم الخميس لمستهل صفر سنة ١٣ هـ ؛ فسيَّر لواء عمرو بن العاص رضى الله عنه إلى أرض فلسطين ، وأمره بفتحها ، ثم التحرك منها إلى مصر لاستكمال فتوح الشام ومصر ؛ وسير لواء شرحبيل ابن حسنة رضى الله عنه ، لفتح أرض الأردن ؛ ولواء يزيد بن أبى سفيان رضى الله عنه - وقيل خالد بن سعيد بن العاصى - لفتح دمشق وأرضها وساحل لبنان ؛ وجعل القيادة العامة لأبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه أمين الأمة ، وجعل له إمامة الصلاة ، إذ جمعت هذه الألوية الأربعة ؛ وجعل القيادة العامة فى المعارك الكبرى ، للأمير التى تقع المعركة فى القسم الذى وجه إليه من أقسام الشام ؛ أما إذا اجتمعت الألوية الأربعة فى معركة كبرى ، فالقيادة العامة لأبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه ، وأمّرَ أبو بكر رضى الله عنه عمرو بن العاص أن يسلك طريق أيله عامدًا لفلسطين ، وأمر يزيد أن يسلك طريق تبوك ، وكتب إلى شرحبيل أن يسلك أيضًا طريق تبوك(٣) .

---

(١) أنظر مجير الدين الحنبلى : الأنس الجليل فى تاريخ القدس والخليل ، مكتبة المحتسب ، عَمّان - الأردن ، د.ت. ، ١ : ٢٤٤ - ٢٤٥ ؛ وفيه نَصّ حديث عوف بن مالك برواية أخرى مطولة .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا معاذ إن الله عَزّ وَجَلّ سيفتح عليكم الشام من بَعْدى / من العريش إلى الفرات ، رجالهم ونساؤهم وإماؤهم مرابطون إلى يوم القيامة ، فمن اختار منكم ساحلاً من سواحل الشام أو بيت المقدس ، فهو فى جهاد إلى يوم القيامة » . أنظر مجير الدين الحنبلى : الأنس الجليل ١: ٢٦٦ - ٢٢٨ .

(٢) أنظر المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ١٧١ - ١٧٢ .

(٣) أنظر البلاذرى : فتوح البلدان ، ١٢٨- ١٢٩ ، نمبر ٣٠٢ - ٣٠٤ ؛ أبو يوسف : كتاب الخراج ، ص ٤٢ - ٤٣ ؛ ابن شيخ الربوة الدمشقى : نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، طبع ليبسك ١٩٢٣م ، ص ١٩٢ ؛ الأزدى : فتوح الشام ، ص ١ - ٥٠ .

وشهدت أرض فلسطين والأردن المعارك الكبرى التى نصّر الله فيها المسلمين على الروم ؛ أولها معركة داثن - وهى قرية من قرى غزّة - سنة ١٢ هـ ، وتولى قيادة جيش الروم بطريق - أى والى - غزة ، وتولى قيادة جيش المسلمين عمرو بن العاص رضى الله عنه ؛ وثانيها معركة وادى عَرَبة - وهو وادى معروف إلى اليوم بأرض فلسطين[١] ؛ ثم كتب الخليفة الراشد أبو بكر الصديق رضى الله عنه إلى خالد بن الوليد رضى الله عنه قائد فتوح الإسلام ببلاد العراق ، يأمره بترك العراق ، والقدوم إلى الشام مع أهل القوة من أصحابه ، للإنضمام إلى جيوش المسلمين ببلاد الشام على أن تكون له القيادة العامة لألوية الشام[٢] ، فمضى مسرعًا حتى انضم إليهم أمام دمشق ، وتم فتح مدينة بُصْرَى من أرض دمشق ، ومدينة مآب من أرض البلقاء[٣] ؛ ثم توالت انتصارات المسلمين على جيوش الروم بأرض فلسطين والأردن، فتمت معركة أجنادين بأرض فلسطين يوم الإثنين ١٢ جمادى الأولى سنة ١٣هـ[٤]، ومعركة فِحْل بأرض الأردن فى ٢٨ ذى القعدة سنة ١٣هـ[٥] ، ومعركة اليرموك بأرض الأردن فى رجب سنة ١٥ هـ[٦] .

وقد توفى أبو بكر الصديق رضى الله عنه لثمان ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ١٣هـ ، وبويع عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالخلافة فى اليوم الذى مات فيه أبو بكر ؛ فكان أول شئ أمر به أن عزّل خالد بن الوليد عن الإمره ، وولى أبا عبيدة بن الجراح على الجيش والشام ؛ وأرسل بذلك إليهما؛ فقصدا دمشق وحاصراها حتى فتحت ، وبعث أبو عبيدة ببشارة الفتح إلى عمرو ؛ ثم بعد دمشق بيسير تمّ فتح حمص بعد حصار طويل ، ثم فتح حماه صلحًا ، وكذلك المَعَرّة ، ثم فتح اللاذقية عَنوة ، وفتح جبله وأنطرسوس ، ثم فتح حلب وأنطاكية ، وفتح بلادًا أخرى منها : قيسارية وسبسطيه

---

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ، ١: ١٢٩ - ١٣٠ خبر ٣٠٥ - ٣٠٨ ؛ الأذرى : فتوح الشام ، ص ٣٨ ، و ص ٥٢ .

(٢) البلاذرى : نفس المصدر ١: ١٣١ - ١٣٣ ؛ الأزدى : فتوح الشام ، ص ٦٨ - ٨٠

(٣) البلاذرى : نفس المصدر ١: ١٣٤ خبر ٣١٢ - ٣١٣؛ الأزدى: فتوح الشام، ص ٨١ - ٨٦ ، وص ٢٩.

(٤) البلاذرى : نفس المصدر ١: ١٣٥ - ١٣٦ ؛ الأزدى : فتوح الشام ص ٨٧ - ٩٣ .

(٥) البلاذرى : نفس المصدر ١: ١٣٧ ؛ الأزدى : فتوح الشام ص ١١١ - ١١٤ .

(٦) البلاذرى : نفس المصدر ١: ١٦٠ - ١٦٣ ؛ الأذى : فتوح الشام ، ص ١٨٠ - ٢٤٥

ـ من أرض فلسطين ، ويُقال أن بها قبر يحى وزكريا عليهما السلام ـ ونابُلس ولُدّ ويافا ، وتلك البلاد جميعها ، حتى دخلت سنة ١٥ هـ[١].

وبعد أن أتم المسلمون فتح حمص العاصمة السياسية للروم ببلاد الشام ، سار أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه لفتح إيلياء (القدس) العاصمة الدينية للروم ، فسار رضى الله عنه حتى الأردن ، فعسكر بها ، وبعث الرسل إلى أهل إيلياء ، يدعوهم إلى الإسلام ، ويخيرهم بين الإسلام أو الجزية أو القتال ، وكتب بذلك إلى عمر رضى الله عنه ؛ وانتظر أبو عبيدة أهل إيلياء ، فأبوا أن يأتوه وأن يصالحوه ، فأقبل سائرًا إليهم حتى نزل بهم ، وحاصرهم حصارًا شديدًا وضيق عليهم ، وأوجب على نفسه أنه غير مقلع عنهم ؛ فلما لم يجدوا لهم طاقة بحربه ، قالوا : نصالحك ، قال : وإنى قابل منكم ؛ قالوا : فأرسل إلى خليفتكم ، فيكون هو الذى يعطينا هذا العهد ، ويكتب لنا الأمان ، فقبل أبو عبيدة ذلك ، وكتب إلى عمر رضى الله عنه : « آخذنا عليهم المواثيق المغلظة بأيمانيهم ، ليقبلن ويؤدّون الجزية ، وليدخلن فيما دخل فيه أهل الذمة ، ففعلوا ؛ فإن رأيت أن تقدم فأفعل ، فإن فى سيرك أجرًا وصلاحًا »[٢] .

---

(١) البلاذرى : نفس المصدر ١: ١٣٨ - ١٤٠ (أمر الأردن) . وفيه : " افتتح شرجبيل بن حسنة الأردن عَنوة ، ما خلاطبرية فإن أهلها صالحوه على أنصاف منازلهم وكنائسهم " . ١: ١٤٤ - ١٥٤ (فتح مدينة دمشق وأرضها) ١٦ محرم سنة ١٤هـ ، ١: ١٥٥ - ١٥٩ (أمر حمص) سنة ١٤ هـ ؛ ١: ١٦٤ - ١٧١ (أمر فلسطين) ؛ ١ : ١٧٢ - ١٨٠ (أمر جندق قِنّسْرين والمدن التى تدعى العواصم) = فتح حمص - فتح حلب - فتح أنطاكية ، الأزدى : فتوح الشام ص ٩٨ - ٩٩ (وفاة أبى بكر رضى الله عنه ، واستخلاف عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وعزله لخالد) ؛ ص ١٠٤ - ١١٠ (فتح دمشق وصلحها) ؛ ص ١١١ - ١٤٢ (وقعه فِحْل وأمر الأردن) ؛ ص ١٤٣ - ١٤٦ (فتح حمص) ؛ ص ١٤٦ - ١٤٩ (فتح حلب) ؛ ص ١٤٩ - ١٥٨ (فتح أنطاكيه) ؛ ص ١٥٩ - ١٧٥ ، ص ٢٤٢ - ٢٤٥ ، فتح أرض فلسطين ومدينة أيله ، ومدينة إيلياء (القدس) ، ص ٢٤٦ - ٢٧٦ (قصة صلح إيلياء) ، ص ٢٧٦ - ٢٨٣ (فتح قيسارية من أرض فلسطين) ؛ مجير الدين الحنبلى : الأنس الجليل ١: ٢٤٦ - ٢٤٧ .

(٢) الأزدى : فتوح الشام ، ص ١٥٩ - ١٧٠ ، ص ٢٤٢ - ٢٤٥ (وفيه نصوص المكاتبات المتبادلة بين أبى عبيدة بن الجراح وعمر بن الخطاب ، وَبَيْن أبى عبيدة بن الجراح وأهل إيلياء) ؛ البلاذرى : فتوح البلدان، ص ١٦٤ - ١٦٥ ، خبر ٣٦٩ - ٣٧١ (أمر فلسطين) ؛ الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ، ٣: ٦٠٣ - ٦٠٤ ، حوادث سنة ١٥هـ (ذكر فتح قيسارية وحَصْر غزة وفتحها) ، ٣: ٦٠٤ - ٦٠٧ (ذكر فتح بيسان ووقعة أجنادين) - ٣: ٦٠٧ - ٦١٣ ، حوادث سنة ١٥هـ (ذكر فتح بيت المقدس) ؛ مجير الدين الحنبلى : الأنس الجليل ١: ٢٤٧ - ٢٥٠ (ذكر الفتح العمرى لبيت المقدس) .

فاستخلف عمر رضى الله عنه على المدينة على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، وقدم إلى الجابيه - وهى من ضواحى دمشق - ، وقدم بها عليه أهل إيلياء[1] ؛ وكتب لهم فيها الصلح ، لكل كورة كتابًا واحدًا ، ما خلا أهل إيلياء خصّهم بكتاب مفرد ، نظرًا لخصوصية مدينتهم وقداستها عند جميع أهل الأديان السماوية ؛ وكتب لأهل مدينة لُدّ ، العاصمة السياسية والإدارية لفلسطين فى المصطلح الإدارى السياسى الرومى البيزنطى ، كتاب صلح شامل ، لجميع أهل المدن والكور الفلسطينية وجميع أهل فلسطين[2] .

وكتب عمر رضى الله عنه بالجابية أيضًا ، كتاب صلح لجميع نصارى أهل الشام ، تضمن الشروط العُمرية الخاصة بأهل الذمة فى الإسلام ، وتأمينهم على أنفسهم ونسائهم وأولادهم وأموالهم وأراضيهم وكنائسهم ، نظير أدائهم الجزية لبيت مال المسلمين ، والاشتراط عليهم استضافة من ينزل بهم من المسلمين أو جيوش الإسلام ثلاث ليال ، وعدم استخدام أى دير أو كنيسة أو قلاية أو صومعة راهب فى مدن المسلمين التى اختطها المسلمون ؛ ولا يواروا فى كنائسهم جاسوسًا ، ولا يعلموا أولادهم القرآن ، ولا يمنعوا أحدًا من ذوى قرباهم الدخول فى الإسلام ، ولا يتخذوا شيئًا من السلاح ، ولا يبيعون الخمر أو يظهرون الصليب على كنائسهم ، ولا يضربوا بأحد من المسلمين . وقد اعتمد أئمة الإسلام هذه الشروط ، وعمل بها الخلفاء الراشدون[3] ؛ وهى شروط ضمنت حماية أهل الذمة ، وتأمينهم ومنحتهم حقوق المواطنة المدنية والقضائية فى دولة الإسلام من ناحية ؛ واقتضتها دواعى الأمن القومى والحربى من ناحية ثانية فى بداية عصر الفتوحات الإسلامية ودواعى احتفاظ المجتمعات الإسلامية بخصائصها وشرائعها ومكارم أخلاقها ، لكونها خير أمة أخرجت للناس من ناحية ثالثة ؛ ويتجلى هذا من الشروط العمرية التى ألزمت أهل الذمّة مغايرة المسلمين فى الزى والهيئة ، حتى لا يُنسَبّ إلى أمّة الإسلام من ليس منها ، وتصبح الأمة الإسلامية مسؤلة عن سلوكه وتصرفاته .

---

(١) أنظر الأزدى : فتوح الشام ، ص ٢٤٦ - ٢٥١ (قصة صلح إيلياء وقدوم عمر رضى الله عنه بالشام) ، ص ٢٥١ - ٢٥٢ (خطبة عمر رضى الله عنه بالجابيه) ؛ الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ٣: ٦٠٨ ، حوادث سنة ١٥هـ ؛ مجير الدين الحنبلى : الأنس الجليل ١: ٢٥٠ - ٢٥٣ .

(٢) أنظر الأزدى : فتوح الشام ، ص ٢٥٢ - ٢٥٩ ، ص ٢٦٢ - ٢٦٦ ؛ الطبرى : تاريخ الرسل ٣: ٦٠٧ - ٦١٠ ، حوادث سنة ١٥هـ (ذكر فتح بيت المقدس) ، وخاصة ص ٦٠٨ - ٦٠٩ ، حيث يذكر نص وثيقتىَ صلح وعهد عمر بن الخطاب لأهل إيلياء ، ولأهل اللد وفلسطين ؛ مجير الدين الحنبلى : الأنس الجليل ١: ٢٥٣ - ٢٥٤ (حيث يورد نص وثيقة صلح وعهد عمر بن الخطاب لأهل إيلياء) . .

(٣) مجير الدين الحنبلى : الأنس الجليل ١: ٢٥٤ - ٢٥٥ .

ولما قدم الخليفة الراشد عمر بن الخطاب بنفسه إلى القدس بعد أن فتحها الله على الإسلام والمسلمين سنة ١٥ هـ ، ومنح أهلها عهد وعقد وأمان صلحهم وذمتهم ، وهى المرة الوحيدة التى خرج فيها رضى الله عنه من بلاد الحجاز أيام خلافته ؛ قام رضى الله عنه بنفسه ببحث وتحقيق أثرى ، لتحديد موضع مسجد داواد ؛ وهو يقصد ـ كما أفاد الطبرى وابن فضل الله العُمرى والقلقشندى ومجير الدين الحنبلى ـ موضع المكان الذى صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأنبياء ليلة الإسراء والمعراج ، وهو كائن بالقرب من الصخرة المقدسة ، فى صدر حرم المسجد الأقصى ، على سمة القبلة إلى المسجد الحرام (الكعبة)؛ وقد اهتدى عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى هذا التحقيق ، وهذا القول الفصل فى هذه المسألة الدينية التاريخية الأثرية الهامة ، فى ضوء الأحاديث النبوية الواردة فى هذا الشأن ، والخاصة بمعجزة الإسراء والمعراج ، وفى ضوء السنة وهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بناء المسجد الجامع النبوى بالمدينة المنورة فى جعل القبلة فى صدور الجوامع ، وهو ما استن به المسلمون فى جميع الجوامع التى أقاموها بعد ذلك فى جميع الأمصار الإسلامية ؛ وفى ضوء مجادلة بطريك القدس ـ أى واليها من قبل الروم ـ ، وكَعْب الأحبار كبير أحبار اليهود بالشام ، وكان قد دخل فى الإسلام مع بواكير الفتح الإسلامى للديار الشامية .

ويقول مجير الدين الحنبلى مفصلاً قصة البحث والتحقيق الأثرى الذى قام به الفاروق رضى الله عنه ، لتحديد موضع مسجد داود ، واتجاه سمة قبلة المسجد الأقصى : « لما قدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ببيت المقدس ، نزل على الجبل الشرقى ، وهو طور زيتا . وأتى رسل بطريركها إليه بالترحيب، وقال : إنا سنعطى بحضورك ما لم نكن نعطيه لأحد دونك ، وسأله أن يقبل منه الصلح والجزية ، وأن يعطيه الأمان على دمائهم وأموالهم وكنائسهم ، فأنعم عليه عمر بذلك . فسأله الرسول الأمان لصاحبه ، ليتولى مصالحته ومكاتبته ، فأنعم ؛ وخرج إليه بطريكها فى جماعة ، فصالحهم وأشهد على ذلك .

والبطريق هو الأمير ، وأما البطرك فهو الكاهن ؛ وكان اسم البطرك يوم ذلك صفريوس ، وكان قد أخبر النصارى أن الله يفتح البيت المقدس على يد عمر من غير قتال .

فلما فرغ عمر من كتاب الصلح بينه وبين أهل بيت المقدس ، قال لبطريقها : دلنى على مسجد داود ، قال : نعم . وخرج عمر مقلدًا بسيفه فى أربعة آلاف من الصحابة الذين قدموا معه متقلدين بسيوفهم ، وطائفة ممن كان عليها ليس عليهم من السلاح إلى السيوف ، والبطريق بين يدى عمر فى أصحابه حتى دخلوا بيت المقدس ، فأدخلهم الكنيسة التى يقال لها القمامة، وقال : هذا مسجد داود. فنظر عمر وتأمل ، وقال له : كذبت ، ولقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد داود

بصفة ما هى هذه . فمضى به إلى كنيسة يقال لها صهيون ، وقال له : هذا مسجد داود فقال له : كذبت . فمضى به إلى مسجد بيت المقدس ، حتى انتهى به إلى الباب الذى يقال له باب محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد انحدر ما فى المسجد من الزبالة على دَرَج الباب ، حتى خرج إلى الزقاق الذى فيه الباب ، وكثر على الدرج حتى كاد أن يلصق بسقف الرواق ، فقال له : لا نقدر أن ندخل إلا حَبْوا . فقال عمر : ولو حَبْوا . فحبا بين يدى عمر ، وحبا عمر ومن معه خلفه ، حتى ظهروا إلى صحنه ، واستووا فيه قيامًا . فنظر عمر وتأمل مليًا ، ونظر يمينًا وشمالاً ، ثم قال : الله أكبر ، هذا والذى نفسى بيده مسجد داود عليه السلام ، الذى أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أُسْرِىَ به إليه .

ووجد على الصخرة زبلاً كثيرًا ، مما طرحته الروم غيظًا لبنى إسرائيل ، فَبَسَط عمر رداءه ، وجعل يكنس ذلك الزبل ، وجعل المسلمون يكنسون معه الزبل .

ومضى نحو محراب داود ؛ وهو الى على باب البلد ، فى القلعة ، فصلى فيه ، ثم قرأ سورة (ص) و سَجَدّ .

ورورى أنه لما جلاّ المزبلة عن الصخرة ، قال : لا تصلوا فيها حتى يصيبها ثلاث مطرات .

ويروى أنه لما فَتحَ عمر رضى الله عنه بيت المقدس ، قال لكعب (الأحبار ، كبير أحبار اليهود بالشام ، وكان قد دخل فى الإسلام) : يا أبا إسحاق ، أتعرف موضع الصخرة ؟ . فقال : أذرع من الحائط الذى يلى وادى جهنم كذا وكذا ذراعًا ، ثم أحفر ، فإنك تجدها . ـ وكانت يومئذ مزبلة ـ ، فحفروا ، فظهرت لهم . فقال عمر لكعب : أين ترى أن نجعل المسجد ـ أو قال : القِبْلة ؟ ـ فقال : إجعله خلف الصخرة ، فتجتمع القبلتان ، قبلة موسى ، وقبلة محمد صلى الله عليه وسل ، فقال له : ضاهيت اليهود يا أبا إسحاق ، خير المساجد مقدمها ، فبناها فى مقدم المسجد .

وروى أن عمر قال لكعب : أين ترى نجعل المصلى ؟ قال : إلى الصخرة ، فقال : ضاهيت والله يا كعب اليهودية ؛ بل نجعل قِبلة صَدْرُه ، كما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قِبْلةَ مساجدنا صدورها ؛ إذهب إليك ، فإنا لم نؤمر بالصخرة ، ولكن أمِرْنا بالكعبة .

ولما فرغ عمر من فتح إيلياء ، وعزل الصخرة من القمامة ، وأبقى النصارى على حالهم بأداء الجزية ، فَسَمّى المسلمون كنيسة النصارى العظمى عندهم قمامة ، تشبيهًا بالمزابل ، وتعظيمًا للصخرة الشريفة ؛ ثم ارتحل من القدس إلى أرض فلسطين .

وكان هذا الفتح في سنة خمسة عشر (١٥هـ) ، من الهجرة الشريفة ؛ قاله ابن الجوزى وغيره من المؤرخين ؛ وقيل كان في سنة ستة عشر (١٦هـ) في ربيع الأول ؛ وقيل لخمس خلون من ذى القعدة ؛ والله أعلم .

قال مجير الدين الحنبلى : وقد حكى المصنفون لفضائل بيت المقدس قصة الفتح ، من طرق كثيرة ، بروايات وألفاظ مختلفة ؛ فأحسن ما رأيته منها ، ما نقلته هنا ؛ والله الموفق »[١] .

وقد أورد الأزدى ومجير الدين الحنبلى ، نص خطبة الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، التى خطبها بعد دخوله رضى الله عنه بيت المقدس ؛ وهى عظيمة الدلالة فى تاريخ الإسلام وتاريخ الفتوحات الإسلامية وتاريخ القدس ، وفى تفسير ماضى الأمة الإسلامية وحاضرها ؛ إذ قام عمر رضى الله عنه فى الناس ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : « يا أهل الإسلام ، إنّ الله قد صدقكم الوعد ، ونصركم على الأعداء ، وورثكم البلاد ، ومَكّن لكم فى الأرض ، فلا يكن جزاء ربكم إلا الشكر ، وإياكم والعمل بالمعاصى ، فإن العمل بالمعاصى كفر للنعم ، وقلّ ما كَفَر قوم بما أنعم عليهم ، ثم لم يفزعوا إلى التوبة ، إلا سلبوا عِزهم ، وسلط عليهم عدوهم »[٢] .ثم إن عمر رضى الله عنه أقبل نحو المدينة ، فاستقبله الناس ، يهنؤنه بالنصر والفتح ؛ فجاء حتى دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصلى ركعتين عند المنبر ، ثم صعد المنبر ، فاجتمع الناس إليه ، فقام ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال : « إيها الناس ، إن الله قد اصطنع عند هذه الأمة أن يحمدوه ويشكروه ؛ وقد أعز دعوتها ، وجمع كلمتها ، وأظهر فلجها ، ونصرها على الأعداء ، وشرفها ومكن لها فى الأرض ،

---

(١) أنظر مجير الدين الحنبلى : الأنس الجليل ١: ٢٤٤- ٢٥٨ (ذكر الفتح العمرى الذى يسره الله تعالى على يد أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه) .

وأنظر الأزدى : فتوح الشام ، ص ٢٥٩ ، حيث يقول : " ولما كان من الغَدّ (أى غَدّ اليوم الذى كتب فيه عمر رضى الله عنه صلحه لأهل إيلياء) قام فدخل بيت المقدس ، وكان دخوله يوم الإثنين ، وأقام بها حتى يوم الجمعة ، وخَطّ بها محرابًا من جهة الشرق ، وهو موضع مسجده (يقصد المسجد العُمرى الموجود إلى الأن تحت قبة الصخرة ، والمعروف إلى الآن باسم المسجد العُمرى) ؛ فتقدم ، وصلى هو وأصحابه صلاة الجمعة " ؛ وأنظر أيضًا نفس المصدر ، ص ٢٥٦ ، حيث يورد الأزدى نص خطبة عمر بن الخطاب فى المسلمين ، حين دخل القدس ، وخبر أمرة بلال بن أبى رباح رضى الله عنه مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يؤذن فى الناس ، لأول صلاة حَضَرَهَا عمر رضى الله عنه بعد دخوله بيت المقدس ؛ وأنظر أيضًا نفس المصدر ، ص ٢٥٩ - ٢٦٢، وفيه: "إن إسلام كعب الحَبْر إنما كان فى قدوم عمر رضى الله عنه الشام، وكان كعب الحَبْر من مؤمنى أهل التوراة برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من علمائهم وأخيارهم " ؛ الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ٣ : ٦١١ - ٦١٢ ، " ذكر فتح بيت المقدس"، حوادث سنة ١٥ هـ .

(٢) الأزدى : فتوح الشام ، ص ٢٥٦ ، مجير الدين الحنبلى : الأنس الجليل ١: ٢٥٧ - ٢٥٨ .

وأورثها بلاد المشركين وديارهم وأموالهم ؛ فأحدثوا لله شكرًا يزدكم ، وأحمدوا على نعمه يدمها لكم ؛ جعلنا الله وإياكم من الشاكرين » . ثم نزل[1] .

وقد شهد الفتح العمرى للقدس ، كما تقدم القول ، حوالى ألف صحابى من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عَدّدَ منهم مجير الدين الحنبلي المقدسي في كتابه الأنس الجليل فى تاريخ القدس والخليل : أبو عبيدة بن الجراح، مُعاذ بن جبل ، بلال بن أبى رباح ، عياض بن غنم ، خالد بن الوليد ، أبو ذَرّ الغفارى ، أبو الدرداء ، عبادة بن الصامت ، سلمان الفارسى ، أبو مسعود الأنصارى ، تميم الدارى ، عمرو بن العاص ، عبد الله بن سلام ، سعيد بن زيد ، سعد بن أبى وقاص ، مُرّه بن كعب ، شداد بن أوْس ، أبو هريرة ، معاوية بن أبى سفيان ، عبد الله بن عمرو بن العاص ، عبد الله بن عباس، عبد الله بن عمر بن الخطاب ، عوف بن مالك ، أبو جمعة الأنصارى ، واثلة بن الأسقع ، أبو أمامه الباهلى ، أبو نعيم محمود بن الربيع ، يزيد بن أبى سفيان ، أبو ريحانه واسمه شمعون القرظى ، الشريد بن سويد ، عبد الله بن أبى الجِذعة التميمى ، فيروز الديلمى ، أبو محمد النجار الأنصارى البَدْرى ، سلام بن قيصر ، أبى بن أم حَرَام بنت ملحان الأنصارية ، عُضَيْف بن الحارث ، وممن دخل القدس بعد الفتح ، صفية بنت حَىّ ـ أم المؤمنين ـ »[2] .

وتوفى بعض هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم بفلسطين ودفنوا بها ، وظلت مقابرهم معروفة مشهورة مزارة يُتبرك بها ، على نحو ما أفاد الرحالة والجغرافيون المسلمون ؛ فذكر المقدسى البشارى أنه زار قبور ثلاثة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقدس ، وهم : عبادة بن الصامت ، ومعاذ بن جبل ، وشداد ابن أوس[3] ، وذكر ابن بطوطة أنه زار بأرض الأردن قبر الصحابى شرحبيل بن حسنة فاتح الأردن[4] .

وقد أطلق المسلمون على مدينة إيلياء ، أو بيت المقدس ، اسم القدس ، وذلك بعد كنس وتطهير الخليفة الراشد عمر بن الخطاب وصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم للمزبلة التى كانت حول الصخرة المقدسة ، وظلت حولها طوال العصر البيزنطى حين ابتذلها الروم نكاية وكيدًا لليهود ؛ وقد أفاد مجير الدين الحنبلى أن إوليـاء معناها : بيت الله المقدس ، وبيت المقدس ، أى المكان المطهر من الذنوب ، واشتقاقة من القدس ، وهى الطهارة والبركة ، فمعنى بيت المقدس ، المكان الذى يُتطَهّر

(١) الأزدى : نفس المصدر ، ص ٢٦٦ .

(٢) مجير الدين الحنبلى : الأنس الجليل ١ : ٢٦٠ .

(٣) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ١٧١ – ١٧٢ و ص ١٧٨ .

(٤) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ، دار صادر ، بيروت ١٣٩٧هـ – ١٩٦٦م ، ص ٦٠ – ٦٢ .

فيه من الذنوب ، ويقال المرتفع المنزه عن الشرك ، والبيت المقدس ، أى المُطَهَّر ، وتطهيره إخلاؤه من الأصنام[1] .

احتلال الفرنج للقدس سنة ٤٩٢هـ ، واستمرار احتلالهم له اثنتين وتسعين [٩٢] سنة ؛ حتى استنقذه منهم صلاح الدين الأيوبى سنة ٥٨٣هـ ، وهو ما عُرف بالفتح الصلاحى للقدس

تمكنت دولة الخلافة الفاطمية ـ بعد قيامها ببلاد المغرب بإفريقية التونسية سنة ٢٩٦هـ ، ثم انتقالها إلى مصر سنة ٣٥٨هـ[2] ، من مزاحمة دولة الخلافة العباسية فى السيادة على العالم الإسلامى ؛ فمد الخلفاء الفاطميون الأوائل سيطرتهم على بلاد الحرمين الشريفين ، وخُطِبَ لهم بمكة والمدينة المنورة ، كما سيطروا على غالب ممالك وبلاد الإسلام فى بلاد المغرب ومصر وبلاد الشام والجزيرة العربية ؛ إذ أقيمت دعوة الخليفة الفاطمى المعز لدين الله (ولى الخلافة بمصر من ٣٥٨هـ ٣٦٥هـ) ببلاد المغرب كله ، وديار مصر والشام ، والحرمين ، وبعض أعمال العراق[3] ؛ ونهضوا بفريضة الجهاد فى وجه الدولة البيزنطية المتنصرة فى آسيا الصغرى وبلاد الروم ذاتها ، وجزر البحر المتوسط ، حتى أرغموا الإمبراطور البيزنطى على توقيع الهدنة معهم فى سنة ٥١٨هـ ، وخُطِّب للخليفةالظاهر لإعزاز دين الله الفاطمى فى بلاد الروم ، وأعاد الجامع بالقسطنطينية[4] .

وقد ظلت القدس بأيدى الخلفاء الفاطميين أغلب أيام دولة خلافتهم ، وإن زاحمهم السيادة عليها خلفاء بنى العباس وسلاطين سلاجقة الروم (الشام) وأتابكتهم ونوابهم الأراتقة أصحاب دمشق ؛ إذ استولى الأراتقة على بيت المقدس سنة ٤٦٣هـ[5] ، ثم أقيمت الدعوة العباسية بالقدس من سنة ٤٦٥هـ ـ ٤٩١هـ[6] ، ثم استردها الخلفاء الفاطميون سنة ٤٩١هـ[7] ؛ الأمر الذى أضعف بلاد الشام ، وجعلها مطمعًا لحركة الفرنج منذ سنة ٤٩٠هـ[8] ؛ حين أجتاح الفرنج أسيا الصغرى ،

---

(١) مجير الدين الحنبلى : الأنس الجليل ١: ٦ .
(٢) أنظر المقريزى : الخطط ٢: ١٥٨ - ١٦٧ .
(٣) نفس المصدر ٢: ١٦٧ ، ٤: ٦٦ - ٧٤ ؛ مجير الدين الحنبلى : الأنس الجليل ١: ٣٠٣ - ٣١٠ .
(٤) المقريزى : الخطط ٢: ١٦٩ ، س ٨ - ١٠ .
(٥) مجير الدين الحنبلى : الأنس الجليل ١: ٣٠٥ .
(٦) نفس المصدر ١: ٣٠٥ أيضًا .
(٧) نفس المصدر ١: ٣٠٥ أيضًا ؛ وأنظر المقريزى : الخطط ٣: ٢٢ .
(٨) المقريزى : أتعاظ الحنفا ٣: ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٤ .

وانتزعوا من أيدى دولة سلاجقة الروم مدينة أنطاكية سنة ٤٩٢هـ وأسسوا بها أول إمارة صليبية في ساحل الشام[١] ؛ ثم زحفوا صوب فلسطين وتمكنوا من احتلال القدس في نفس هذه السنة (٤٩٢هـ) ، بعد استشهاد الحامية الفاطمية بها عن آخرها في سبيل الدفاع عنها استشهادًا بطوليًا[٢] .

ويحدثنا المقريزى عن السلوك الهمجى اللا إنسانى المتخلف المتعصب للفرنج ، عند استيلائهم على القدس سنة ٤٩٢هـ ، وكيف أبادوا أهله حتى لم ينج منهم إلا النذر القليل ، وكيف حرقوا المصاحف والكتب ، واستباحوا المقدسات الدينية الإسلامية ونهبوا ما كان بها من كنوز وذخائر وتحف ؛ فيقول : « فى سنة ٤٩٢هـ سار الفرنج لأخذ سواحل البلاد الشامية من أيدى المسلمين ؛ فملكوا مدينة أنطاكيه ، وساروا لبنان فقتلوا من به ؛ ... وخرجوا على طريق .. ، عكا ، ثم أخذوا الرملة فى ربيع الآخر ؛ وزحفوا منها إلى بيت المقدس فحاصروا المدينة ؛ وبلغ ذلك الأفضل (بن بدر الجمالى وزير التفويض الفاطمى وأمير الجيوش الفاطمية) ، فخرج بعساكر كثيرة لمحاربتهم ؛ وجد الفرنج ـ عندما بلغهم مسيرة إليها ـ فى حصار المدينة ، وكان نزولهم عليها فى شهر ربيع الآخر ، حتى ملكوها يوم الجمعة الثانى والعشرين (٢٢) من شعبان ، بعد أربعين يومًا ؛ وهدموا المشاهد وقبر الخليل عليه السلام ، وقتلوا عامة من كان فى البلد ؛ وكان فيه من العباد والصحلاء والعلماء والقراء وغيرهم خلائق لا يقع عليهم حصر ، فوضعوا السيف فيهم وأفنوهم عن آخرهم ، ولم يفلت منهم إلا اليسير . وانحازت عدة من المسلمين إلى محراب داود عليه السلام (وهو حصن على باب مدينة القدس ، بها محراب داود كما أفاد العماد الأصفهانى فى كتابه الفتح القيسى فى الفتح القدسى) ، فحاصرهم الفرنج نيفًا وأربعين يومًا حتى تسلموه بالأمان فى يوم الجمعة ثانى عشريه . وأحرقوا ما كان ببيت المقدس من المصاحف والكتب ، وأخذوا ما كان بالصخرة من قناديل الذهب والفضة والآلات ، وكان مبلغًا عظيمًا . ويقال أنه قُتل فى المسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفًا ، وأنهم لحقوا من فر من المسلمين مسيرة إسبوع يقتلون من أدركوه منهم »[٣] .

وباحتلال الفرنج للقدس سنة ٤٩٢ ، تم بأسيسهم لإمارة بيت المقدس الصليبية ؛ ثم ما لبثوا أن احتلوا ساحل بلاد الشام ، وكونوا إمارات : الرّها وطرابلس وعكا ، فيما بين سنتى ٤٩٣هـ ـ ٤٩٥هـ[٤] ؛ فاكتملت بذلك إماراتهم الخمس: أنطاكية، وبيت المقدس، والرّها، وطرابلس، وعكا .

---

(١) نفس المصدر ٣: ٢٠ ، ٢٤ .

(٢) نفس المصدر ٣: ٢٣ - ٢٤ ؛ مجير الدين الحنبلى : الأنس الجليل ١: ٣٠٥ . هذا عدا جزء من الحامية الفاطمية ، تحصنوا فى بُرج داود على باب مدينة القُدس ، ورفضوا إلقاء أسلحتهم ، مما أرغم الفرنج على منحهم الأمان ، فخرجوا من القُدس بأسلحتهم ، وعادوا إلى مصر .

(٣) المقريزى : ألفاظ الحنفا ٣: ٢٣ .

(٤) المقريزى : أتعاظ الحنفا ٣: ٢٨ ، ٣٤

وقد استمر احتلال الفرنج للقدس ٩٣ سنة ، حتى استنقذه منهم السلطان صلاح الدين الأيوبى سنة ٥٨٣هـ ، وهو ما عُرِف بالفتح الصلاحى للقُدس ؛ وطَهّر صلاح الدين قبة الصخرة من رِجس ومنكرات وتعديات الفرنج ، إبان احتلالهم للقدس ؛ فأبرز محراب المسجد الأقصى ، - وكان الفرنج قد بنوا أمامه حائطًا - ، ونصب المنبر ، ومحا ما وضعه الفرنج على حوائط القبة من صور ، وأزال التماثيل والأصنام ، وكسر الكنيسة والمذبح اللذين استحدثهما الفرنج فوق قبة الصخرة ، وغسل القبة وما حولها بماء الورد - وقيل غسلها بلحيته وهو يبكي - ، وعَمّر قبة الصخرة والمسجد الأقصى ، ورَخّم محرابه وكتب عليه لوحة مؤرخة تؤرخ لهذه العمارة ؛ ونصب بالمسجد الأقصى منبر السلطان الشهيد نور الدين محمود زنكى ، الذى كان أعَدّه وتعب فيه وطَعّمه بالأبنوس والعاج ، ووضعه بمحراب جامع حلب فى سنة ٥٦٤هـ برسم القدس إذا يسّر الله فتحها ، فوضعه صلاح الدين بقبلة المسجد الأقصى ، حين تم الفتح القدسى على يديه سنة ٥٨٣هـ(١) .

ذكر صلاح الدين للفرنج فى موقعة حطين يوم ٢٤ ربيع الآخر سنة ٥٨٣هـ

يحدثنا القاضى بهاء الدين بن شداد قاضى عسكر صلاح الدين عن الانتصار الساحق الذى مَنّ به الله على المسلمين فى معركة حطين سنة ٥٨٣ ، بحيث ظفروا بجميع الفرنج وملوكهم ومقدميهم بين قتيل وأسير حديث شاهد عيان معاصر للأحداث ، خبير ببواطن الأمور ، عليم بروح العصر ، مقرب للسلطان صلاح الدين عارف بسريرته وطويته ؛ متجاوب مع النصر العظيم ، الذى وهبه الله للإسلام والمسلمين يوم حطين ؛ مسجل له بقلم الفخر والاعتزاز ، شاكر الله ما مَنّ به على المؤمنين من

(١) أنظر بهاء الدين بن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيره صلاح الدين الأيوبى ، تحقيق جمال الدين الشيال ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٤م ، ص ٨١ - ٨٢ ؛ العماد الأصفهانى : الفتح القيسى فى الفتح القدسى ، تحقيق محمد محمود صبح ، القاهرة ، د. ت، ص ١١٦ - ١١٧ (ذكر فتح بيت الله المقدس) ، ص ١١٨ - ١٢١ (ذكر كنيسة قمامة = القيامة) ، ص ١٢٢ - ١٢٩ (وصف البيت المقدس) ، ص ١٣٠ - ١٣٤ (ذكر يوم الفتح وهو ٢٧ رجب) ، ص ١٣٥ - ١٣٦ (ذكر ما جرت عليه حال الفرنج فى خروجهم من القدس) ، ص ١٣٧ - ١٤٠ (كر ما أظهره السلطان فى القدس من الحسنات ومحاه من السيئات) ، ص ١٤١ - ١٤٤ (ذكر وصف الصخرة المعظمة عمرها الله) ، ص ١٤٥ - ١٤٦ (ذكر محراب داواد عليه السلام ، وغيره من المشاهد الكرام ؛ وتبطيل الكنائس وإنشاء المدارس) ، ص ١٤٧ - ١٤٩ (ذكر ما كتبته إلى الديوان العزيز - ديوان الخلافة العباسية - مجده الله ، للبُشرى بفتح القدس مع الرسول ضياء الدين الشهرزوى من رساله) ؛ العماد الأصفهانى : سنا البرق الشامى ، تحقيق فتحية النبراوى ، القاهرة ١٩٧٩م ، ص ٢٩٥ - ٣١٦ ؛ سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، طبع دائرة المعارف العثمانية بحدر آباد الدكن بالهند ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م ، ٨: ٣٩٢ - ٤٠٠ ؛ مجير الدين الحنبلى : الأنس الجليل فى تاريخ القدس والخليل ، مكتبة المحتسب ، عَمّان - الأردن ، د. ت ، ١: ٣١٠ - ٤٠٦ .

تأييده ونصره ؛ فيقول : « ذكر وقعة حطين[1] المباركة على المؤمنين ، وكانت في يوم السبت الرابع والعشرين (٢٤) من ربيع الآخر من شهور سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة (٥٨٣هـ) ؛ وذلك أن السلطان رأى أن نعمه الله عليه باستقرار قدمه فى الملك وتمكين الله إياه فى البلاد ، وانقياد الناس لطاعته ، ولزومهم قانون خدمته ، ليس لها شكر سوى الاشتغال ببذل الجهد ، والإجتهاد فى إقامة قانون الجهاد ؛ فسيّر إلى سائر العساكر واستحضرها .. ، وعرضهم ورتبهم ، واندفع قاصدًا نحو بلاد العدو المخذول ، فى وسط نهار الجمعة سابع عشر (١٧) من ربيع الآخر ؛ وكان أبدًا يقصد بوقعاته الجمع ، لا سيما أوقات صلاة الجمعة ، تبركا بدعاء الخطباء على المنابر ، فربما كانت أقرب إلى الإجابة ؛ فسار فى ذلك الوقت على تعبية الحرب (...) . حتى كان صباح السبت الذى بُورك فيه ، فطلب كُلٌّ من الفريقين مقامه ؛ وعلمت كلُّ طائفة أن المكسورة منهما مدحورة الجنس معدومة النفس ؛ وتحقق المسمون أن من ورائهم الأردن ، ومن بين أيديهم بلاد القوم ، وأن لا ينجيهم إلا الله تعالى . وكان الله قد قدر نصر المؤمنين ويسّره ، وأجراه على وفق ما قدره ؛ فحملت الأطلاب الإسلامية من الجوانب ، وحمل القلب ، وصاحوا صيحة الرجل الواحد ، فألقى الله الرعب فى قلوب الكافرين ، (وكان حقًا علينا نصر المؤمنين) .واحتاط أهل الإسلام بأهل الكفر والطغيان من كل جانب ، وأطلقوا عليهم السهام ، وعاملوهم بالصفاح ؛ وانهزمت منهم طائفة ، فتبعها أبطال المسلمين ، فلم ينج منهم واحد . واعتصمت الطائفة الأخرى بتلّ يقال له حطين ، - وهى قرية عنده وعندها قبر شعيب عليه الصلاة والسلام وعلى سائر الأنبياء - ، فضايقهم المسلمون على التل ، وأشعلوا حواليهم النيران ، وقتلهم العطش ، وضاق بهم الأمر ، حتى كانوا يستسلمون للأسر خوفًا من القتل ، فأسر مُقدّموهم ، وقُتل الباقون وأسروا »[2] .

---

(١) حطين : قرية بين طبرية وعكا ، بينها وبين طبرية فرسخين ، وبقرية جبارة بالقرب منها قَبْر يقال أنه قبر النبى شعيب عليه السلام (يا قوت : معجم البلدان ج ٧: ٢٧٣ - ٢٧٤ ، طبعة بيروت وراجع أيضًا المقريزى : الخطط ١: ٣٦٧ (ذكر مدينة حطين) حيث يذكر أن قرية حطين التى بها الآن (على أيام المقريزى) قبر شعيب ، تقع بين طبرية وصفد ، وهى أقرب إلى صفد . وأفاد ابن شيخ الربوة الدمشقى أن حطين كانت تعد من أعمال صفد ، بأرض فلسطين والأردن وأنها بقرب من طبرية . قال : " وعلى هذه القرية كانت وقعة عظيمة بين المسلمين والفرنج ، وكان ملك المسلمين صلاح الدين ، وكسر الفرنج على قرن حطين ، وقتل منهم خلق كثير ، وأسر ملوكهم ؛ وبنى على قرن حطين قبة يقال لها قبة النصر " ابن شيخ الربوة : نخبة الدهر ص ٢١ .

(٢) ابن شداد : النوادر السلطانية ص ٧٥ - ٧٧ ؛ وقارن العماد : الفتح القسى ، ص ٧٦ - ٨٣ (ذكر فتح طَبَرِيّة) ، العماد : سنا البرق الشامى ص ٢٩٥ - ٢٩٨ (ذكر يوم حطين) . ومما قاله العماد : " وَصَحَّت هذه الكسرة ، وتمّت هذه النصرة ، يوم السبت ؛ وضُربت ذِلة أهل السبت على أهل الأحد ، وكانوا أسودًا فعادوا من النقد ؛ فما أفلت من تلك الآلاف إلا الآحاد ، وما نجا من أولئك الأعداء إلا أعداد ؛ وامتلأ الملأ بالأسرى والقتلى، وانجلى الغبار عنهم بالنصر الذى تجلى ؛ وقيدت الأسارى بالحبال واجفة القلوب ، =

ويُفصّل بهاء الدين بن شداد ما حل بجميع ملوك ومقدمى الفرنج الذين وقعوا فى الأسر من الصّغار والهوان ، ويبيّن حرص السلطان صلاح الدين الأيوبى على تخيير من كان قد أهدر دمه منهم بين الإسلام أو القتل ؛ فيقول : « وكان فيمن سَلِمَ وأُسِرَ من مُقدميهم الملك جفرى ، والبرنس أرناط (صاحب حصن الكرك) ، وأخو الملك ، والبرنس - وهو صاحب الشوبك - وابن الهنفرى ، وابن صاحبة طبرية ، ومقدم الداوية ، وصاحب جبيل ، ومقدم الأسبتار . وأما الباقون من المقدمين فإنهم قتلوا ، وأما الأدوان فإنهم قسموا إلى قتيل وأسير ، ولم يسلم منهم إلا من أُسِرَ ، وكان الواحد العظيم منهم يخلد إلى الأسر خوفًا على نفسه . ولقد حكى لى من أثق به ، أنه لقى بحوران شخصًا واحدًا معه طنب خيمة فيه نيف وثلاثون أسيرًا ، يجرهم وحده لخذلان وقع عليهم . فأما الذين بقوا من مقدميهم ، فنذكر حديثهم ، أما القومص الذى هرب فإنه وصل إلى طرابلس ، وأصابته ذات الجنب فأهلكه الله بها ؛ وأما مقدم الاسبتار والداويه ، فإن السلطان اختار قتلهم ، فقتلوا عن بكرة أبيهم ؛ وأما البرنس أرناط ، فكان السلطان قد نذر أنه إذا ظفر به قتله ، وذلك أنه كان عَبَرَ بالشوبك قفل من الديار المصرية فى حالة الصلح ، فنزلوا عنده بالأمان ، فغدر بهم وقتلهم ، فناشدوه الله والصلح الذى بينه وبين المسلمين ، فقال ما يتضمن الاستخفاف بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وبلغ ذلك السلطان ، فحمله الدين والحَمِيّة على أنه نذر إن ظفرَ به قتله .

ولما فتح الله عليه بالنصر والظفر ، جلس السلطان فى دهليز الخيمة ، فإنها لم تكن نُصِبَت ، والناس يتقربون إليه بالأسرى ومن وجدوه من المقدمين . ونُصِبَتّ الخيمة ، وجلس فرحًا مسرورًا شاكرًا لما أنعم الله به عليه ، ثم استحضر الملك جفرى (ملك مملكة بيت المقدس الصليبية) وأخاه والبرنس أرناط ، وناول الملك جفرى شربة من جلاب (أى ماء الورد) مثلج ، فشرب منها وكان على أشد حال من العطش ، ثم ناول بعضها البرنس أرناط ، فقال السلطان للترجمان : قل للملك ، أنت الذى سقيته ، وأما أنا فما سقيته . وكان من جميل عادة العرب وكريم أخلاقهم ، أن الأسير إذا أكل أو شرب من ماءٍ لمن أسره أَمِنَ ، فقصد بذلك ، الجرى على مكارم الأخلاق . ثم أمرهم بتسيرهم

= وفرشَتَ القتلى فى الوهاد والجبال واجبة الجنوب ؛ وحَطّت حطين تلك الجيف على متنها ، وطاب نشر النصر بنتنها ؛ وعَبَرْت بها فلقيت أشلاء المشلولين فى الملتقى ملقاه ، بالعراء عراة ، ممزقة بالمازق ، مفصلة المفاصل مفرقة المرافق ، مفلقة المفالق ؛ محذوفة الرقاب ، مقصوفة الأصلاب ، مقطعة الهام ، موزعة الأقدام ، مجدوعة الآناف ، منزوعة الأطراف ؛ معضاة الأعضاء، مجزأة الأجزاء ، مفقوءة العيون، مبعوجة البطون (...) . وصارت تلك المعركة ، بالدماء دأماء ، وعادت الغبراء حمراء ؛ وجرت أنها الدم المُنَهَّر ، وسَفَرَ بتلك الخبائث المظلمة وجه الدين المطهر (...) . هذا حساب من قُتل ، فقد حَصَرَتَ ألسنة الأمم عن حصره وَعَدّه ، وأَمّا من أُسِرّ ، فلم تكْف أطناب الخِيَمِ عن قَيْدِهِ وَشَدّه ؛ ولقد رأيتُ فى حبل واحد ثلاثين (٣٠) وأربعين (٤٠) يقودهم فارس ، وفى بقعة واحدة مائة (١٠٠) أو مائتين (٢٠٠) يحميهم حارس " أنظر العماد : الفتح القسى ص ٧٩ – ٨٣ .

إلى موضع عُيّن لنزولهم ، فمضوا وأكلوا شيئًا ، ثم عاد فاستحضرهم ولم يبق عنده أحد سوى بعض الخدم ، واستحضرهم وأقعد الملك في الدهليز ، واستحضر البرنس أرناط ، وواقفة على ما قال ، وقاله له : ها أنذا انتصر لمحمد عليه الصلاة والسلام . ثم عرض عليه الإسلام ، فلم يفعل . ثم سَلَّ النمجاه (خنجر مقوس يشبه السيف القصير) وضربه بها ، فحل كتفه ، وتمّم عليه من حضر ، وعجل الله بروحه إلى النار ، فأخذ ورُمى على باب الخيمة . فلما رآه الملك وقد خرج به على هذه الصورة ، لم يشك أنه يُثّنى به ، فاستحضره (السلطان) وطيب قلبه ، وقال : لم تجر عادة الملوك أن يقتلوا الملوك، وأما هذا فإنه تجاوز حده ، فجرى ما جرى . وبات الناس في تلك الليلة على أتم سرور، وأكمل حبور ، ترتفع أصواتهم بالحمد لله والشكر له ، والتكبير والتهليل حتى طلع الصبح في يوم الأحد[1] .

---

(١) بهاء الدين بن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٧٧ - ٧٩ ؛ وقد أفرد العماد الأصفهاني في كتابه الفتح القسى فصلان عن هذا اليوم المجيد الذى أعز الله فيه الإسلام وأذل أعدائه ، وعرض فيه صلاح الدين أسرى ملوك الفرنج ، أحدها بعنوان : (ذكر الصليب الأعظم والاستيلاء عليه يوم المصاف) ، وثانيهما بعنوان : (ذكر ما اعتمده فى الأسارى الداوية والاسبتارية من ضرب رقابهم) أفاد فيهما أن صليب الصلبوت الذى يعظمه الفرنج قد أخذ يوم معركة حطين ، وان أخذه كان أعظم من أسر ملك الفرنج ، وأن صلاح الدين قد سير الأسرى من ملوك الفرنج وسجنهم بمدينة دمشق . وكان مما قاله العماد : " ولم يؤثر الملك حتى أخذ صليب الصلبوت ، وأهلك دونه أهل الطاعوت (...) ؛ وهم يزعمون أنه من الخشبة التى يزعمون أنه صلب عليها معبودهم ، فهو معبودهم ومسجودهم ؛ وقد غلفوه بالذهب الأحمر ، وكللوه بالدرّ والجوهر ؛ واعدوه ليوم الروع المشهود ، ولموسم عيدهم الموعود ؛ فإذا أخرجته القسوس ، وحملته الرؤس ؛ تبادروا إليه ، وأنثالوا عليه ؛ ولا يسع لأحدهم عنه التخلف ، ولا يسوغ للمتخلف عن اتباعه فى نفسه التصرف ؛ وأخذه أعظم عندهم من أسر الملك ، وهو أشد مصاب لهم فى هذا المعترك (...) ؛ فلما أخذ هذا الصلب الأعظم عظم مصابهم ، ووهت أصلابهم " (العماد : الفتح القسى ، ص ٨٤) . " فلما أصبح يوم الإثنين سابع عشرى (١٧) ربيع الآخر بعد الفتح بيومين ، طلب (السلطان) الأسارى من الداوية والاسبتارية ، وقال : أنا أُطَهِّر الأرض من الجنسين النجسين ، وجعل لكل من يحضر منهما أسيرًا خمسين (دينارًا) ، فأحضر العسكر فى الحال مئتين ؛ وأمر بضرب أعناقهم ، واختار قتلهم على استرقاقهم (...) . وكان عنده جماعة من أهل العلم والتصوف ، وعدة من ذوى التعفف والتعيف ؛ فسأل كل واحد فى قتل واحد ، وسل سيفه وحسر عن ساعد (..) . وسير ملك الفرنج وأخاه وهنفرى وصاحب جبيل ومقدم الداوية وجميع أكابرهم المأسورين إلى دمشق ليودعوا السجون ، وتستبدل بحركاتهم السكون " (العماد : الفتح القسى ص ٨٦ - ٨٧) . وزاد العماد فى البرق الشامى : " فما قَتَلَ إلا من عرض عليه الإسلام فأبى أن يُسْلِمّ ، ورأى لشدته فى كفره أن ينقاد للقتل ولا يستسلم ؛ وما أسلم إلا آحاد حَسُنَ إسلامهم ، وتأكد بالدين غرامهم " (العماد : سنا البرق الشامى ، ص ٢٩٨) . وأنظر سبط : مرآة الزمان ٨ : ٣٩٣ - ٣٩٤ ، حيث يقول : " ثم عرض السلطان الإسلام على الداوية والاسبتارية ، فمن أسلم منهم استبقاه ، ومن لم يسلم قتله ، فقتل خلق عظيم ، وبعث باقى الملوك والأسارى إلى دمشق ، إلى (الوزير) الصفى بن القابض ، فأعتقل الأعيان فى القلعة ، وباع الأسارى بثمن بخس ، حتى باع بعض الفقراء أسيرًا بنعل ، فقيل له : هذا ثمن بخس ! ، فقال : أردت هوانهم " .

ويصف بهاء الدين بن شداد حصار السلطان صلاح الدين للقدس ، حتى طلب الفرنج المحاصرين به الأمان ، بقوله تحت عنوان : (ذكر فتح القدس المبارك الشريف) :

« ولما تسلم (السلطان) عسقلان والأماكن المحيطة بالقدس ، شمر عن ساق الجد والاجتهاد في قصده ، واجتمعت عليه العساكر التى كانت متفرقة فى الساحل بعد انقضاء لبانتها من السلب والغارة ، فسار نحوه معتمدًا على الله ، مفوضًا أمره إليه ، منتهزًا فرصة فتح باب الخير الذى حُث على انتهازه إذا فُتِحَ ، بقوله عليه السلام : من فُتِحَ له باب خير فلينتهزه ، فإنه لا يعلم متى يغلق دونه . وكان نزوله عليه يوم الأحد الخامس عشر (١٥) من رجب سنة (٥٨٣هـ) المباركة ؛ فنزل بالجانب الغربى ، وكان مشحونًا بالمقاتلة من الخيالة والرجاله ، ولقد تحازر أهل الخبرة عدة من كان فيه من المقاتلة بما يزيد على ستين (٦٠) ألفًا ما عدا النساء والصبيان ؛ ثم انتقل ـ رحمه الله ـ لمصلحة رآها إلى الجانب الشمالى ، وكان انتقاله يوم الجمعة العشرين (٢٠) من رجب ، ونصب عليه المجانيق ، وضايقه بالزحف والقتال وكثرة الرماة ، حتى أخذ النقب فى السور مما يلى وادى جهنم فى قرية شمالية . ولما رأى أعداء الله ما نزل بهم من الأمر الذى لا يندفع عنهم ، وظهرت لهم إمارات نصرة الحق على الباطل ، وكان قد ألقى فى قلوبهم الرعب مما جرى على أبطالهم ورجالهم من السَّبى والقتل والأسر ، وما جرى على حصونهم من الاستيلاء والأخذ ، علموا أنهم إلى ما صاروا إليه صائرون ، وبالسيف الذى قُتل به إخوانهم مقتولون ؛ فاستكانوا وأخلدوا إلى طلب الأمان ، واستقرت القاعدة بالمراسلة بين الطائفتين »(١) .

---

(١) ابن شداد : النوادر السلطانية ص ٨١ . وأفاد العماد الأصفهانى ، أن صلاح الدين كان قد عزم على فتح القدس عنوة كما أخذه الفرنج عنوة حين استولوا عليه سنة ٤٩٢ وبقى بأيديهم ٩١ عامًا ، ثم نزل على رأى ومشورة مستشاريه فى فتحه صلحًا وتأمين من به من الفرنج بعد أن هدد الفرنج بقتل من عندهم من أسرى المسلمين وتخريب قبة الصخرة ، أنظر العماد : الفتح القسى ص ١١٦ – ١٢٩ ، العماد : سنا البرق الشامى ص ٢٠٩ – ٣١٣؛ وما قاله العماد : "إن أُسْعِدْنا من الله على إخراج أعدائه من بيته المقدس فما أسعدنا ، وَأَىّ يد له عندنا إذا أيدنا ؛ فإنه مكث فى يد الكفر إحدى وتسعين (٩١) سنة ، لم يتقبل الله فيه من عابد حسنة ، ودامت همم الملوك عنه متوسنة ، (...) ؛ فما أدخر الله فضيلة فتحه إلا لآل أيوب ، ليجمع لهم بالقبول القلوب ؛ وخص به عصر الإمام الناصر لدين الله ليفضله على الأعصار ، ولتفخر به مصر وعسكرها على سائر الأمصار ؛ وكيف لا يهتم بافتتاح البيت المقدس الأقوى ، والمسجد الأقصى المؤسس على التقوى ؛ وهو مقام الأنبياء ، وموقف الأولياء ، ومعبد الأتقياء ، ومزار أبدال الأرض وملائكة السماء ؛ ومنه المحشر والمنشر ، ويتوافد إليه من أولياء الله بعد المعشر المعشر ؛ وفيه الصخرة التى صينت جدة أبهاجها من الإنهاج ، ومنها منهاج المعراج ، ولها القبة الشماء التى على رأسها التاج ؛ وفيه وَمَضَ البارق ومضى البراق ، وأضاءت ليلة الإسراء بحلول السراج المنير فيه الآفاق (...) وهو أول القبلتين ، وثانى البيتين ، وثالث الحرمين؛ وهو =

وفطن ابن شداد إلى جميل المصادفة ، وخير التوفيق الإسلامى ، ويمن الطالع ، وسعادة التدبير ؛ فى موافقة يوم تسلم السلطان صلاح الدين للقدس وليلته لليلة الإسراج والمعراج لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فيقول مشيدًا بهذا الفتح المبارك متتبعًا أصدائه السّارة فى الأمصار الإسلامية وخاصة مصر والشام : « وكان تسلمه ـ القدس ـ قدس الله روحه ـ فى يوم الجمعة السابع والعشرين (٢٧) من رجب ، وليلته كانت ليلة المعراج المنصوص عليها فى القرآن المجيد ؛ فأنظر إلى هذا الاتفاق العجيب ، كيف يسّرّ الله عوده إلى أيدى المسلمين فى مثل زمان الإسراء بنبيهم ـ صلى الله عليه وسلم ـ إليه ، وهذه علامة قبول هذه الطاعة من الله تعالى . وكان فتوحًا عظيمًا شهده من أهل العلم خلقٌ عظيم ، ومن أرباب الخِرَق والطرق (يعنى الصوفية) ؛ وذلك أن الناس لما بلغهم ما يَسّر الله عليه يده من فتوح السواحل ، وشاع قصده القدسى ، قصده العلماء من مصر والشام ، بحيث لم يتخلف معروفٌ من الحضور ؛ وارتفعت الأصوات بالضجيج والدعاء والتهليل والتكبير ، وخطب فيه وصليت فيه الجمعة يوم فتحه ، وحُط الصليب الذى كان على قبة الصخرة ، وكان شكلاً عظيمًا ، ونصر الله الإسلام نصر عزيز مقتدر »[1] .

= أحد المساجد الثلاثة التى جاء فى الخبر النبوى أنها تشد إليها الرحال ، ويعقد الرجاء بها الرجال . ولعل الله يعيد بنا إلى أحسن صوره ، كما شرفه بذكره مع أشرف خلقه فى أول سوره ، وقال عز من قائل : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى ﴾، وله فضائل ومناقب لا تحصى، وإليه ومنه كان الإسراء ، ولأرضه فتحت السماء ، وعنه تؤثر أنباء الأنبياء ، (...) ، وصخرته الطولى ، القبلة الأولى ؛ ومنها تعالت القدم النبوية ، وتوالت البركة العلوية ؛ وعندها صلى نبينا صلى الله عليه وسلم بالنبيين، وصحب الروح الأمين ، وصعد منها إلى أعلى عليين ، (...) ؛ وهو الذى افتتحه الفاروق وافتتحت به سورة الفرقان " . (العماد : فتح القسى ص ١٢٢ - ١٢٣) .

(١) ابن شداد : النوادر السلطانية ص ٨٢ ؛ وأنظر العماد : الفتح القيسى ص ١٣٠ - ١٣٤ (ذكر يوم الفتح وهو سابع عشرى (١٧) رجب) ؛ ومما قاله العماد : " واتفق فتح البيت المقدس فى يوم كان فى مثل ليلته منه المعراج ، وتَمَّ بما وضح من منهاج النصر الابتهاج ، وزاد من الألسنة بالدعاء والابتهال الالتهاج ، وجلس السلطان للهناء ،للقاء الأكابر والأمراء ، والمتصوفة والعلماء ؛ وهو جالس على هيئة التواضع وهيبة الوقار ، بين الفقهاء وأهل العلم جلسائه الأبرار (...) . فبشرت بأقلامى أقاليم البشر ، وعبرت بأعاجيبى عن عجائب العِبَرّ ، وملأت البروج بالدرارى والدروج بالدرر ، ورويت تلك البشرى حتى أطابت ريا (الرّىّ) وسَمَرّ (سمرقند) ، وأطْرَبت وحَلّتّ حتى فاقت القنديد والقند ؛ وعَلَّقْتُ بفتح القدس بلاد الإسلام وزينت ، وشرحت فضيلتها وبينت ، وأديت فريضة زيارتها وتعينت . (...) وكَتَبْتُ إلى كل ذى طرف بمعنى طريف ، ولفظ فصيح حصيف (...) ؛ وسارت شواردى إلى المشرق والمغرب ، معربة عن هذا الفتح المعرب ، عن النصر المذهب، وبشرت المسجد الحرام بخلاص المسجد الأقصى ، وتلوتَ ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى ﴾ (الآية ١٣ من سورة الشورى) ؛ وهنأت الحجر الأسود بالصخرة البيضاء ، ومنزل الوحى بمحل الإسراء ، ومقر سيد المرسلين وخاتم النبيين بمقر الرسل والأنبياء ، ومقام إبراهيم بموضع قدم المصطفى - صلى الله عليه وعليهم أجمعين ، وأدام الله على الإسلام بشرف بيتيه مستمتعين . وتسامع الناس بهذا النصر الكريم ، والفتح العظيم ؛ فوفدوا للزيارة من كل فج عميق ، وسلكوا إليه فى كل طريق ، وأحرموا من البيت المقدس إلى البيت العتيق " (العماد : الفتح القسى ص ١٣٠ - ١٣٤) .

ويختتم ابن شداد حديثه عن الفتح الصلاحي للقُدس ، بذكر شروط الصلح التي أقر عليها صلاح الدين الفرنج بعد استسلامهم وتسليمهم القدس له ؛ فيقول : « وكان قاعدة الصُلح ، أنهم قطعوا على أنفسهم : عن كل رجل عشرة (١٠) دنانير ، وعن كل امرأة خمسة (٥) دنانير صورية ، وعن كل صغير ذكر أو أنثى دينارًا (١) واحدًا ، فمن أحضر القطيعة سلم نفسه ، وإلا أُخذ أسيرًا . وفرج الله عمن كان أسيرًا من المسلمين ، وكانوا خلقًا عظيمًا زهاء ثلاثة آلاف أسير . وأقام - رحمه الله - يجمع الأموال ويفرقها على الأمراء والعلماء ، وإيصال من دَفع قطيعته منهم إلى مأمنه وهو « صور » . ولقد بلغني أنه - رحمة الله عليه - رحل عن القدس ولم يبق له من ذلك المال شيء ، وكان مأتي (٢٠٠) ألف دينار ، وعشرين (٢٠) ألف دينار ؛ وكان رحيله عنه يوم الجمعة الخامس والعشرين (٢٥) من شعبان سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة (٥٨٣هـ) »[1] .

قال مجير الدين الحنبلي : وما أصيب الفرنج من حين خرجوا إلى الشام في سنة ٤٩٠هـ إلى الآن، بمصيبة مثل هذه الواقعة[2] .

---

(١) ابن شداد : النوادر السلطانية ص ٨٢ . ويقول سِبْط بن الجوزي عن شروط الصلح : " واستقر الأمر على أن يخرجوا بأنفسهم وأموالهم وذراريهم ، سوى الخيل الحربية والسلاح ؛ بعد أن يؤدي كل واحد منهم عشرة دنانير ، وعن المرأة خمسة دنانير ، وعن الصبي أربعة دنانير ، وعن الطفل دينارًا ؛ ومن عجز منهم ، كان رقيقًا سيملك ؛ ومن أراد من النصارى الإقامة ، فليقم وتؤخذ منه الجزية ؛ وأقر بأيديهم القمامة (أي كنيسة القيامة) ، وعينوا أماكن يزورونها ؛ وسلموا البلد يوم الجمعة سابع عشرين (٢٧) رجب ليلة المعراج ، فكان استيلاء الفرنج عليه اثنين وتسعين (٩٢) سنة ، لأنهم أخذوه في سنة ٤٩١هـ ، وفتح في هذه السنة وهي سنة ٥٨٣هـ (...) . قلت : ولقد ضيع السلطان الحزم بتسيير الفرنج إلى صور ، ولم ينظر في عواقب الأمور ؛ فإن اجتماعهم بصور كان سببًا لأخذهم البلاد ، وقتلهم بعكا من قتلوا من الأعيان وأجناد الإسلام ؛ وقد كان الواجب عرضهم على الإسلام ، فإن أبو فالسيف وهو أصدق أنباء من الكتب ؛ وأنّى وكيف ، وما أشبه هذه القضية بفدية الأسارى يوم بدر ، حيث أشار بعض الصحابة بأخذ ذلك القدر ، وبعضهم أشار بضرب الرقاب ، وما صدر ذلك الرأى إلا عن صدر ؛ فلا جرم قتل منهم يوم أُحُد سبعون ، وأسر سبعون من المسلمين ، كما فعلوا يوم بدر بالمشركين " (سبط : مرآة ٨ : ٣٩٧ – ٣٩٨) . قلت : والذي يستفاد من تاريخ فتوح الشام في صدر الإسلام زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وسيرة أبي عبيدة ابن الجراح رضى الله عنه القائد العام لفتوح الشام ، أنه كان يصالح أهل بلاد الشام ومدنه ويأمنهم ويفتح بلادهم صلحًا لا عنوة ، حتى يسارع أهل بقية المدن لطلب الصلح على شروط عادلة مماثلة ؛ ولا شك عندى أن السلطان صلاح الدين الأيوبي قبل نهوضه لفتوح الشام والسواحل ، قد قرأ سيرة وتاريخ أبي عبيدة بن الجراح رضى الله عنه ، ودرس فتوحه وبقية فتوح الشام ، واستفاد من سيرته في حروبه مع الفرنج ، والواقع أن السلطان صلاح الدين قد حصر الفرنج في شريط ساحلي ضيق على ساحل الشام محصورًا بين صور وصَيْدًا ، حتى سهل استئصال شأفتهم من الشام نهائيًا وهو ما تم على يد السلطان الأشرف خليل بن قلاون ، حين فتح عكا آخر معاقل الفرنج بساحل الشام .

(٢) مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل ١: ٣٣ (ذكر يوم الفتح) .

ولنستمع لشهادة شاهد عيان آخر ، شهد بنفسه تسليم الفرنج للقدس سنة ٥٨٣هـ وخروجهم منها ، وعاش أحداث هذا الفتح الجليل عن قرب ، وخبَرَ شروط التسليم ، واطلع على خبايا الأمور ، لكونه من مستشارى الدولة الصلاحية ورؤساء دواوينها ؛ وأعنى به العماد الأصفهانى ، رئيس ديوان الإنشاء الصلاحى فى بلاد الشام ؛ وقد جاء وصفه لها اليوم المجيد ، الذى أعزّ الله فيه الإسلام ، وأذلّ فيه أعدائه ـ كما عهدنا من أسلوب العماد البليغ وبيانه الرائع ـ وصفًا مؤثرًا جدًا ـ ، من شأنه ولا ريب أن يجعل هذا النصر المظفر وذكراه ، ماثلة دائمًا فى أذهاننا ، مهما طال عليها الأمد ؛ فيقول العماد : « فعقد السلطان محضرًا للمشورة ، وأحضر كبراء عساكره المنصورة ؛ وشاورهم فى الأمر ، وحاورهم فى السر والجهر ؛ (...) . واستقر بعد مراودات ومعاودات ، ومفاوضات وتفويضات ، وضراعات من القوم وشفاعات ؛ على قطعة تكمُل بها الغِبْطة ، وتحصل منها الحَوْطة ، وأشتروا بها منّا أنفسهم وأموالهم ، وخلّصوا بها رجالهم ونساءهم وأطفالهم ؛ على أنه من عجز بعد أربعين يومًا عما لزمه ، أو امتنع منه وما سلّمه ؛ ضُرِبَ عليه الرِّقّ ، وثبت فى تملكه لنا الحق ؛ وهو عن كل رجل عشرة (١٠) دنانير ، وكل امرأة خمسة (٥) ، وكل صغير أو صغيرة ديناران (٢) ؛ ودخل ابن بارزان (أحد كبار أمراء الفرنج) والبطرك ومقدما الداوية والاسبتارية فى الضمان . وبذل ابن بارزان ثلاثين (٣٠) ألف دينار عن الفقراء ، وقام بالأداء ، ولم ينكل عن الوفاء ؛ فمن سلّم خرج من بيته آمنًا ، ولم يعد إليه ساكنًا .

وسلموا البلد يوم الجمعة السابع والعشرين (٢٧) من رجب على هذه القطيعة ، وردّوه بالرغم رد الغصب لا الوديعة ؛ وكان فيه أكثر من مائة (١٠٠) ألف إنسان ، من رجال ونساء وصبيان ؛ فأغلقت دونهم الأبواب ، ورُتبت لعرضهم واستخراج ما يلزمهم النواب ؛ ووُكل بكل باب أمير ومقدم كبير ، يحصر الخارجين ، ويحصى الوالجين ؛ فمن استُخرج منه خرج ، ومن لم يقم بما عليه قعد فى الحبس وعدم الفرّج .

ولو حُفظ هذا المال حق حفظه ، لفاز منه بيت المال بأوفر حظه ؛ لكنما تم التفريط ، وعم التخليط ؛ فكل من رشا مشى، وتنكب الأمناء نهج الرشد بالرُشا ؛ فمنهم من أدلى من السور بالحبال، ومنهم من حُمل مخفيًا فى الرحال ؛ ومنهم من غُيّرت لبسته فخرج بزىّ الجند ، ومنهم من وَقّعتّ فيه شفاعة مطاعة لم تقابل بالرد .

وكانت فى القدس ملكة رومية مترهبة ، فى عبادة الصليب متصلبة ، وعلى مصابها ملتهبة ، وفى التمسك بملتها متصعبة متعصبة ، أنفاسها متصاعدة للحُزن ، وعباراتها متحددة تحدّر القطرات من المُزن ، ولها حال ومال وأشياء وأشياع ، ومتاع واتباع ؛ فَمَنَّ عليها السلطان وعلى كل من معها

بالإفراج ، وأذِنَ فى إخراج كل مالها فى الأكياس والأخراج ؛ فراحت فرحى ، وإن كانت من شجنها قرحى .

وكانت زوجة الملك المأسور ـ ابنة الملك أمارى ـ ، مقيمة فى جوار القدس مع مالها من الخدم والخول والجوارى ؛ فخلصت هى بمن معها ومن تبعها ، ومن إدعى أنه ممن صحبها وشيعها . وكذلك الإبرنساسة ابنة فيليب أم هنفرى ؛ أعفيت من الوزن ، وتوفر مالها عليها فى الحزن .

واستطلق صاحب ألبيرة زهاء خمسماسة (٥٠٠) أرمنى ، ذكر أنهم من بلدة ، وأن الواصل منهم إلى القدس لأجل متعبده ؛ وطلب مُظفر الدين بن على كوجك ، زهاء ألف (١٠٠٠) أرمنى ادعى أنهم من الرها ، فأجراه السلطان من إطلاقهم له على ما اشتهى .

وكان السلطان قد رتب عدة دواوين ، فى كل ديوان منها عدة من النواب من المصريين ومنهم من الشاميين ؛ فمن أخذ من أحد الدواوين خطًا بالأداء انطلق مع الطلقاء ، بعد عرض خطه على من بالباب من الأمناء والوكلاء ؛ فذكر لى من لا أشك فى مقاله ، أنه كان يحضر فى الديوان ويطلع على حاله ، فربما كتبوا خطًا لمن نقده فى كيسهم ، ويلبس أمر تلبيسهم ؛ فكانوا شركاء بيت المال لا أمناه ، وخانوه على ما حصل لكل من الغنى والنفع وما أضر غناه ؛ ومع ذلك حصل لبيت المال ما يقارب مائة (١٠٠) ألف دينار ، وبقى من بقى تحت رق وأسار ، ينتظر به انقضاء المدة المضروبة ، والعجز عن الوفاء بالقطيعة المطلوبة »[1] .

« وشرع الإفرنج فى بيع الأمتعة ، واستخراج ذخائرهم المودعة ؛ وباعوها بالمجان فى سوق الوهان ، وتقاعد الناس بهم فابتاعوها بأرخص الأثمان (...) ؛ وكنسوا كنائسهم ، وأخذوا منها نفائسهم (...) ؛ ونقضوا من الكنائس الكنائن ، واستخرجوا من الخزائن الدفائن ؛ وجمع البطرك الكبير كل ما كان على القبر من صفائح التّبر ومصوغات العَسْجَدّ ومصنوعات اللُّجين ، وجمع ما كان فى قمامه (كنيسة القيامة) من الجنسين والنسجين .

فقلت للسلطان : هذه أموال وافرة ، واحوال ظاهرة ؛ تبلغ مائى (٢٠٠) ألف دينار ، والأمان على أموالهم لا أموال الكنائس والأديار ، فلا تتركها فى أيدى هؤلاء الفجار . فقال : إذا تأوّلنا عليهم نسبونا إلى الغدر ، وهم جاهلون بسير هذا الأمر ؛ ونحن نجريهم على ظاهر الأمان ، ولا نتركهم يرمون أهل الإيمان بنكث الأيمان ، بل يتحدثون بما آفضناه من الإحسان .

---

(١) العماد : الفتح القسى ص ١٢٧ - ١٢٩ (وصف البيت المقدس) .

فتركوا ما ثقل وحملوا ما عز وخف ، ونفضوا من تراب تراثهم وقمامة قمامتهم الكف ؛ وانتقل معظمهم إلى صور ، وكتفوا بالديجور الديجور ؛ وبقى منهم زهاء خمس عشر (١٥) ألفًا امتنعوا عن مشروع الحق ؛ فاختصوا بمشروط الرق . فأما الرجال وكانوا فى تقدير سبعة (٧) آلاف ، فإنهم ألفوا ذلاً لم يكونوا له بآلاف ؛ فاقتسمتهم أيدى السّبى أيدى سبًا ، وتفرق الغانمون بجمعهم فى الوهاد والربا . وأحصيت النساء والصبيان ثمانية (٨) آلاف نسمة ، عادت بيننا مقتسمة ، وأصبحت ببكائها وجوه الدولة مبتسمة .

فكم محجوبة هُتِكت ، ومالكه مُلكت ، وعَزباء نُكحت ، وعزيزة مُنحتّ ، وبخيلة تَسمّحتّ ، وحيية توَقَّحتّ ، ومُجِدَّة مَزَحتّ ، ومصونة إبْتذلتّ ، وفارغة شُغلت ، وعقيلة امتُهنتّ ، وجميلة امتُحِنتّ ، وعذراء افتُرِعَتّ ، وشمّاء فُرِعَتّ ، ولمياء رُشِفَتّ ، وظمياء فُرِشَتّ (...) ؛ فكم تسرّى منهن سَرِىّ ، وتجرأ عليهن جَرِىّ ؛ وقضى وطره عَزِبّ ، ونقىَ نهمه سَغِبّ .

ولما تقدس القدس من رجس الفرنج أهل الرجز ، وخلع لباس الذل ولبس خِلَعَ العزّ ، أبى النصارى (يقصد نصارى الشام ذوى الأصول العربية) بعد أداء القطيعة أن يخرجوا ، وتضرّعوا فى أن يسكُنوا ولا يُزعَجوا ، وبذلوا خدمًا وخدَموا ببذول ، وقابلوا كل ما ألزموا به بالتزام وقبول ؛ وأعطوا الجزية عن يَدٍ وهم صاغرون ، وشحّتّ أفواهُهُم بما شجاهُمّ فزاد شجاهُمّ وهم فاغرون ؛ ودخلوا فى الذّمّة ، وخرجوا إلى العصَمَة ، وشغلوا بالخدمة ، واستُعملوا فى المِهنَة ، وعدُّوا المحنة فى تلك المحنة »[1] .

ويتضح من الوصف الدقيق البليغ ، الذى أمدنا به العماد الأصفهانى فى كتابه الفتح القيسى فى الفتح القدسى ، عن تسليم الفرنج للقدس فى ٢٧ رجب سنة ٥٨٣هـ ، ورضوخهم لشروط الأمان الذى منحه لهم السلطان صلاح الدين الأيوبى ، وحالهم فى خروجهم من القدس ؛ يتضح أنه كان بالقدس من الفرنج عند فتح السلطان له أكثر من مائة (١٠٠) ألف إنسان من رجال ونساء وصبيان ، فأغلقت دونهم أبواب مدينة القدس وصاروا أسارى ؛ وأن من لم يستطع من الفرنج أداء ما يفتدى به نفسه من الأسر والرق ، ـ وهو عشرة (١٠) دنانير عن كل رجل ، وخمسة (٥) دنانير عن كل امرأة ، وديناران (٢) عن كل طفل أو طفلة ؛ ـ وذلك بعد انقضاء المهلة وهى أربعين (٤٠) يومًا ـ ، وقع فى الأسر والرق ؛ وأنهم كانوا زهاء مائة (١٠٠) ألف نسمة ، عجز منهم عن أداء الفدية ١٥ ألف ، ٧ آلاف من الرجال ، و٨ آلاف من النساء والصبيان ، صاروا جميعًا أرقاء للمسلمين ، وتسرى المسلمون بالنساء منهم ، وصرن ملك يمين وأمهات أولاد للمسلمين .

كذلك أفاد العماد الأصفهانى أن خزائن بيت مال المسلمين فى الدولة الصلاحية قد امتلأت من هذا الفداء ، رغم ما حدث من إنحراف وارتشاء بعض موظفى الديوان ، وتغاضيهم عن أخذ الفداء

---

(١) العماد : الفتح القسى ص ١٣٥ - ١٣٦ (ذكر ما جرت عليه حال الفرنج فى خروجهم من القدس) .

من بعض الفرنج نظير رشاوى دفعوها إليهم ؛ وذكر العماد أن شهامة صلاح الدين قد آبتّ عليه إذلال من كان بالقدس من ملكات وأميرات الروم والفرنج ووقعن فى الأسر ، فَمَنَّ عليهن السلطان وأطلق سراحهن بغير فداء ، وسمح لهن بالخروج بأموالهن وجواديهم وعبيدهن ؛ عملاً بالقول السائر : أكرموا عزيز قوم ذَلّ ؛ كما إنه - رحمه الله - قبل شفاعة بعض أمراء دولته فى عدد كبير من الأرمن ، الذين كانوا مقيمين بالقدس على نية الحج والعبادة ، لا القتال مع الفرنج .

وذكر العماد أن تسامح السلطان بلغ مداه تجاه الكنائس والأديرة بالقدس ، فسمح لبطريرك كنيسة القيامة وأساقفة الأديرة ، بالاحتفاظ بذخائر وكنوز وتحف كنائسهم وأديرتهم ، كما أنه رفض ما أشار عليه به بعض المتشددين من رجال مشورته ، من هدم بناء كنيسة القيامة التى يَحُجّ إليها الفرنج مما وراء البحر ، لاعتقادهم بوجود موضع صلب المسيح وقبره تحتها ؛ وسمح للنصارى بالحج إلى كنيسة القيامة ، وترك أبوابها مفتوحة للزيارة ، وحدد لهم مواضع معينة بالقدس يزورونها ، لكونها من مقدساتهم الدينية ، حتى يشيع ذكر ذلك التسامح الدينى بين النصارى وعند الفرنج ، فينسب المسلمون إلى التسامح والعفو ، ولا ينسبوا إلى التعصب والتشدد .

كما ذكر العماد الأصفهانى أن التسامح الدينى لصلاح الدين تجاه المقدسات الدينية غير الإسلامية بالقدس ، الخاصة بأهل الكتاب الأول من اليهود والنصارى ، قد شملت أيضًا الأماكن المقدسة عند اليهود ، وأهمها الحصن المعروف بمحراب داواد ، الكائن - آن ذاك - عند باب مدينة القدس ، خارج حرم المسجد الأقصى ، وخارج السور المحيط بساحة وحرم المسجد الأقصى ، إذ يزعم اليهود أن بهذا الحصن كان منزل داواد وسليمان ، وبه محراب يُعْرَفّ بمحراب داواد ؛ فأبقى صلاح الدين على محراب داواد ؛ وبقى مصونًا لا يمس حتى خَرّبه الملك الناصر داواد صاحب الكرك سنة ٦٣٧هـ ، لما نقض الفرنج شروط الهدنة بينهم وبين المسلمين ، وأعادوا بناء أسوار مدينة القدس وتحصين أبراجها .

ولم يفت العماد الأصفهانى ، التنبيه على أمر جوهرى ، خاص بشروط تسليم القدس فى الفتح الصلاحى سنة ٥٨٣هـ ، وهو أن السلطان صلاح الدين قد أقر العرب من نصارى الشام المقيمين بمدينة القدس ، على السكنى والإقامة بداخلها ؛ على أن يؤدوا الجزية السنوية الملزم بأدائها أهل الكتاب فى دار الخلافة الإسلامية ، ويصيروا أهل ذمة للمسلمين ودولة الإسلام ، ويتمتعوا فيها بحقوق المواطنة المدنية والقضائية كأهل ذمة ؛ وتفسير ذلك بطبيعة الحال ، لما سبق للعرب من نصارى الشام من أهل إيلياء (القدس) وأهل لُدّ وفلسطين من عهد وعقد ذمة وصلح ، منحهم إياه الخليفة الراشد عمر بن الخطاب بنفسه ، حين تم فتح القدس فى أيام خلافته سنة ١٥هـ ، وهو ما عرف بالفتح العمرى ، واشتهر صلحه وعهده وعقد ذمته لأهل القدس باسم صلح إيلياء ؛ الذى عُدّ بعد ذلك النموذج المحتذى لدى خلفاء الإسلام ، فى عهود صلحهم وذمتهم لأهل الذمة فى ديار الإسلام ، أو فى البلاد التى يفتحها الله على الإسلام والمسلمين من دار الحرب .

مقارنة العماد الأصفهانى بين الفتح العمرى للشام والقدس سنة ١٥هـ ، وبين الفتح الصلاحى للشام والقدس سنة ٥٨٣هـ

ولأن العماد الأصفهانى ، كان كاتب ديوان الإنشاء الصلاحى فى بلاد الشام ، وأحد خواص الدولة الصلاحية ومستشاريها وأولى الرأى فيها ، ورفيق صلاح الدين الأيوبى فى غزواته وفتوحاته فى بلاد الشام ، وأحد مؤرخى الدولة الصلاحية ؛ فقد أفرد للفتح الصلاحى كتابًا مستقلاً ، أسهب فيه فى ذكر هذا الفتح العظيم ، وأرخ له بقلمه البليغ تاريخًا شيقًا حيًا ، فكأن يراعه ريشة رسام عبقرى ، رسمت وقائع ها الفتح ، ولونته بالألوان ، حتى نطق وأفصح عن ذاته .

وقد قرن العماد فى كتابه هذا الذى سماه (الفتح القيسى فى الفتح القدسى ، بين هجرة صلاح الدين الأيوبى والمسلمين إلى القدس ، وبين هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة ، لما تمخض عن هاتين الهجرتين من ظهور للإسلام ؛ وعد تاريخ الفتح القدسى ، لجلاله وعظمته وأثره الباقى فى تاريخ الإسلام والمسلمين ، حدثًا جليلاً من الأحداث الجسام التى تؤرخ بها الأمم ؛ وقارن بين فتوح المسلمين فى بلاد الشام فى عهد الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم ، على يد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم رضوان الله عليهم الذين شهدوا معه صلى الله عليه وسلم مغازيه ومشاهده وفتوحاته ، وبشرهم صلى الله عليه وسلم بفتوح البلدان ، وكانوا عند تمام فتوح الشام قريبى العهد بوحى السماء وهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وبين الفتح الصلاحى للقدس ، الذى تم فى المئة السادسة للهجرة ، حيث أصبح الإسلام غريبًا ، وبَعُدَ العهد وطال الأمد بين المسلمين ووحى السماء ، فقست قلوبهم ، وتفرقت أهواءهم ، وضعفت شوكتهم ، وهان أمرهم أمام عدوهم الذى دهمهم من وراء البحر ، وعجز ملوكهم عن دفعه ، حتّى نَهَضَ لجهادهِمّ السلطان . صلاح الدين . وقد أطرى العماد السلطان صلاح الدين الذى تم على يديه هذا الفتح العظيم ، وأكد أنه ـ رحمه الله ـ بتدينه وتقواه وورعه وعمله وجهاده واجتهاده ، كان مُؤَيدًا فى هذا الفتح من الله سبحانه وتعالى ، وأنه كان جديرًا بهذا التأييد ، لأن الله سبحانه وتعالى قد وعد فى القرآن الكريم بنصر جنده وأوليائه ، وأشاد العماد بوقوع هذا الفتح فى عهد الخليفة العباسى الناصر لدين الله ، الذى فتح صلاح الدين البلاد باسمه وباسم دولة الخلافة العباسية .

فيقول العماد فى ديباجة كتابه الفتح القيسى فى الفتح القدسى : « هذا كتاب أسهمت فيه بين الأدباء الذين يتطلعون إلى الغُرَرّ المتجلية ، وبين المستخبرين الذين يستشرفون إلى السيَرّ المتحلية (...). وإنما بدأنا بالتأريخ به لاستقبال سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة (٥٨٣هـ) ، لأن التواريخ معتادها ، إما أن تكون مستفتحة من بدء نشأة البَشَرّ الأولى ، وإما مستفتحة بمعقب من الدول الأخرى . فلا أمة من ذوات المِلَلّ وذوات الدول ، إلا ولهم تاريخ يرجعون إليه ، ويعولون عليه ، ينقله خلفها عن سلفها، وحاضرها عن غابرها ، تُقَيّد به شوارد الأيام ، وتُنصب به معالم الأعلام ؛ ولولا ذلك لانقطعت الوصل ، وجُهِلَتّ الدول ، ومات فى أيام الأخر ذكر الأول (...) . ولولا التاريخ لضاعت مساعى أهل السياسات الفاضلة ، ولم تكن المدائح بينهم وبين المذامّ هى الفاصلة ؛ ولقل الاعتبار بمسالمة العواقب وعقوبتها ، وجهل ما وراء صعوبة الأيام من سهولتها ، وما وراء سهولتها من صعوبتها (...). وكانت العرب قبل ظهور الإسلام تؤرخ بتواريخ كثيرة ... ؛ وأظهر الله على الأديان الدين القيّم ، ونسخ تاريخ الهجرة كل تاريخ متقدم (...) ؛ ووقت هذه الهجرة الوقت الذى أمر به أمرُ الإسلام ، ويومها اليوم الذى ما ولدت الليالى مثله من بنيها الأيام ، وعامها الخاص بالفضل وكل ما بعده يعد من عوام الأعوام . وأنا أرخت بهجرة ثانية ، تشهد للهجرة الأولى بأن أمدها بالقيامة معذوق ، وبأن موعدها الموعد الصحيح غير المدفوع والصريح غير المذوق ؛ وهذه الهجرة هى هجرة الإسلام إلى البيت المقدس ، وقائمها السلطان (صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب) ؛ وعلى عامها يحسن أن يُبنى التاريخ وينسق ، وتُسَقّر عن أهِلّتها دآدىء المداد وتَنْشَقّ ؛ وهى وإن كانت هجرة الإسلام إلى القدس ثانية ، فقد كان انثنى عن وطنه لما ثنته يد الكُفر ثانية . وهذه الهجرة أبقى الهجرتين ، وهذه الكرة بقوة الله أبقى الكرتين (...) ، والفرق بين فتوح الشام فى هذا العصر ، وبين فتوحه فى أول الأمر ، فرق يتبين تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر .

فإن الشام فتح أول والعهد بالرسول صلى الله عليه وسلم غير بعيد ، والوحى ما كاد يتعطل فى طريقه من السماء إلى الأرض بريد ؛ والعيون التى شاهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وسلم تَسِلّ سيوفها من أجفانها ؛ والقلوب التى شهدت مواقف معجزاته أوثق بخبره فى الفتح منها بعيانها ؛ ورسل عالم الغيب إلى عالم الشهادة بالآيات المؤتلفة مختلفة ، ونجدات السماء إلى أهل الأرض متصلة بالملائكة منزلة ومسومة ومُردفة ؛ وقد أخبرهم سيدنا وسيدهم أن الأرض زويت له مشار قها ومغاربها ، وأنه سيبلغ مُلك أمته المثوبة المرحومة ماضَمّت عليه جوانبها (...) . والشام الأن قد فتح حيث الإسلام قد وهن العظم منه واشتعل الرأس شيبًا ، وهريق شبابه واستشن أديمه ، وقد عاد غريبًا كما بدأ غريبًا ، وقد طلع شرف الستمائة (...) ؛ وطال المد على القلوب فقست ، ورانت الفِتَنُ على البَصَائر فطمستّ ، وعَرَضُ هذا الأدْنى قد أعْمَى وأصَمّ حبه ، ومتاع هذه الحياة القليل قد شغل عن الجزيل فى الآخرة كسبه . والكفار قد خَشِنَتّ عرائكهم ، واتسعت ممالكهم ،

واستبهروا في الضلال ، واستبضعوا للقتال ؛ وخرجوا من ديارهم يخطبون غاشية الموت ، ونفروا من وراء البحر يطلبون أمامهم ناشية الصوت .

ومضت ملوك الإسلام ، ومضت أيامهم كالبارق وإن لم يخلع الإظلام ، وزادت أيامهم الأيام خيالاً فتنازع الناس طرائف الأحلام ، وحاربوا هذا العدو الكافر فما أثروا فيهم وكانوا محاربين كمسالمين ، وبذلوا جهودهم فلا نقول أنهم مظلومون بالعجز ومانسيّهم ظالمين (...) . فلما أراد الله الساعة التى خلاها لوقتها ، وأظهر الآية التى لا أختَ لها ، فنقول : فهى أكبر من أختها ؛ أفضت الليلة الماطلة إلى فجرها ، ووصلت الدنيا الحامل إلى تمام شهرها ، وجاءت بواحدها التى تُضاف إليه الأعداد ، ومالكها الذى له السماء خيمة والحُبّك أطناب والأرض بساط والجبال أوتاد .. (صلاح الدنيا والدين) ، ومهما دَعونا له فإن الله قد سبق إليه كونا ، ورأينا بين مُنانا وبين كرمه بونا ... ؛ فإن قلنا أحسن الله إليه ؛ فقد قال : ﴿ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾ (الآية ٣٠ من سورة الكهف). وإن قلنا : جزاه الله بالإحسان ، فقد قال : ﴿ هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ ﴾ (الآية ٦٠ من سورة الرحمن) . وإن قلنا : هداه الله سبيله ، فقد قال : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ (الآية ٦٩ من سورة العنكبوت) . وإن قلنا : لا ضيع الله عمله ، فقد قال : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ ﴾ (الآية ١٩٥ من سورة آل عمران) . وإن قلنا : لا جعل الله للدهر عليه سبيلاً ، فقد قال : ﴿ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ (الآية ٩١ من سورة التوبة) ، وإن قلنا : زاده الله هدى ، فقد قال : ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى ﴾ (الآية ١٧ من سورة محمد) . (...) وإنا لنرجو أن نكون قد كُتبنا بمدحه مع الصادقين الذين أمِرَ الذين آمنوا أن يكونوا معهم ، وأن نكون قد كُتبنا مع المحسنين لأنا أحسنا وصف إحسان الله إلى عباده .(...) .

« وبسر الله هذه الفتوح ، وأنزل بها الملائكة والروح ، فى أيام سيدنا ومولانا الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين أبى العباس أحمد ، ابن الإمام المستضى بالله أبى محمد الحسن ، ابن الإمام المستنجد بالله أبى المظفر يوسف ، (...) بن عبد الله بن العباس ، صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين والخلفاء الراشدين (...) ؛ والسلطان صلاح الدنيا والدين أبو المظفر يوسف ابن أيوب ناصر دعوته وداعى نصرته ، ووليه الطائع وسيفه القاطع ، والمحكم بأمره ، والمؤمر بحكمه (...) . ولما كان هذا الفتح فى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة (٥٨٣هـ) ، بدأت بها ، وأنشأت رياضى بسحبها ، وما شَهِدْتُ إلى إلا بما شاهدته وشهدته (...) »[1] .

(١) أنظر هذه الديباجة بتمامها لأهميتها ، عند العماد : الفتح القسى ، تحقيق محمد محمود (صبح) د. ت ، ص ٤١ — ٥٨ .

إزالة صلاح الدين لتعديات الفرنج على قبة الصخرة والمسجد والأقصى ، وعمارته لهما سنة ٥٨٣هـ

ولندع يراع العماد الأصفهانى ، كاتب ديوان الإنشاء الصلاحى ، يقدم لنا صورة حية ملونة ناطقة بليغة ، لتطهير صلاح الدين لمدينة القدس وقبة الصخرة والمسجد الأقصى من رجس الفرنج ومنكراتهم وتعدياتهم ، وإعادة الشعائر الإسلامية إليهم ، والاحتفاء بإقامة أول خطبة جامعة وأول صلاة جمعة فيها بعد استنقاذهم من الفرنج ؛ بحيث أمر بإظهار المحراب - وكان الداوية قد بنوا فى وجهه جدار -؛ ونصب المنبر، وفرش القبة والمسجد بالسجاجيد الفاخرة ، وأنارهما بالقناديل الباهرة ، وأقيمت الصلوات الإسلامية الحنيفة ؛ ونطق الآذان ، وعاد الإيمان ، ووُحّد الله سبحانه وتعالى ؛ وصدح المنبر ، وتولى المذكرون والوعاظ والحفاظ والعلماء والفقهاء والمحدثون والمفسرون إلقاء دروسهم . واختار السلطان القاضى محى الدين أبى المعالى محمد بن زكر الدين على القرشى قاضى دمشق خطيبًا ، ليخطب خطبة أول جمعة تقام فى المسجد الأقصى بعد استرداده من الفرنج ؛ فأهدى العماد الأصفهانى هذا الخطيب خلعة سوداء من خِلَع ديوان الخلافة العباسية ، ليرتديها حين يعتلى المنبر ؛ فألقى هذا الخطيب خطبتين ذكر فيهما فضل بيت المقدس والمسجد الأقصى وتاريخ تأسيسه ، وتطهير السلطان له ؛ ثم نزل وصلى فى المحراب وأمّ الناس ، وصلى السلطان فى قبة الصخرة ومن ورائه جموع المصليين الذين ملؤا ساحة المسجد الأقصى . واختار السلطان الواعظ الفقيه الحنبلى زين الدين أبو الحسن على بن نجا ، ليجلس للوعظ على السرير الذى أعدّ للوعظ فى مواجهة المنبر ؛ فألقى مواعظ مؤثرة . ورتب السلطان فى المسجد الأقصى خطّيبا دائمًا ، يتولى خطبة الجمعة به كل إسبوع .

فيقول العماد الأصفهانى فى كتابه الفتح القيسى فى الفتح القُدْسى ، فى الفصل الذى عنونه بـ (ذكر ما أظهره السلطان فى القدس من الحسنات ومحاه من السيئات) : « ولما تسلم السلطان القدس ، أمر بإظهار المحراب ، وحتّم به أمر الإيجاب ؛ وكان الداوية قد بنوا فى وجهه جدار وتركوه للغلة هريًا (هريًا : مخازن للغلال) ، وقيل كانوا اتخذوه مُستراحًا عدوانًا وبغيًا ؛ وكانوا قد بنوا من غربى القبْلة دارًا وسيعة ، وكنيسة رفيعة ؛ فأوعز برفع ذلك الحجاب ، وكشف النقاب عن عروس المحراب ؛ وهدم ما قُدّامه من الأبنية ، وتنظيف ما حوله من الأفنِيّة ؛ بحيث يجتمع الناس فى الجمعة ، فى العَرْصة (العرصة : ساحة الدار) المتسعة . ونصب المنبر ، وأظهر المحراب المطهر ، ونقض ما أحدثوه بين السوارى (السوارى : الاسطوانات التى تشبه الأعمدة) ؛ وفرشوا تلك البسيطة

بالبسط الرفيعة ، عِوّضَ الحصر والبوارى ؛ وعُلقت القناديل ، وتُلى التنزيل ، وحق الحق وبطلت الأباطيل ، وتولّى الفُرقان وعُزل الإنجيل ؛ وصُفّت السّجّادات ، وصَفّت العبادات ، وأقيمت الصلوات ، وأديمت الدعوات ، وتجلت البركات ، وانجلت الكربات ، (...) وتُليت الآيات ، وأعليت الرايات . ونَطق الآذان وخَرِسَ الناقوس ، وحضر المؤذنون وغاب القسوس (...) ؛ وعاد الإيمان الغريب منه إلى موطنه ، وطلب الفضل من معدنه ؛ وورد القُرّاء وقرئ الأوراد ، واجتمع الزهاد والعبّاد ، والأبدال والأوتاد ، وعُبِدَ الواحدُ ووَحّد العابد ، وتوافد الراكع والساجد (...) . وصدح المنبر ، وصدع المذكر ، وانبعث المَعشر ، وذُكر البعث والمحشر ؛ وأملى الحفاظ ، وأسلى الوُعّاظ ، وتذاكر العلماء ، وتناظر الفقهاء ، وتحدث وروى المحدثون ، وتحنّف الهُداه وهُدى المتحنفون (...) ، ولخص المفسرون ، وفسر الملخصون .

وانتدى الفضلاء ، وانتدب الخطباء ، وكثر المترشحون للخطابة ، المتوشحون بالإصابة ، المعروفون بالفصاحة ، الموصوفون بالحصافة ؛ فما فيهم إلا مَنّ خطب الرُتبة ، ورتب الخطبة ، وأنشأ معنى شائقًا ، ووشى لفظًا رائقًا ، وسوى كلامًا بالوضع لائقًا ، (...) ؛ وما منهم إلا من يتأهب ويترقب ، ويتوسل ويتقرب ، (...) ، والسلطان لا يعين ولا يبين ، ولا يخص ولا ينص ؛ ومنهم من يقول : ليتنى خطبت فى الجمعة الأولى ، وفزت باليد الطولى ، وإذا ظفرت بطالع سعدى ، فما أبالى بمن يخطب بعدى .

فلما دخل يوم الجمعة رابع (٤) شعبان ، أصبح الناس يسألون فى تعيين الخطيب السلطان ؛ وامتلأ الجامع ، واحتفلت المجامع ، وتوجست الأبصار والمسامع ، وفاضت لرقة القلوب المدامع (...) ؛ وطوبى لمن عاش ، حتى حضر هذا اليوم الذى فيه انتعش الإسلام وإرتاش ؛ وما أفضل هذه الطائفة الحاضرة ، والعصبة الطاهرة ، والأمة الظاهرة ؛ وما أكرم هذه النصرة الناصرية ، والأسرة الإمامية ، والدعوة العباسية ، والدولة الصلاحية ؛ وهل فى بلاد الإسلام أشرف من هذه الجماعة ، التى شرفها الله بالتوفيق لهذه الطاعة .

وتكلموا فيمن يخطب ، ولمن يكون المنصب (...) ؛ فنصب السلطان الخطيب بنصه ، وأبان عن اختياره بعد فحصه ؛ وأوعزّ إلى القاضى (محى الدين أبى المعالى بن زكى الدين على القرشى) بأن يرقى ذلك المرقى ، وترك جباه الباقين بتقديمه عَرِقى ؛ فأعرته من عندى أهبّه سوداء من تشريف الخلافة ، حتى تكمل له شرف الإفاضة والإضافة ؛ فرقى العود ، ولقى السعود ؛ واهتزت أعطاف المنبر ، وأعتزت أطراف المعشر . وخطب وأنصتوا ، ونطق وسكتوا ؛ وأفصح وأعرب ، وأبدع واغرب ، وأعجز وأعجب ، وأوجز وأسهب ؛ ووعظ فى خُطبتيه ، وخَطَبَ بموعظتيه ؛ وأبان عن فضل البيت

المقادس وتقديسه ، والمسجد الأقصى من أول تأسيسه ، وتطهيره بعد تنجيسه ، وإخراس ناقوسه وإخراج قسيسه ؛ ودعا للخليفة والسلطان . وختم بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ ﴾ [1] (الآية ٩٠ من سورة النحل) ؛ ونزل وصلى في المحراب ، وافتتح ببسم الله من أمّ الكتاب ؛ فائتم بتلك الأمة ، وتم نزول الرحمة ، وكمل وصول النعمة ؛ ولما قضيت الصلاة انتشر الناس ، واشتهر الإيناس .

وكان قد نصب للوعظ تجاه القبلة سرير ، ليفرعه كبير ؛ فجلس عليه (زين الدين أبو الحسن على بن نجا) ؛ فذكر من خاف ومن رجا ، ومن سعد ومن شقي ومن هلك ومن نجا ، وخوف بالحجة ذو الحجا ، وجلا بنور عظاته من ظلمات الشبهات ما دجا (...) .

وصلى السلطان في قبة الصخرة ، والصفوف على سعة الصحن بها متصلة ، والأئمة إلى الله بدوام نصره مبتهلة ، والوجوه الموجهة إلى القبلة عليه مقبلة ، والأيدى إلى الله مرفوعة ، والدعوات له مسموعة . ثم رتب في المسجد الأقصى خطيبًا استمرت خطبته ، واستقرت نصبته »[2] .

واتبع العماد الأصفهاني هذا الفصل ، بفصل آخر عنونه بـ (وصف الصخرة المعظمة عمرها الله) ؛ ذكر فيه أن الفرنج إبّان احتلالهم للقدس ، قد تعمدوا إخفاء الصخرة المقدسة ، لارتباطها بمعجزة الإسراء والمعراج النبوية المحمدية ، حتى لا تصل إليها عيون وأيادى المسلمين المتبركين بها ؛ فبنوا فوق الصخرة كنيسة ومذبحًا ، حتى تحجب الصخرة والأبنية الإسلامية المبنية فوقها عن الرؤية ؛ وأفردوا لموضع القدم الشريف المحفور في الصخرة ، قبة صغيرة مُذَهَّبة ، قائمة على أعمدة من الرخام ؛ وادّعوا أن هذه القدم الشريفة ، هى قدم السيد المسيح عليه السلام ، وليست قدم رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ، كما يعتقد المسلمون ! ؛ وزينوا هذه الكنيسة ومذبحها بالصور والتماثيل الدينية النصرانية (الأيقونات) ، ونقشوا على جدرانها صور الأنعام والحيوانات ، عاين منها العماد الأصفهاني بنفسه صورًا للخنازير ؟! ، بحيث حجبت تلك الكنيسة ومذبحها ، الصخرة المقدسة ، والأبنية الإسلامية القديمة المبنية فوقها . فأمر السلطان صلاح الدين بهدم هذه الكنيسة ومذبحها وجدرانها ، وإظهار الصخرة المقدسة للناظرين كما كانت في الزمن القديم ؛ وتعليق القناديل فوقها

---

(١) أورد مجير الدين الحنبلى نص هذه الخطبة ، أنظر الأنس الجليل ١: ٣٣٢ - ٣٣٩ (ذكر أول خطبة بعد الفتح . وهى فى غاية الأهمية ، فلتراجع وتدرس لما فيها من عظة وعِبرة وتصوير حَيّ للفتح الصلاحى للقدس.

(٢) العماد الأصفهانى : الفتح القيسى ص ١٣٧ - ١٤٠ (ذكر ما أظهره السلطان فى القدس من الحسنات ومحاه من السيئات) . وعن تطهير السلطان صلاح الدين للصخرة ، يقول سبط ابن الجوزى : " ودخل السلطان الصخرة وغسلها بالماورد ، وقيل غسلها بلحيته وهو يبكى ؛ ومحى الصور منها ، وكسر الصلبان ، وأحرق در الداوية ، وعمر المسجد الأقصى " أنظر مرآة الزمان ٨: ٣٩٧ س ١٨ - ٢٠ .

لإنارة مكانها ، وإحاطتها بحجرة مكونة من شبابيك حديد لصيانتها . ثم رتب السلطان فى قبة الصخرة إمامًا من أحسن القراء تلاوة ، يُتقِنّ القراءة بالقراءات السبع والعشر - أى القراءات السبع المتواترة ، والقراءات الأربع الشاذة ؛ وحمل السلطان إلى القبة وإلى محراب المسجد الأقصى المصاحف والختمات والربعات القرآنية الضخمة والجميلة ، وكراسى المصاحف اللازمة لفتحها وقراءتها ، لتظل بين أيدى القراء والمرتادين للمسجد الأقصى يقرؤنها ويتعبدون بقراءتها ؛ ورتب السلطان للقبة خاصة وللبيت المقدس عامة ، قوّمه ونظار من ذوى التدين والعبادة والفضل ؛ وبذلك صان السلطان الصخرة المقدسة من عبث الفرنج ، الذين كانوا إبان احتلالهم للقدس يقطعون منها قطعًا ، فيحملوها إلى القسطنطينية وصقلية ويتاجروا فيها بفرض التكسب ، ليبيعوا للعوام ؛ وأمرّ السلطان بترميم محراب المسجد الأقصى لتجميله وصيانته ؛ وتبارى ملوك بنى أيوب ، من إخوة السلطان صلاح الدين وأبناء عمومته وأولاده فى عمارة وصيانة مدينة القدس والمسجد الأقصى وقبة الصخرة ، فكنسوا المسجد الأقصى وساحاته بأيديهم ، ومسحوه بماء الورد ، وعطروه بالعطور وبخروه بالبخور ، مُقتدين فى ذلك بفعل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صدر الإسلام حين تم الفتح العمرى للقدس، وفرشوا القبة والمسجد بالسجاجيد الفاخرة ، وشحنوهما بالذخائر والتحف والأسلحة ، بقصد تزينهما وحمايتهما فى آن واحد ، وعمروا سور المدينة ، وحفروا الخندق حوله ، لتحصينها .

فيقول العماد الأصفهانى فى الفصل الذى عنونه بـ (وصف الصخرة المعظمة عمرها الله) : وأما الصخرة فقد كان الفرنج قد بنوا عليها كنيسة ومذبحًا ، ولم يتركوا فيها للأيدى المتبركة ولا للعيون المدركة ملمسًا ولا مطمحًا ؛ وقد زينوها بالصور والتماثيل ، وعينوا بها مواضع الرهبان ومحط الإنجيل ، وكملوا بها أسباب التعظيم والتبجيل ؛ وأفردوا فيها لموضع القدم قبة صغيرة مذهبة ، بأعمدة الرخام منصبة ؛ وقالوا : « محل قدم المسيح ، وهو مقام التقديس والتسبيح » ؛ وكانت فيها صور الأنعام مثبتة فى الرخام ، ورأيت فى تلك التصاوير ، أشباه الخنازير ، والصخرة المقصودة المزورة ، بما عليها من الأبنية مستورة ، وبتلك الكنيسة المعمورة مغمورة .

فأمر السلطان بكشف نقابها ، ورفع حجابها ، وحسر لثامها ، وقشر رخامها ، وكسر رجامها ، ونقض بنائها ، وفض غطائها ؛ وإبرازها للزائرين ، وإظهارها للناظرين ؛ ونزع لبوسها ، وزفاف عروسها ، (...) ؛ فعادت كما كانت فى الزمن القديم ، وشهدتّ حين شوهدت بحسُبها الكريم (...) ؛ وما كان يظهر منها قبل الفتح إلى قطعة من تحتها ، قد أساء الكفار فى نحتها ؛ وظهرت الآن أحسن ظهور ، وسفرت أيمن سفور ، وأشرقت القناديل من فوقها نورًا على نور ؛ وعُملتّ عليها حظيرة من شبابيك حديد ، والاعتناء بها إلى الآن كل يوم فى مزيد .

ورتب السلطان فى قبة الصخرة إمامًا من أحسن القراء تلاوة ، وأزينهم طلاوة ، وأنداهم صوتًا، وأسماهم فى الديانة صيتًا ؛ وأعرفهم بالقراءات السبع بل العشر . (...) . وحمل إليها وإلى محراب المسجد الأقصى مصاحب وختمات ، وربعات معظمات ؛ لا تزال بين أيدى الزائرين على كراسيها مرفوعة ، وعلى أسرتها موضوعة . ورتب لهذه القبة خاصة ، وللبيت المقدس عامة ، قومة لشمل مصالحها ضامة ؛ فما ترتب إلا العارفون العاكفون ، القائمون بالعبادة الواقفون (...) .

وكان الفرنج قد قطعوا من الصخرة قطعًا وحملوا منها إلى القسطنطينية ، ونقلوا منها إلى صقلية ؛ وقيل باعوها بوزنها ذهبًا ، واتخذوا ذلك مكسبًا . ولما ظهرت ؛ ظهرت مواضعها ، وقطّعت القلوب لما بانت مقاطعها ؛ فهى الآن مبرزة للعيون بحزها ، باقية على الأيام بعزها ، مصونة للإسلام فى خِدرها وحِرزها . وهذا كله تمّ بعد انفصال السلطان ، والشروع فى العمران .

« وأمر بترخيم محراب الأقصى ، وأن يبالغ فيه ويُستقصى ؛ وتنافس ملوك بنى أيوب فيما يؤثر بها من الآثار الحسنة ، وفيما يجمع لهم ودّ القلوب وشكر الألسنة (...) إلخ »[1] .

إنشاء صلاح الدين للمدارس وللخانقاه الصلاحية بالقدس ؛ وعنايته بالمزارات المقدسة القديمة بها ، وعلى رأسها كنيسة القيامة ، ومحراب داواد

وأتبعّ العماد الأصفهانى الفصل الذى عنونه بـ (وصف الصخرة المعظمة عمّرها الله) ، بفصل آخر عنونه بـ (ذكر محراب داود عليه السلام ، وغيره من المشاهد الكرام ؛ وتبطيل الكنائس ، وإنشاء المدارس) ؛ ذكر فيه ما قام به السلطان صلاح الدين فى مدينة القدس من تدابير ، قصَدَ منها إحياء علوم الدين فى هذه المدينة المقدسة ؛ وذلك بعمارة المساجد والمدارس والرباطات والخوانق بها ، بدلاً من الكنائس التى استحدثها الفرنج بالمدينة إبان احتلالهم لها ؛ وعنايته بالمشاهد والمزارات الأثرية القديمة الخاصة بالأنبياء الأقدمين بمدينة القدس ، وخاصة المقدسة منها عند اليهود والنصارى ؛ وعلى رأسها محراب داود المقدس عند اليهود ، وكنيسة قيامه (القيامة) المقدسة عند النصارى ، وكلاهما يقع خارج حرم المسجد الأقصى وساحته وسوره الخارجى . فجدد السلطان محراب داود ، وجعل والى القدس يقيم فى هذا الحصن (أو القلعة) الموجود بداخله محراب داود ، والكائن - آنذاك - عند باب مدينة القدس ؛ ورتب لهذا المحراب إمامًا ومؤذنين وقوّمه ، لإقامة الشعائر الإسلامية فيه وخدمته

(١) العماد : الفتح القيسى ص ١٤١ - ١٤٤ ؛ وقارن مجير الدين الحنبلى : الأنس الجليل ١ : ٣٣٩ - ٣٤٠ (حيث يلخص بأسلوبه هو المختصر هذا الفصل العمادى الرائع) .

وصيانته ؛ وذلك ـ أغلب الظن ـ لأن صلح إيلياء العمرى سنة ١٥ هـ ، حرَّم على اليهود سكنى مدينة القدس ، نزولاً على رغبة أهل إيلياء من النصارى .

وأمر السلطان بعمارة جميع المساجد بالمدينة ، واستشار جلساءه من العلماء وذوى الرأى ، فى استحداث مدرسة للشافعية ورباط وخانقاه للصوفية بمدينة القدس ، ومدارس أخرى بها لبقية المذاهب الفقهية الإسلامية : الحنفية والمالكية والحنبلية ، لإعادة نشر العلم الشرعى بالمدينة ؛ فأشاروا عليه بذلك ، فعين لبناء هذه المدارس موضع عِدّة كنائس استحدثها الفرنج بالقدس إبان احتلالهم لها ؛ ولا تزال الخانقاه الصلاحية قائمة باقية بمدينة القدس إلى يومنا هذا ، وتعد من مزاراتها الإسلامية الأثرية . ورفض السلطان إغلاق أبواب كنيسة القيامة ، وحرمان النصارى من زيارتها والحج إليها ؛ وهو ما أشار عليه به بعض المتشددين من أهل مشورته ؛ كما أنه لم يأخذ برأى من أشار بهدمها ؛ وذلك نظرًا لما رآه أكثر أهل مشورته من أنّ النصارى تقدس موضع الصليب والقبر الكائن تحت كنيسة القيامة ، ولا تقدس بناء الكنيسة ذاته ؛ ونظرًا لأنه لما فتح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه القدس فى صدر الإسلام (سنة ١٥هـ) ، أقر النصارى على هذا المكان ، ولم يأمرهم بهدم البنيان . وبهذا المسلك المتسامح تجاه المقدسات الدينية والمزارات المقدسة لليهود والنصارى بمدينة القدس ، أصبح السلطان صلاح الدين الأيوبى مضرب الأمثال على مَرّ التاريخ للتسامح الدينى ؛ وهو ما لم تحظ به المقدسات والمزارات الإسلامية بمدينة القدس ، إبّان احتلال الفرنج لها ؛ إذ حولت كلها إلى كنائس ، ـ شأنها فى ذلك شأن جميع المساجد والجوامع فى جميع المدن التى احتلها الفرنج من مدن ساحل الشام ـ ؛ وهو ما لا تحظى به اليوم المقدسات والمزارات الإسلامية بمدينة القدس ، على يد الاحتلال الإسرائيلى الصهيونى ، الذى لا يكف عن تخريبها وإحراقها وإتلافها والعبث بها ، ومحاولة تغيير هؤيتها وتهويدها .

فيقول العماد الأصفهانى : « واما محراب داود عليه السلام خارج المسجد الأقصى ، فإنه حصن عند باب المدينة منيع ، وموضع عال رفيع ؛ وهو الحصن الذى يقيم به الوالى ، فاعتنى السلطان بأحواله الحوالى ؛ ورتب له إمامًا ، ومؤذنين وقوامًا ؛ وهو مثابة للصالحين ، ومزار الغادين والرائحين ؛ فأحياه وجدده ، ونهج لقاصديه جدده (الجدد : الطرق المختلفة) . وأمر بعماره جميع المساجد ، وصون المشاهد ، وإنجاح المقاصد ، وإصفاء الموارد ، للقاصد والوارد . وكان موضع هذه القلعة دار داواد وسليمان عليهما السلام ، وكان ينتابهما فيها الأنام .

وكان الملك العادل نازلاً فى كنيسة صهيون ، وأجناده على بابها مخيمون .

وفاوض السلطان جلساؤه من العلماء الأبرار ، والأتقياء الأخيار ؛ فى مدرسة للفقهاء الشافعية، ورباط للصلحاء الصوفية ؛ فعين للمدرسة الكنيسة المعروفة بصندحنة ـ عند بـاب أسباط ـ[1] ؛ وعين دار البطرك ـ وهى بقرب كنيسة قمامة (أى كنيسة القيامة) ـ للرباط ؛ ووقف عليهما وقوفًا ، وأسدى بذلك إلى الطائفتين معروفًا ؛ وارتاد أيضًا مدارس للطوائف ، ليضيفها إلى ما أولاه من العوارف .

وأمر بإغلاق أبواب كنيسة قمامة (القيامة) ، وحرم على النصارى زيارتها ولا الإلمامه ؛ وتفاوض الناس عنده فيها : فمنهم من أشار بهدم مبانيها ، وتعفيه آثارها ، وتعمية نهج مزارها ، وإزالة تماثيلها ، وإزاحة أباطيلها ، وإطفاء قناديلها ، وإعفاء أناجيلها (...) ؛ وقالوا : إذًا هُدمت مبانيها ، وأُلحقت بأسافلها أعاليها ، ونُبشّت المقبرة وعُفيّت ، وأخمدت نيرانها وأطفيت ، ومُحيت رسومها ونفيت ، وحُرثت أرضها ، ودُمّر طولها وعرضها ، وانقطعت عنها امداد الزوار ، وانحسمت عن قصدها موارد أطماع أهل النار ؛ ومهما استمرت العمارة ، استمرت الزيارة .

« وقال أكثر الناس : لا فائدة فى هدمها ولا هدها ، ولا يؤذن بصد الزيارة عن الكفبرة وسدها ؛ فإن متعبدهم موضع الصليب والقبر لا ما يشاهد من البناء ، ولا ينقطع عنها قصد أجناس النصرانية ولو نُسفتّ أرضها فى السماء ؛ ولما فتح أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه ـ القدس فى صدر الإسلام أقرهم على هذا المكان ، ولم يأمرهم بهدم البنيان »[2] .

كتاب العماد الأصفهانى للديوان العزيز ديوان الخلافة العباسية ببغداد ، للبشارة بفتح القدس على يد صلاح الدين سنة ٥٨٣هـ

وتخبّر سبط ابن الجوزى ـ وهو مؤرخ دمشقى عاصر الجيل الثانى والثالث من ملوك بنى أيوب ، وكان على صلة وثيقة بهم ، وصديق شخصى لجميعهم[3] ، وهم : المعظم عيسى صاحب

(١) كنيسة صندحنة : هذه الكنيسة يقال أن فيها قبر حنة أم مريم عليها السلام ، وقد صارت مدرسة أقامها صلاح الدين (تاريخ أبو الفدا ج ٣: ٨٣ط . المطبعة الحسينية ١٣٢٥هـ ، ويبدو أن كلمة صند ، هى تحريف للكلمة الفرنسية Saint ، بمعنى قديسة (عن حاشيه ، ٣) لمحمد صبح ، على الفتح القسى ، ص ١٤٥ .

(٢) العماد الأصفهانى : الفتح القيسى ص ١٤٥ – ١٤٦ ؛ وقارن مجير الدين الحنبلى : الأنس الجليل ١ : ٣٤٠ – ٣٤١ (محراب داود عليه السلام وغيره من المشاهد) .

(٣) روى سبط ابن الجوزى فى تاريخه مرآة الزمان أخبارًا شفوية عن هؤلاء الملوك والسلاطين من بنى أيوب وهم : المعظم، الكامل ، الأشرف ، الناصر داود ، الصالح نجم الدين أيوب ، الملك الجواد ، أنظر سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ٨: ٦٤٩ ، ٦٥٠ ، ٦٥٢ – ٦٥٣ ، ٦٦٢ ، ٧٠١ ، ٧٠٥ ، ٧١١ ، ٧١٣ ، ٧١٥ ، ٧١٦ ، ٧١٨ ، ٧٢٠ ، ٧٢٧ ، ٧٢٨ – ٧٢٩ .

دمشق ، وأخوه الملك الكامل محمد سلطان مصر ، وأخوه الملك الأشرف موسى صاحب الجزيرة الفراتية ، وابنه الناصر داود صاحب الكرك ، والصالح نجم الدين أيوب سلطان الديار المصرية ، والملك الجواد - تخيير لنا سبط ابن الجوزى كتابًا عماديًا فى البشارة بفتح القدس سنة ٥٨٣هـ ، كتب به عن صلاح الدين الأيوبى ، إلى الديوان العزيز ببغداد ، لتهنئة الخليفة العباسى الناصر لدين الله الذى تم فى عهده هذا الفتح ، بما فتحه الله على الإسلام والمسلمين ؛ فيقول سبط ابن الجوزى : وكان القاضى الفاضل بدمشق مريضًا، لم يحضر هذا الفتح، فأمر السلطان العماد الكاتب، أن يكتب كتابًا إلى بغداد بالفتح، فكتب فى أوله : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ (الآية ٥٥ من سورة النور) .

الحمد لله الذى أنجز لعباده الصالحين وعد الاستخلاف ، وقهر بأهل التوحيد أهل الشرك والخلاف ؛ وخص سلطان الديوان العزيز بهذه الخلافة ، وبذل الأمن به بعد المخافة ؛ وادّخرهذا الفتح الأسنى ، والنصر الأهنى ، لخادم المقام النبوى ؛ ومنحه أخلص أوليائه ، وأخص أصفيائه ؛ بعد أن انقرض من الملوك الماضية، والقرون الخالية؛ على حَسْرَةِ تمنيه ، وفوات ترجّيه ، وتقاصرتْ عنه الهِمَمُ، وتخاذلت عنه ملوك الأمم .

فلله الحمد الذى حقق بفتحه ما كان فى النفس ، وبَدّلَ وَحْشة الكُفرِ فيه من الإسلام بالأُنس ، وجعل عِزّ يومه ماحيًا ذُلّ أمس ، وأسكنه العالِم والفقيه بعد البطرك والقس ، وعبّاد الصلب والشمس ؛ وأخرج (؟) أهله يوم الجمعة من أهل يوم الأحد ، وقمع من كان يقول بالتثليث أهل قُلْ هو الله أحَدٌ .

وقد فتح الخادم بأمر الله من الداروم إلى طرابلس ، وجميع ما حوت مملكة الفرنج إلى نابلس ؛ وغُسِلَتْ الصخرة بدموع الباكين من المؤمنين ، ونُزِعَ اليأسُ عنها بإفاضة ثواب المحسنين ، ورجع الإسلام غريبة منه إلى داره ، وطلع قمر الهُدى من سراره ؛ وعادت الأرض المقدسة إلى ما كانت عليه من التقديس ، وأَمِنَتْ المخاوف بها وفيها فصارت[1] صباحَ السُّرَى ومَنَاخ التعريس ، وأقصِيَ من المسجد الأقصى الأقصَونَ من الله الأبعَدُون ، وتَوَافَد إليه المصطفون المقرّبون ؛ وخَرِسَ الناقوس

(١) فى مرآة الزمان فسارت ، وبهامش المحقق لعلها فحمدت ، وما اسبتناه من نص الكتاب كما أورده العماد نفسه فى الفتح القسى ص ١٤٧ .

برحيل المسيحيين ، وخرج المفسدون بدخول المصلحين ، وقال المحراب[1] لأهله مرحبًا وأهلاً، وشمل جماعة المسلمين من إقامة الجمعة والجماعة ما جمع للإسلام فيه شمله، ورُفِعَتْ الأعلام العباسية[2] على منبره، فأخذت من بره أو في نصيب ، وتلت بألسنة عذبها نصر من الله وفتح قريب؛ وغُسلت الصخرة بدموع المتقين من دنس الكافرين ، وأُبعد أهل الإلحاد من قربها بقرب الموحدين ؛ وذكر بها ما نسى من عهد المعراج النبوى ، والإعجاز المحمدى ؛ وعاد الإسلام بإسلام البيت المقدس إلى تقديسه ، ورجع بيت الله من التقوى إلى تأسيسه) » [3] . وذكر العماد فصولاً في هذا المعنى[4] .

---

(١) التكملة من الفتح القسى ص ١٤٧

(٢) فى مرآة الزمان الإسلامية وما أثبتناه من الفتح القسى ص ١٤٧ .

(٣) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ٨: ٣٩٨ - ٤٠٠ .

(٤) انظر بقية هذا الكتاب بتمامه ، عند العماد : الفتح القسى ص ١٤٧ - ١٤٩ ، وقد تفرد سبط ابن الجوزى بإيراد نص ديباجته ، وهى عظيمة الأهمية ؛ ومما جاء فى خاتمة هذا الكتاب العمادى : فَذُكِرَ بها ما كاد يُنسى من عهد المعراج النبوى ، وقامت بدلالتها براهين الإعجاز المحمدى ؛ وصَافَحَتَ الأيدى منها موضع القدم (يقصد القدم النبوى على الصخرة المقدسة) ، وتجدد لها من البهجة والرسالة ما كان لها فى القِدَمَ ، فهو ثانى المسجدين ، بل ثالث الحرمين ؛ فَلْيُهَنّ البيت الحرام خلاص أخيه البيت المقدس من الأسْر ، وإسفار صبح الإسلام بعد طول اعتكار ليل الكفر ؛ وتطهير مواقف الأنبياء صلوات الله عليهم من أَدْنَاس الأرْجَاس، وتَضَوُّع أَرَج الرجاء فى أرجائه بعد الياس .

فالحمد لله الذى أبدل الإيحاش بالإيناس ، ونزع عنه بإفاضة خلع الرحمة عليه لباس البأس ؛ وجعل عصر مولانا أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - على الأعصر مُفَضّلاً ، وكَمُلَ بهذا الفتح الشريف شرف زمانه فأصبح فخر الدين والدنيا به مُكَمَّلاً (...) ؛ فالرتاج مُستفتح والرجاء مستنجح (...) ؛ وأرض الكفر ينقصها الإسلام كل يوم من أطرافها ، بل يستولى على أوساطها وأكنافها (...) ؛ ولو شرح ما لهذا الفتح من جلالة العظمة ، ودلالة المكْرُمة ، لَكَبَا قَلَمُ البليغ فى مِضمار البيان ، ولم يبلغ مدى ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ (...) .

وأنظر نص الرسالة الفاضلية التى أرسلها السلطان صلاح الدين الأيوبى للخليفة العباسى الناصر لدين الله للبشارة بفتح القدس ، على يد القاضى ضياء الدين الشهرزورى رسول دولة الخلافة العباسية إلى السلطان صلاح الدين ، وكانت بخط القاضى الفاضل ومن إنشائه ، عند مجير الدين الحنبلى القدسى : الأنس الجليل فى تاريخ القدس والخليل ١: ٣٤١ - ٣٤٨ ، وأنظر نص أول خطبة جامعة ألقيت ببيت المقدس بعد استرداد صلاح الدين لها سنة ٥٨٣هـ ألقاها قاضى دمشق زكى الدين القرشى ، عند مجير الدين الحنبلى : الأنس الجليل ١: ٣٣٢ - ٣٣٩ . وأنظر نسخة كتاب كتب به القاضى الفاضل عن السلطان صلاح الدين إلى الخليفة الناصر لدين الله الخليفة يومئذ ببغداد ، بفتح القدس وما معه ، واقتلاع ذلك من أيدى الفرنج ، وإعادته إلى ما كان عليه من الإسلام ، عند القلقشندى : صبح الأعشى ٦: ٤٩٦ - ٥٠٤ ، وانظر كتابًا =

إحضار صلاح الدين لمنبر نور الدين الذى أعده برسم المسجد الأقصى ، ووضعه بالمسجد الأقصى بعد استرداده من الفرنج سنة ٥٨٣هـ

قال مجير الدين الحنبلى : «وكان الملك العادل نور الدين الشهيد قد عزم على فتح بيت المقدس، وعمل منبرًا بحلب ، وتعب عليه مُدّه ، وقال : هذا لأجل القدس ؛ فأدركته المنية ، وكان الفتح على يد من أراد الله (أى السلطان صلاح الدين الأيوبى) ؛ فأرسل السلطان صلاح الدين من أحضر المنبر من حلب ، وجعله فى المسجد الأقصى ؛ وهو الموجود فى عصرنا هذا »(1) . وقلت : وقد ظل هذا المنبر موجودًا بالمسجد الأقصى ، حتى تم إحراقه على يد متطرف يهودى إسرائيلى إدّعى الجنون ، وذلك سنة ١٩٦٩م ، بعد احتلال إسرائيل للقدس إثر هزيمة سنة ١٩٦٧ . وقد وصف مجير الدين

= آخر كتبه القاضى الفاضل عن الملك الناصر صلاح الدين إلى ديوان الخلافة ببغداد ، نفس المصدر ٦ : ٥٠٤ - ٥٠٦ ؛ وأنظر كتاب كتبه العماد الأصفهانى عن السلطان صلاح الدين ؛ إلى الخليفة الناصر لدين الله ببغداد بفتح القدس ، نفس المصدر ٦: ٥١٧ - ٥٢٠ ، وأنظر نسخة كتاب كتب به إلى ديوان الخلافة العزيز أيام الخليفة الناصر لدين الله عن السلطان صلاح الدين بفتح القدس الشريف ، من أنشاء القاضى الفاضل ، نفس المصدر ٨: ٢٨١ - ٢٨٩ . وانظر هذه الرسالة الفاضلية فى فتح القدس ، عند ابن خلكان : وفيات الأعيان ، طبع بيروت ، ٧ : ١٧٩ - ١٨٦ ، وقال ابن خلكان فى آخرها : هذا آخر الرسالة الفاضلية ، وكان فى عزمى اختصارها والاقتصار على محاسنها ، فلما شرعت فيها قلت فى نفسى : عسى أن يقف عليها من يؤثر الوقوف على جميعها ، فأكملتها (...) ، وهى قليلة الوجود فى أيدى الناس ، وكانت النسخة التى نقلتها منها سقيمة ، ولقد اجتهدت فى تحريرها ، حتى صحت على هذه الصورة حسب الإمكان (ابن خلكان : وفيات العيان ٧: ١٨٦ - ١٨٧) ، وأنظر نص كتاب فاضلى عن السلطان صلاح الدين الأيوبى ، إلى الخليفة الناصر لدين الله فى كتاب إنشاءات القاضى الفاضل ، لجامع مجهول ، تحقيق فتحية النبراوى ، الطبعة الأولى ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ١٩٨٠م ، ص ٧٥ - ٨٤ ؛ وأنظر أيضًا نص كتاب فاضلى آخر عن السلطان صلاح الدين إلى الخليفة العباسى ببغداد ، عند محى الدين بن عبد الظاهر : الدُّرّ النظيم من ترسل عبد الرحيم ، تحقيق أحمد أحمد بدوى ، مكتبة نهضة مصر بالفجالة ، ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م ، ص ١٥ - ٣٤ ؛ وراجع أحمد فؤاد سيد : مصادر تاريخ مصر الإسلامية فى العصر الأيوبى ٥٦٧هـ - ٦٤٨هـ ، دراسة مقارنة بمصادر تاريخ مصر الإسلامية فى العصر المماليكى ؛ مع ترجمة ونشر ١٤ وثيقة أيوبية من الأرشيفات الإيطالية ، تنشر لأول مرة ، دار النهضة العربية ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م ، ص ١٢ - ٢٣ ، ص ٣٢ - ٣٣ .

(١) مجير الدين الحنبلى : الأنس الجليل ١: ٣٣٩ .

الحنبلى هذا المنبر بقوله فى الفصل الذى عنونه بـ (وصف المسجد الأقصى على ما هو عليه الآن) : « والمنبر الموضوع بصدر الجامع من الخشب ، وهو مرصع بالعاج والأبنوس ، وهو الذى عمله السلطان الملك العادل نور الدين (زنكى) الشهيد رحمه الله بحلب ، وكان عمله فى شهور سنة ٥٦٤هـ ، وقال : هذا برسم القدس ؛ فلما فتح الله البلاد على يد الملك صلاح الدين ، أحضره من حلب ؛ وهو موجود إلى عصرنا ، وعليه مكتوب تاريخ عمله ؛ وهذا لحسن نية نور الدين الشهيد ، فإنه بَلّغه الله مراده بعد وفاته ، عفا الله عنه ؛ ومقابله دِكة المؤذنين (المبلغين) على عُمد من الرخام فى غاية الحُسن »[١] .

ترخيم السلطان صلاح الدين لمحراب المسجد الأقصى سنة ٥١هـ ، ونقش تجديد وعمارة صلاح الدين لهذا المحراب وللمسجد الأقصى فى هذه السنة

يقول مجير الدين القدسى الحنبلى ، مؤلف كتاب الأنس الجليل فى تاريخ القدس والخليل فى سنة ٩٠٠هـ ، وناظر الحرم القدسى فى أيام السلطان المماليكى الأشرف قايتباى : « ثم شرع السلطان فى العمارة ، وأمر بترخيم محراب الأقصى ؛ وكتب عليها بالفصوص المذهبة ، ما قِراءَته : بسم الله الرحمن الرحيم . أمر بتجديد هذا المحراب المقدس ، وعمارة المسجد الأقصى الذى هو على التقوى مؤسس ، عبد الله ووليه يوسف بن أيوب أبو المظفر الملك الناصر صلاح الدنيا والدين ؛ عندما فتحه الله على يديه فى شهور سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ؛ وهو يسأل الله إيزاعه شكر هذه النعمة ، وإجزال حظه من المغفرة والرحمة »[٢] .

جُمَل فتوح السلطان صلاح الدين الأيوبى من مُدن وحصون ديار الفرنج

أفرد القاضى بهاء الدين بن شداد قاضى عسكر السلطان صلاح الدين الأيوبى ومؤرخ سيرته ، فى سيرته المسماه النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، فصلاً بعنوان : (ذكر المُدُن والحصون التى يسّرَ الله فتحها على يديه ـ رحمة الله عليه ـ من ديار الفرنج ـ خذلهم الله تعالى ـ من سنة ٥٨٣هـ إلى سنة ٥٨٦هـ) ؛ ـ يعنى بعد معركة حطين فى ٢٤ ربيع الآخر سنة ٥٨٣هـ ، وبعد فتح بيت المقدس فى ٢٧ رجب سنة ٥٨٣هـ ـ ؛ رتب فيه بهاء الدين ابن شداد فتوحات السلطان صلاح الدين

---

(١) نفس المصدر ٢ : ١٣ . وقلت : وقد أُخبرت أخيرًا أن هذا المنبر ، يعاد تصميمه وبنائه الآن على رسمه القديم المصور فى كتب الآثار الإسلامية ، على يد صانع مصرى .

(٢) مجير الدين الحنبلى : الأنس الجليل ١ : ٣٤٠ .

الأيوبى ـ التى شملت أرض فلسطين والأردن وساحل لبنان وأطراف آسيا الصغرى وبلاد الروم ـ ؛ على النحو التالى[1] :

طبرية [2] ـ على بحر الأردن ـ بالسيف . عكا[3] ـ على البحر الكبير ـ بالأمان . حيفا[4] ـ على البحر ـ بالأمان . الناصرة[5] ـ التى تنسب إليها النصارى ـ . الرملة[6] . قيسارية[7] ـ بالسيف . أرسوف[8] ـ بالأمان . يافا[9] ـ بالسيف (مدينتها) . عسقلان[10] ـ بالأمان . غزة[11] ـ بالأمان . الداروم[12] .

صيدا[13] ـ على البحر ـ . بيروت[14] ـ بالإمان . جبيل[15] . هونين[16] ـ جبلية ـ

(١) أنظر ابن شداد : النوادر السلطانية ص ٢٣٨ . وقد أغنانا ابن شداد عن تحديد مواضع هذه المدن والحصون ، فأوردها على ترتيب مواقعها الجغرافية مبتدءًا بأرض فلسطين والأردن ثم بلاد الساحل (ساحل الشام ولبنان) ثم ساحل آسيا الصغرى . كما عرّف بالمجهول منها فى سياق كلامه . وجميع هذه الأماكن والبلدان والحصون ذكرها ياقوت الحموى فى كتابه معجم البلدان على ترتيب حروف المعجم ، وعُنى بتحديد سنة أخذ الفرنج لها ، وسنة استرداد واستنقاذ صلاح الدين لها من يد الفرنج ، والمدة التى بقيت فيها بأيد الفرنج إلى أن استنقذها منهم السلطان صلاح الدين . وقد عَدَّد هذه الفتوحات أيضًا العماد الأصفهانى : الفتح القيسى ص ١٩٩ – ٢٠٠ . وقد فصل ابن شداد والعماد الأصفهانى الحديث عن هذه الفتوحات الصلاحية ، على ترتيب السنين . واستأنسنا فى تحقيق هذه البلاد والحصون على حواشى جمال الدين الشيال فى النوادر السلطانية ومحمود محمد صبح فى الفتح القيسى ومحمود حلمى فى إتعاظ الحنفا وصلاح الدين المنجد على كتاب فتوح البلدان للبلاذرى .

(٢) طبرية : بلدة مطلة على البحيرة المعروفة بها ، وهى بفلسطين . (ياقوت) .

(٣) عكا : مدينة مشهورة على ساحل البحر الأبيض ، فى فلسطين . (ياقوت) .

(٤) حيفا : مدينة مشهورة بفلسطين .

(٥) الناصرة : قرية من قرى فلسطين – مشهورة .

(٦) الرملة : كورة ومدينة عظيمة بفلسطين . (ياقوت) .

(٧) قيسارية : بلدة على ساحل البحر المتوسط من أعمال فلسطين (ياقوت) .

(٨) أرسوف : من مدن الساحل ، بين قيسارية ويافا (ياقوت) .

(٩) يافا : مدينة على ساحل بحر الشام (المتوسط) من أعمال فلسطين (ياقوت) .

(١٠) عسقلان : بلدة من أعمال فلسطين على جانب البحر بينها وبين غزة نحو ثلاثة فراسخ (ياقوت) .

(١١) غزة : مدينة مشهورة ، كانت من فلسطين (ياقوت) وتعرف اليوم بقطاع غزة ، وهى تابعة اليوم للسلطة الفلسطينية .

(١٢) الداروم أو الدارون ، قلعة بعد غزة لقاصد مصر ، بينها وبين البحر فرسخ (ياقوت) .

(١٣) صيداء : مدينة فى لبنان ، جنوب بيروت ، على البحر المتوسط (ياقوت) .

(١٤) بيروت : (عاصمة جمهورية لبنان اليوم) – مشهورة (ياقوت) .

(١٥) جبيل : بلدة شرقى بيروت وعلى مسافة ثمانية فراسخ منها (ياقوت) .

(١٦) هونين : بدة فى جبال عاملة ، تطل على نواحى مصر القريبة منها (ياقوت) . قلت : وجبال عاملة بالغور كما أفاد المقدسى والأصطخرى وغيرهما .

تبنين[1] . أنطرسوس[2] (دون أخذ برجها) بالسيف . جبلة[3] (مدينتها بالسيف ، وقلعتها بالأمان) . اللاذقية[4] (مدينتها بالسيف ، وقلعها بالأمان) . السّرفند .

مدينة القدس[5] الشريف ، خلصه الله تعالى - (ذكر ابن شداد أنه فرغ من تأليف كتابه النوادر السلطانية فى ١٢ رجب سنة ٦٢٦هـ ، وكان السلطان الملك الكامل قد تورط فى تسليم القدس للفرنج كما سيأتى ذكره) - . نابلس[6] . ألبيرة[7] بأرض القدس . صفورية[8] . الطور[9] . حصن دبورية[10] . الفولة[11] . حصن عفربلا[12] .

حصن جينين [13] . سفسطية[14] . كوكب[15] . حصن عفرى[16] (شمالى القدس) . بيت لحم[17] . حصن العازرية (بأرض القدس) . البرج الأحمر (قريب منه) . حصن الخليل[18] (عليه السلام) . بيت جبريل[19] . تل الصافية [20] . حصن مجدل يابا[21] . قلعة الجيب الفوقانى . الجيب

---

(١) تبنين : أوتبنينا ، بلدة فى جبال بنى عامر المطلة على بانياس بين دمشق وصور (ياقوت) .

(٢) أنطرسوس : بلد من سواحل الشام ، وهى آخر أعمال دمشق من البلاد الساحلية ، وأول أعمال حمص ؛ كانت حصنًا عند فتح عبادة بن الصامت لها ، ثم بنى معاوية المدينة وحصنها . (ياقوت) .

(٣) جَبْلة : قلعة بساحل الشام قرب اللاذقية ، كانت أيام ياقوت من أعمال حلب (ياقوت) .

(٤) اللاذقية : مدينة مشهورة على ساحل البحر المتوسط (ياقوت) وهى فى الجمهورية السورية اليوم .

(٥) القدس : هى مدينة بيت المقدس ، وكانت تعرف قديمًا باسم أيلياء – مشهورة .

(٦) نابلس : مدينة مشهورة بأرض فلسطين بين جبلين (ياقوت) .

(٧) ألبيرة : بلدة بين القدس ونابلس (ياقوت) .

(٨) صفورية : بلد بفلسطين ، قرب طبرية (ياقوت) .

(٩) الطور : جبل مُطِلّ على طبرية الأردن بينهما أربعة فراسخ .

(١٠) دبورية : بلد قرب طبرية من أعمال الأردن (ياقوت : معجم البلدان) .

(١١) الفولة : بلدة بفلسطين (ياقوت : معجم البلدان) .

(١٢) عفربلا : بلدة قرب بيسان وطبرية بالأردن (ياقوت) . وأفاد العماد فى الفتح القسى ص ١٧٧ أنها حصن قريب من كوكب .

(١٣) جينين أوجانين : بليدة حسنة بين نابلس وبيسان من الأردن .

(١٤) سفسطية : ذكرها العماد الأصفهانى سمسطيه ، وذكرها ياقوت " سبسطية " – وهكذا ذكرها البلاذرى فى فتوح البلدان – وهى مدينة من نواحى فلسطين من أعمال بيت المقدس (ياقوت) .

(١٥) كوكب : اسم لقلعة حصينة على الجبل المطل على طبرية ، مشرفة على الأردن (ياقوت) .

(١٦) عفرا : أوعفربلا : وهى بلدة قرب بيسان وطبرية بالأردن (ياقوت) .

(١٧) بيت لحم : بليد عامر قرب القدس ، مكان مهد عيسى عليه السلام (ياقوت) .

(١٨) الخليل : اسم لموضع وبلدة فيها حصن وعمارة وسوق بقرب بيت المقدس (ياقوت) .

(١٩) بيت جبريل : أو بيت جبرين ، بُليد بين غزة وبيت المقدس ، وبينه وبين القدس مرحلتان ، كانت فيه قلعة حصينة ضربها صلاح الدين لما استنقذ بيت المقدس من الإفرنج (ياقوت) .

(٢٠) تل الصافية : حسن من أعمال فلسطين ، قرب بيت جبرين ، من نواحى الرملة (ياقوت) .

(٢١) مجدليابة : أو مجدل يابا ، قرية قرب الرملة بفلسطين ؛ بها حصن محكم .

التحتانى . النطرون[1] . الحصن الأحمر . لدّ[2] بأرض الرملة . قلنوسة (قريبًا منها) . يبنى[3] . القاقون والقيمون[4] . قلعة الكرك[5] (بعد حصار سنة ونصف) . قلعة الشَّوْبك[6] (بعد حصار سنتين) . قلعة السّلع[7] . الوعيرة . قلعة الجمع . قلعة الطفيلة . قلعة الهرمز[8] : (جميع ذلك فى وادى موسى والسراه) . قلعة صفد[9] . حصن يازور[10] .

شقيف أرنون[11] . حصن إسكندرونه[12] (بين صور وعكا) . قلعة أبى الحسن[13] (بأرض صيدا) . صيدا أيضًا حصن . بلدة[14] (بالساحل الأعلى) . المرقية[15] (على البحر) . حصن يحمور[16] (بأرض عكا) . بلنياس (بين جبلة والمرقب[17]) . صهيون[18] . بلاطنس .

---

(١) النطرون : اسم مُحَرَّف للماطرون وهو موضع قرب دمشق (ياقوت) .
(٢) لدّ : قرية من نواحي فلسطين قرب القدس (ياقوت) .
(٣) يُبنى أويْبنا : بليد قرب الرملة (ياقوت) .
(٤) القيمون : حصن قرب الرملة من أعمال فلسطين (ياقوت) .
(٥) الكرك : قلعة حصينة على الطريق البرى بين مصر والشام والحجاز ، . وهى اليوم مدينة بالمملكة الأردنية الهاشمية .
(٦) الشوبك : حصن منيع ، كان بالقرب من حصن الكرك ، ويعد كل منهما ، بوابة مدينة القدس. وهو اليوم بالمملكة الأردنية الهاشمية .
(٧) السلع : حصن بوادى موسى عليه السلام بقرب البيت المقدس . (ياقوت) .
(٨) هرمز : هي قلعة بوادى موسى عليه السلام بين القدس والكرك (ياقوت) .
(٩) صفد : مدينة فى جبال عاملة المطلة على حمص بالشام ، وهى من جبال لبنان (ياقوت) .
(١٠) يازور : أو بازور ، بليدة بسواحل الرملة من أعمال فلسطين بالشام (ياقوت) .
(١١) شقيف أرنون : قلعة حصينة جدًا ، فى كهف من الجبل ، قرب بانياس ، من أرض دمشق ، بينها وبين الساحل . (ياقوت) . قلت : وهى اليوم بجنوب لبنان ، وانسحبت منها إسرائيل مؤخرًا .
(١٢) اسكندرونه : مدينة فى شرق أنطاكية على ساحل البحر المتوسط بينها وبين أنطاكية ثمانية فراسخ (ياقوت). قُلت : وتعرف اليوم بلواء الإسكندرونة ، وكانت تابعة للجمهورية السورية ، ثم ضمتها تركيا إليها الآن .
(١٣) قلعة أبى الحسن : قلعة ساحلية قرب صيداء . (ياقوت) .
(١٤) بلدة : من مدن بحر الشام ، قريبة من جبلة . (ياقوت) .
(١٥) مرقية : قلعة بساحل الشام قرب حمص (ياقوت) .
(١٦) حصن يحمور : حسن فى بلدة يحمور الواقعة شمال بلد العريمة ، والعريمة بلد تتاخم الدهناء (ياقوت) .
(١٧) حصن المرقب : قلعة حصينة تشرف على ساحل بحر الشام (البحر المتوسط) ، وعلى مدينة بانياس ، وعلى ساحل جبله . (ياقوت) . وبلنياس : كورة ومدينة صغيرة وحصن بسواحل حمص على البحر . (ياقوت) .
(١٨) حصن صهيون : حصن حصين من أعمال سواحل بحر الشام (البحر المتوسط) ، من أعمال حمص ، ليس بمشرف على البحر . (ياقوت) .

حصن الجماهيرية . قلعة العيذو[1]. بكّاس[2] . الشُغر[3] . بكسرائيل[4] . السُرْمانية[5]. قلعة بُرْزِيّة[6]. دَرْبساك[7] . بُغراس[8] : (قريبا من أنطاكية) . الداثور (بأرض بيروت) . السوفند (قريبًا من صيدا) .

تورط السلطان الكامل محمد فى تسليم القدس للفرنج سنة ٦٢٦هـ ، نظرًا للصراع الأسرى الذى دار بينه ـ آنذاك ـ وبين أخويه : المعظم عيسى ملك دمشق ، والأشرف موسى ملك الجزيرة الفراتية ، حول السلطنة وزعامة البيت الأيوبى

وبقي القدس في يد المسلمين ٤٢ عامًا ، إلى أن وقع الخلاف والتفرق والتحزّب بين ملوك بني أيوب ـ على حد قول مجير الدين الحنبلي ـ وأضطر السلطان الملك الكامل محمد إلى تسليم القدس للإمبراطور فردريك ملك الألمان وصقلية ، وذلك في سنة ٦٢٥هـ ، إذ وقع التنافر سنة ٦٢٤هـ بين الملك الكامل صاحب مصر وأخيه الملك المعظم عيسى صاحب دمشق لأمور بينهما ، فكاتب الملك الكامل الإمبراطور ملك الإفرنج في ان يقدم إلى عكا ليشغل سرّ أخيه الملك المعظم عما هو فيه ، ووعد الإمبراطور بأن يعطيه القدس ـ وكان الإمبراطور قد أظهر ميلاً للإسلام وعداءً للبابوية ـ ؛ وسار الإمبراطور إلى عكا ، وبلغ المعظم ذلك ، ثم توفى الملك المعظم عيسى فى هذه السنة ، وترتب فى مملكته بعده ولده الناصر صلاح الدين داود ؛ فأرسل الملك الكامل صاحب مصر فى سنة ٦٢٥هـ يطلب من ابن أخيه الناصر داود حصن الشوبك ، فلم يعطه إياه ، ولا أجاب إليه ، فسار الملك الكامل من مصر إلى الشام ، ونزل على تل العجول بظاهر غزّه ، وولى إبن يوسف على نابلس والقدس وغيرهما من بلاد ابن أخيه ، ووقع بينهما أمور ومراسلات . وقدم الإمبراطور إلى عكا بجموعه ـ وقد مات الملك المعظم ، فاستول على صيدا ـ وكانت مناصفة بين المسلمين والإفرنج وسورها خراب ـ ،

(١) قلعة العيذو أو العيذ أو عيذون ، بنواحى حلب (ياقوت) .

(٢) و (٣) : حصنا بكاس والشُغر : قلعتان متقابلتان على نهر العاصى ، من نواحى حلب ، بينهما واد ضيق (ياقوت) .

(٤) حسن بكسرائيل : حصن من سواحل حمص ، مقابل جبله ، فى الجبل . (ياقوت) .

(٥) سرمانية أو سرمينية : بليدة مشهورة من أعمال حلب ، أهلها إسماعيلية . (ياقوت) .

(٦) قلعة برزية : حصن بالسواحل الشامية ، والعامة تقول برزوية – على سن جبل شاهق ، وعلو قلعتها ٥٧٠ ذراعًا ؛ كانت بيد الفرنج حتى فتحها صلاح الدين سنة ٥٨٤هـ . (ياقوت) .

(٧) دربساك : قلعة مرتفعة حصينة ، لها أعين وبساتين ، ولها من شرقها مروج كثيرة العشب ، وهو فى شمال بغراس بميلة إلى الشرق ، وبينهما عشرة أميال .

(٨) بغراس : مدينة فى لحف جبل اللكام (قلت : هو جبل لبنان حاليًا – أحمد) ، بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ ، على يمين القاصد إلى أنطاكية ، فى حلب ، فى المنطقة المطلة على نواحى طرسوس (ياقوت) .

فعمر الإفرنج سورها واستولوا عليها . فلما دخلت سنة ٦٢٦هـ ، واستهلت وملوك بنى أيوب متفرقون مختلفون ، قد صاروا أحزابًا ، بعد أن كانوا إخوانًا وأصحابًا ، فقوى الإفرنج بذلك ، وبموت المعظم عيسى ، ومن وفد إليهم من البحر . ولم يجد الكامل بُدًا من المهادنة ، فأجاب الإمبراطور إلى تسليم القدس إليه ، على أن تستمر اسواره خرابًا ولا يعمره الفرنج ، ولا يتعرضوا إلى قبة الصخرة ولا إلى الجامع الأقصى ، ويكون المرجوع فى الرستاق إلى والى المسلمين ، ويكون لهم من القرى ما هو على الطريق من عكا إلى القدس فقط ؛ ووقع الأمر على ذلك وتحالفا عليه ، وتسلم الإمبراطور القدس فى ربيع الآخر سنة ٦٢٦هـ ، على القاعدة المذكورة(١) .

ويقول المقريزى عن تسليم السلطان الملك الكامل القدس للفرنج : « خرج الملك الكامل من القاهرة فى العساكر يريد دمشق ، فأخذ نابلس والقدس ؛ فخرج الناصر داود من دمشق ومعه عمه الأشرف ، وسارا إلى الكامل يطلبان منه الصلح ... ؛ فاتفق قدوم الملك الإمبراطور إلى عكا باستدعاء الملك الكامل له ، فتحير الكامل فى أمره لعجزه عن محاربته ، وأخذ يلاطفه ؛ وشرع الفرنج فى عمارة صيدا - وكانت مناصفة بين المسلمين والفرنج ، وسورها خراب - . فلما بلغ الناصر موافقة الأشرف للكامل ، عاد من نابلس إلى دمشق واستعد للحرب ، وأقام الكامل بتل العجوز وقد تورط مع الفرنج ؛ فلم يجد بدًا من إعطاءهم القدس ، على أن لا يجدد سوره ، وأن تبقى الصخرة والأقصى مع المسلمين ، ويكون حُكم قرى القدس إلى المسلمين ، وأن القرى التى فيما بين عكا ويافا وبين لد والقدس للفرنج ؛ وانعقدت الهدنة على ذلك لمدة عشر (١٠) سنين وخمسة أشهر وأربعين يومًا ، أولها ثامن ربيع الأول سنة ٦٢٦هـ .

ونودى فى القدس بخروج المسلمين منه وتسليمه إلى الفرنج ، فكان أمرًا مهولاً من شدة البكاء والصراخ ؛ وخرجوا بأجمعهم ، فصاروا إلى مخيم الكامل ، وأذّنوا على بابه فى غير وقت الآذان ، فشق عليه ذلك ، وأخذ منهم الستور وقناديل الفضة والآلات وَنَجّرَهُمْ ، وقيل لهم أمضوا حيث شئتم ، فعظم على المسلمين هذا ، وكثر الإنكار على الملك الكامل ، وشنعت المقالة فيه . وعاد الإمبراطور إلى بلاده بعدما دخل القدس ، وكان مسيره فى آخر جمادى الآخرة سنة ٦٢٦هـ ؛ وَسَيّر الكامل إلى الآفاق بتسكين قلوب المسلمين وإنزعاجهم لأخذ الفرنج القدس . ورحل الكامل من تل العجوز يريد دمشق - والأشرف على محاصرتها - ، فجد فى القتال واشتد الأمر على الناصر إلى أن ترامى فى الليل على الملك الكامل ، فأكرمه وأعاه إلى قلعة دمشق وبعث من تسلمها منه ، وعوضه عن دمشق الكرك

---

(١) مجير الدين الحنبلى : الأنس الجليل ٢: ٤٠٥ - ٤٠٧، سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ٨: ٦٤٦ - ٦٤٨، ٦٥٣ - ٦٥٤ ؛ المقريزى : الخطط ٣: ٢١٣ - ٢١٤ ، ١: ٣٥٩ .

والشوبك والصلت والبلقاء والأغوار ونابلس وأعمال القدس ، ثم ترك الشوبك للكامل مع عدة مما ذكر ، وتسلم الكامل دمشق في أول شعبان سنة ٦٢٦هـ وأعطاها للأشرف . وأخذ منه ما معه من بلاد المشرق (الجزيرة الفراتية) وهي حران والرّها وسروج وغير ذلك[١] » .

ويحدثنا مجير الدين القدسي الحنبلي عن ردود الفعل المتشائمة في أرجاء الدولة الأيوبية ، التي صاحبت تسليم الملك الكامل القدس للفرنج ؛ فيقول : « ولما وقع ذلك ، كان الناصر داود في الحصار لانتزاع دمشق منه ، فأخذ في التشنيع على عمه الملك الكامل بذلك ، وكان بدمشق الشيخ شمس الدين يوسف سبط أبي الفرج الجوزي ، وكان واعظًا له قبول عند الناس ؛ فأمر الناصر داود أن يعمل مجلس وعظ ، يذكر فيه فضائل بيت المقدس وما حلّ بالمسلمين من تسليمه إلى الفرنج ، ففعل ذلك ، فكان مجلسًا عظيمًا ؛ ومن جملة ما أنشد ، قصيدة تائية ضمنها فضل بيت المقدس ، منها :

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مُقفرُ العرصات

وارتفع بكاء الناس وضجيجهم لذلك ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[٢] » .

ويحدثنا سبط ابن الجوزي نفسه ، عن ما قاله في هذه المناسبة التي عظم بها الخطب ، فيقول : ووصلت الأخبار بتسليم القدس إلى الفرنج ، فقامت القيامة في جميع بلاد الإسلام ، واشتدت العظائم بحيث أقيمت المآتم . واشار الملك الناصر داود بأن أجلس بجامع دمشق ، وأذكر ما جرى على البيت المقدس ، فما أمكنني مخالفته ، ورأيت من جملة الديانة الحمية للإسلام موافقته ، فجلست بجامع دمشق ، وحضر الناصر داود على باب مشهد علي ، وكان يومًا مشهودًا لم يتخلف من أهل دمشق أحد ؛ وكان من جملة الكلام : انقطعت عن البيت المقدس وفود الزائرين ، يا وحشة المجاورين ، كم كان لهم في تلك الأماكن من ركعة ، وكم جرت لهم على تلك الأماكن من دمعة ، تالله لو صارت عيونهم عيونًا لما وفت ، ولو تقطعت قلوبهم أسفًا لما شفت ، أحسن الله عزاء المؤمنين ، يا خجلة ملوك المسلمين ، لمثل هذه الحادثة تُسكَبُ العَبَرات ، لمثلها تنقطع القلوب من الزّفرات ، لمثلها تعظم الحسرات . وذُكِرَ كلام كثير ، وأكثر الشعراء في حديث القدس[٣] .

وقد أوضح سبط ابن الجوزي أن الإمبراطور فردريك كان يتلاعب بدين النصرانية ، ويستنكف ما ابتدعه القسس من صكوك الغفران ، ويتعاطف مع المسلمين ، ويتسامح معهم في أداء شعائر دينهم

---

(١) المقريزي : الخطط ٣: ٢١٣ – ٢١٤ (ذكر المدرسة الكاملية) ؛ مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل ٢: ٤٠٧ .
(٢) مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل ٢: ٤٠٦ – ٤٠٧ .
(٣) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٨: ٦٥٤ .

بالقدس ، بعد أن تسلمه من الملك الكامل سنة ٦٢٦هـ ؛ فيقول سبط ابن الجوزى فى حوادث هذه السنة : « وفيها دخل الأنبرور إلى القدس ، والحصار على دمشق ؛ وجرى له عجائب ؛ منها أنه لما دخل الصخرة ، رأى قسيسًا قاعدًا عند القدم ، يأخذ من الفرنج القراطيس ، فجاء إليه كأنه يطلب منه الدعاء ، ولكمه فرماه إلى الأرض ، وقال : يا خنزير ، السلطان قد تصدق علينا بزيارة هذا المكان ، تفعلوا فيه هذه الأفاعيل ، لئن عاد واحدٌ منكم دخل على هذا الوجه لأقتلنه ... ، ولما دخل وقت الظهر وأذّن المؤذن ، قام جميع من معه من الفراشين والغلمان ومعلمه - وكان من صقلية يقرأ عليه المنطق فصولاً - فصلّوا ، وكانوا مسلمين .. وكان الأنبرور أشقر فى عينيه ضعف ، لو كان عبدًا ما ساوى مائتى درهم . قالوا : والظاهر من كلامه أنه كان دَهْرِيًا، ولم يقم بالقدس سوى ليلتين ، وعاد إلى يافا من الداوية ، فإنهم طلبوا قتله[1] » .

ويحدثنا مجير الدين الحنبلى عن الصراع الأسرى على زعامة البيت الأيوبى الذى وقع بين السلطان الكامل صاحب مصر وأخيه الملك المعظم عيسى صاحب الشام ؛ وتمخّض عن تورط الملك الكامل فى تسليم القدس إلى الفرنج ، فيقول : ولما دخلت سنة ٦٢٤هـ ، وقع تنافر بين الملك الكامل صاحب مصر ، وأخيه المعظم عيسى صاحب دمشق ، لأمور بينهما ؛ فكاتب الملك الكامل الإمبراطور ملك الإفرنج ، فى أن يقدم إلى عكا ، ليشغل سرّ أخيه الملك المعظم عما هو فيه ، ووعد الأمبراطور بأن يعطيه القدس . فسار الإمبراطور إلى عكا ، وبلغ المعظم ذلك ؛ ثم توفى الملك المعظم فى هذه السنة يوم الجمعة مستهل ذى الحجة سنة ٦٢٤هـ ، ودُفِنَ بقلعة دمشق (...) ؛ ولما توفى الملك المعظم ، ترتب فى مملكته بعده ولده الملك الناصر صلاح الدين داود . فلما دخلت سنة ٦٢٥هـ ، أرسل الملك الكامل صاحب مصر يطلب من ابن أخيه الناصر داواد حسن الشوبك ، فلم يعطه إياه ولا إجابة إليه . فسار الملك الكامل من مصر إلى الشام فى رمضان من هذه السنة ، ونزل على تلّ العجول بظاهر غزّه، وولى ابن يوسف على نابلس والقدس وغيرهما من بلاد ابن أخيه ، ووقع بينهما أمور ومراسلات . وقدم الإنبرطور إلى عكا بجموعه - وقد مات الملك المعظم - ، فاستولى على صيدا - وكانت مناصفة بين المسلمين والإفرنج وسورها خراب - ، فعمّر الإفرنج سورها . والإنبرطور معناه : ملك الأمراء بالإفرنجية ، وكان صاحب جزيرة صقلية ، وكان فاضلاً يحسن الحكمة والمنطق والطب ، ويميل إلى المسلمين . ولما دخلت سنة ٦٢٦هـ ، واستهلت وملوك بنى أيوب متفرقون مختلفون ، قد صاروا أحزابًا ، بعد أن كانوا إخوانًا وأصحابًا ؛ فقوى الإفرنج بذلك ، وبموت المعظم عيسى ، ومن وفدَ إليهم من البحر . وكان الملك الكامل قد عزم على انتزاع دمشق من ابن أخيه الناصر داود ، وسير الملك الكامل أخاه الملك الأشرف موسى لحصار دمشق ، والكامل مشتغل بمراسلة الإنبراطور . ولما طال

---

(١) نفس المصدر ٨: ٦٥٦ - ٦٥٧ ، وراجع النص بطوله .

الأمر ، ولد يجد الكامل بُدًّا من المهادنة ، اجاب الإمبراطور إلى تسليم القدس إليه ؛ على أن تستمر أسواره خرابًا ، ولا يعمره الإفرنج ، ولا يتعرضوا إلى قبة الصخرة ، ولا إلى الجامع الأقصى ؛ ويكون المرجوع فى الرستاق إلى والى المسلمين ، ويكون لهم من القرى ما هو على الطريق من عكا إلى القدس فقط ؛ ووقع الأمر علـى ذلـك ، وتحالفا عليه . وتسلم الإمبراطور القدس فى ربيع الآخر (سنة ٦٢٦هـ) ، على القاعدة المذكورة ؛ وعظم ذلك على المسلمين ، وحصل به وَهْنٌ شديد وإرجاف فى الناس[1] .

مقدمات الفتح الناصرى الداودى للقدس

يقول مجير الدين الحنبلى ، حاكيًا لنا ظروف الصلح الذى تم بين السلطان الملك الكامل وابن أخيه الملك الناصر داود صاحب الكرك ابن الملك المعظم عيسى صاحب دمشق ، مما أدى إلى خلو سِرِّ الملك الناصر داود من هذه الحروب الأسرية ، وإقدامه علـى استرداد القدس من الفرنج ، وفتحها الفتح الثانى لها الذى تم على يد ملوك بنى أيوب ، وعرف بالفتح الناصرى الداودى ، وذلك سنة ٦٣٧هـ ، وبقاء القدس فى يد المسلمين أربع سنوات ، حتى اضطر الناصر داود إلى تسليمها مرة أخرى للفرنج سنة ٦٤١هـ ، حين تجددت الحروب الأسرية بين ملوك بنى أيوب بالشام ومصر ؛ فيقول مجير الدين الحنبلى : « ولما عقد الملك الكامل الهدنة مع الإنبرطور ، وخلا سِرُّه من جهة الإفرنج، سار إلى دمشق فوصل إليها فى جمادى الأولى (سنة ٦٢٦هـ) . واشتد الحصار على دمشق ،

---

(١) مجير الدين الحنبلى : الأنس الجليل ١: ٤٠٥ - ٤٠٦ ؛ وأنظر سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ٨: ٦٤٣ ، حوادث سنة ٦٢٤هـ ، حيث يقول : وفيها قدم رسول الأنبرور على (الملك) المعظم ، بعد اجتماعه بـ (الملك) الكامل ، يطلب الفتوح ؛ فأغلظ عليه ، وقال : قُلْ لصاحبك ما أنا مثل الغير ، ماله عندى سوى السيف ؛ وأنظر أيضًا سبط ابن الجوزى : مرآة ٨: ٦٤٦ معلومات عن التدابير التى قام بها المعظم عيسى للحيلولة دون وصول الأنبرور إلى عكا ، و ٨: ٦٥٣ - ٦٥٥ ، حوادث سنة ٦٢٦هـ ، حيث يقول : وفيها أعطى الكامل الأنبرور البيت المقدس ، ووصل الأنبرور إلى يافا ، وخرج الكامل من مصر فنزل تل العجول . وفيها دخل الأنبرور إلى القدس والحصار على دمشق . ولقد ذكر ابن واصل الحموى فى كتابه مفرج الكروب ، تعليقًا على تسليم السلطان الملك الكامل للقدس للفرنج ، أن السلطان فعل هذا لإنشغاله فى حروبه مع ملوك بنى أيوب بالشام ؛ وأنه كان قادرًا على استرداد القدس فى أى لحظة ، والراجح أن ابن واصل كان صادقًا ومحقًا فى قوله هذا ، لأنه السلطان الكامل اشترط على الفرنج عدم عمارة سور مدينة القدس ، ومن ناحية أخرى ، ظل فى حوذته حصنا الكرك . والشوبك ، وهما الحصنان المتحكمان فى مصير مدينة القدس من الناحية العسكرية ، فبغيرهما لا يستطيع المسيطر على القدس حمايتها والدفاع عنها ؛ وهو الأمر الذى يفسر سرعة نجاح الملك الناصر داود فى فتح القدس سنة ٦٣٧هـ ، وسرعة نجاح السلطان الصالح نجم الدين فى فتح القدس سنة ٦٤٢هـ كما سيأتى بيانه .

واستولى عليها الملك الكامل ، وسلمها لأخيه الملك الأشرف موسى ؛ وعوّض الناصر داود عنها الكرك والشوبك والبلقاء والصلت والأغوار (بأرض الأردن وفلسطين) ؛ ثم تنزّل الناصر داود عن الشوبك وسأل عمه في قبولها فقبله ـ واستمر الأشرف موسى بدمشق ، إلى أن توفى في المحرم سنة ٦٣٠ هـ ، وتملك دمشق بعده أخوه الملك الصالح إسماعيل بعهد منه ـ ثم سار الملك الكامل إلى دمشق ومعه الناصر داود صاحب الكرك ونزلا عليها في جمادى الأولى من هذه السنة (٦٣٥هـ) وحصلت أمور ووقائع ؛ ثم سلّم الصالح إسماعيل دمشق إلى أخيه الكامل لإحدى عشرة (١١) ليلة بقيت من جمادى الأولى ، وتعوض عنها بعلبك .

ولم يلبث الكامل غير أيام حتى مرض واشتد مرضه، ومات لتسع بقين من رجب سنة ٦٣٥هـ؛ واستمر بعده في السلطنة بمصر ولده الملك العادل أبو بكر بن الكامل ، فإنه كان نائبه بمصر . واتفق الأمراء بدمشق حين وفاة والده على تحليف العسكر له ، وأقاموا في دمشق الملك الجواد يونس بن مودود بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، نائبًا عن الملك العادل بن الكامل . ورحل الناصر داود إلى الكرك ، وتفرقت العساكر .

فلما دخلت سنة ٦٣٦هـ ، استولى الملك الصالح نجم الدين أيوب (صاحب الجزيرة الفراتية وبلاد الشرق وحصن كيفا) ابن الملك الكامل ، على دمشق وأعمالها ، بتسليم الملك الجواد يونس في جمادى الآخرة . ودخلت سنة ٦٣٧هـ ، وكان الملك الصالح أيوب سار من دمشق واستخلف فيها ولده الملك المغيث فتح الدين عمرو .

ووصل الصالح أيوب إلى نابلس ، لقصد الاستيلاء على الديار المصرية ؛ فسار الصالح إسماعيل صاحب بعلبك ، ومعه شركوه صاحب حمص ، بجموعهما ؛ وهجموا على دمشق ، وحصروا القلعة ، وتسلمها الصالح إسماعيل ، وقبض على الملك المغيث في صفر .

فلما بلغ الصالح أيوب ذلك ، رحل من نابلس إلى الغور ، وتشتت عنه عساكره ، وضاق به الأمر فقصد نابلس ، ونزل بها بمن معه ؛ فسار إليه الناصر داود بعسكره من الكرك ، وأمسك الصالح أيوب وأرسله إلى الكرك ، واعتقله بها ، وأمر بالقيام في خدمته بكل ما يختاره ؛ ولما اعتقل بالكرك ، أرسل أخوه الملك العادل أبو بكر صاحب مصر يطلبه من الناصر داود ، فلم يسلمه الناصر داود ، فأرسل العادل وتهدّد الناصر بأخذ بلاده ، فلم يلتفت إلى ذلك[1] » .

---

(١) مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل ٢: ٥ ؛ وانظر سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٨: ٧٢٤ .

الفتح الناصرى الداودى للقدس سنة ٦٣٧هـ

بعد اعتقال الملك الناصر داود صاحب الكرك للملك الصالح أيوب بالكرك ؛ قصد الملك الناصر داود القدس ، وكان الإفرنج قد عمروا قلعتها بعد موت الملك الكامل (سنة ٦٣٥هـ) - أى نقضوا شروط العهد والهدنة بينهم وبين المسلمين التى وقعها معهم الملك الكامل سنة ٦٢٦هـ - فحاصرها وفتحها ، وخرّب القلعة ، وبرج (محراب) داود أيضًا ؛ فإنه لما خربت القدس أولاً (سنة ٥٨٣هـ فى الفتح الصلاحى) ، لم يخرب برج (محراب) داود ، فخربه فى هذه المرة وذلك فى سنة ٦٣٧هـ ، بعد أن بقى فى أيدى الإفرنج نحو إحدى عشرة (١١) سنة ، من حين تسليم الكامل له فى سنة ٦٢٦هـ .

فأنشد فى ذلك الفتح وفى مدح الملك الناصر داود ، ومقارنة فتحه للقدس سنة ٦٣٧هـ ، بفتح السلطان صلاح الدين الأيوبى للقدس سنة ٥٨٣هـ ؛ أنشد الشاعر الوزير الأيوبى جمال الدين بن مطروح قصيدة جاء فيها :

المسجد الأقصى له آية ... سارت فصارت مثلاً سائرًا
إذا غدا للكفر مستوطنًا ... أن يبعث الله له ناصرًا
فناصرٌ طهره أولاً ... وناصر طهوره آخرا

ولقد شارك الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن عمه الناصر داود - وكان معتقلاً عنده - الفرحة باسترداد القدس من الفرنج ؛ ففى أواخر رمضان سنة ٦٣٧هـ ، أفرج الناصر داود صاحب الكرك عن ابن عمه الملك الصالح أيوب ، واجتمعت عليه مماليكه ، وسار هو والناصر داود إلى قبة الصخرة ؛ وتحالفا على أن تكون ديار مصر للصالح ، ودمشق للناصر ؛ ولما ملك الصالح ، لم يف له بذلك ، وكان يتأول فى يمينه أنه كان مكرها ، ثم سار إلى غزة[1] .

تجدد الصراع الأسرى بين ملوك بنى أيوب بمصر والشام ؛

وتورط الملك الصالح إسماعيل صاحب دمشق فى تسليم صفد وقلعة الشقيف للفرنج سنة ٦٣٨هـ ، وتورط الملك الناصر داود صاحب الكرك فى تسليم طبرية وعسقلان والقدس للفرنج سنة ٦٤١هـ ، ليعضدهما الفرنج على السلطان الصالح نجم الدين أيوب صاحب مصر، لتفكيره فى توحيد مصر والشام :

فلما بلغ الملك العادل صاحب مصر ظهور أخيه الصالح ، عظم عليه ، وبرز بعسكر مصر ، ونزل على بلبيس ، لقصد أخيه الصالح والناصر داود ؛ وأرسل إلى عمه الصالح إسماعيل المتولى على دمشق ، أن يبرز ويقصدهما من جهة الشام ؛ فسار الصالح إسماعيل بعساكر دمشق .

---

(١) مجير الدين الحنبلى : الأنس الجليل ٢: ٥ ؛ وانظر سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ٨: ٧٢٤ - ٧٢٩ .

فبينما الصالح أيوب والناصر داود ، وهما بين عسكرين قد أحاط بهما (عسكر الصالح إسماعيل من دمشق ، وعسكر العادل من مصر) ؛ إذ رَكِبَت جماعة من المماليك الأشرفية ، ومقدمهم أيبك الأسمر ، وأحاطوا بدهليز الملك العادل أبى بكر ابن الكامل ، وقبضوا عليه فى ليلة الجمعة ثامن (٨) ذى القعدة (سنة ٦٤٠هـ) ؛ وأرسلوا إلى الملك الصالح أيوب يستدعونه ، فأتاه فرجٌ لم يسمع بمثله ؛ وسار ومعه الناصر داود إلى مصر ، وصار يلتقيه فى كل يوم فرج من العساكر ، إلى أن دخل إلى قلعة الجبل بكرة يوم الأحد لست بقين من ذى القعدة (سنة ٦٤٠هـ) وزينت له البلاد ، وفرح الناس بقدومه ؛ ولما استقر فى ملك مصر ، خاف الناصر داود إبن يقبض عليه ، فطلب دستورًا ، وتوجه إلى بلاد الكرك (١) .

وفى سنة ٦٣٨هـ ، قوى خوف الصالح اسماعيل صاحب دمشق ، من إبن أخيه الصالح أيوب صاحب مصر ؛ فسلم صفد والشقيف إلى الإفرنج ، ليعضدوه ويكونوا معه على ابن أخيه الصالح أيوب ؛ فعظم ذلك على المسلمين .

ولما دخلت سنة ٦٤١هـ ، حصلت فيها المراسلة بين الملك الصالح أيوب صاحب مصر ، والملك الصالح إسماعيل صاحب دمشق بالصلح ؛ وأن صاحب دمشق يطلق الملك المغيث فتح الدين عمر ابن الصالح أيوب ، وحسام الدين بن على الهذباني ، وكانا معتقلين عند الصالح إسماعيل ؛ فأطلق حسام الدين وجهزه إلى مصر ، واستمر الملك المغيث فى الاعتقال . واتفق الصالح إسماعيل مع الناصر داود صاحب الكرك ، واعتضدا بالإفرنج ، وسلما إليهم طبرية وعسقلان ، فعمر الإفرنج قلعتهما ، وسلما أيضًا إليهم القدس بما فيه من المزارات .

قال القاضى جمال الدين (ابن واصل الحموى) : ومَرَرْتُ إذ ذاك (سنة ٦٤١هـ) بالقدس ، متوجهًا إلى مصر ، ورأيت القسس قد جعلوا على الصخرة قنانى الخمر للقربان ، فالحكم لله العلى الكبير .

---

(١) المقريزى : الخطط ٣: ٣٨٣ ، ٤: ٢٠٩ - ٢١١ ؛ سبط : مرآة الزمان ٨: ٧٣٢ ، حيث يقول : وفى سنة ٦٣٨هـ ، سلم إسماعيل الصالح الشقيف لصاحب صيدا ، وعزل عبد العزيز (العِزّ) ابن عبد السلام من الخطابة ؛ مجير الدين الحنبلى : الأنس الجليل ٢: ٦ وقد أمدنا السيوطى فى كتابه حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة ، فى الفصل الذى أفرده للحديث عن قضاة مصر بمعلومات طريفة وهامة عن هذه الحادثة ، وكيف أن العز بن عبد السلام - حين علم بتسليم الملك الصالح اسماعيل لقلعة الشقيف لصاحب صيدا من أمراء الفرنج - أسقط اسم الملك الصالح اسماعيل من الخطبة ، ولجأ إلى مصر ، فاحتفى به الملك الصالح نجم الدين أيوب وعرف قدره وولاه قضاء القضاه بمصر . أنظر السيوطى : حسن المحاضرة ٢: ١٠٩ (طبعة مطبعة الموسوعات) .

قال مجير الدين الحنبلي : وكان الناصر داود فتح بيت المقدس - كما تقدم - في سنة ٦٣٧ ؛ ثم فعل هذه الفعلة القبيحة ، فأبدل حسنة بسيئة ؛ وقد انتقم الله منه فيما بعد ... ؛ فنعوذ بالله من سوء الخاتمة والضلال بعد الهداية (١) .

الفتح الصالحي النجمي للقدس سنة ٦٤٢هـ ؛
واسترداده لغزة ولسواحل الشام والقدس الشريف ،
بعد هزيمته للفرنج في معركة غزة الكبرى سنة ٦٤٢هـ،
وهي التي اشتهرت لدى الفرنج بحطين الثانية، لكثرة من قتل وأسرى فيها من الفرنج

ولما وقع ما تقدم ذكره من تسليم القدس للإفرنج في سنة ٦٤١هـ ، استدعى الملك الصالح نجم الدين ايوب الجند الخوارزمية - وكانوا قد دخلوا في خدمته حين ولاه أبوه الملك الكامل الجزيرة الفراتية وبلاد المشرق وحصن كيفا - لينصروه على عمّه الصالح إسماعيل(٢) ؛ فسار الخوارزمية ، ووصلوا إلى غزة في سنة ٦٤٢هـ ، ووصل إليهم عِدّة كثيرة من العساكر المصرية مع ركن الدين بيبرس مملوك الصالح أيوب وكان أكبر مماليكه . وأرسل الصالح إسماعيل عسكر دمشق مع الملك المنصور إبراهيم بن شيركوه صاحب حمص ، وسار صاحب حمص جريدة ودخل عكا ، واستدعى الإفرنج على ما كان قد وقع عليه الاتفاق معهم ، ووعدهم بجزء من بلاد مصر(٣) .

فخرج الإفرنج واجتمعوا بالفارس والراجل ، ولم يحضر الناصر داود ؛ والتقى الفريقان بظاهر غزة ، فولى عسكر دمشق وصاحب حمص والإفرنج منهزمين ، وتبعهم عسكر مصر والخوارزمية فقتلوا منهم خلقًا عظيمًا ، واستولى الملك الصالح صاحب مصر على غزة والسواحل والقدس الشريف ولله الحمد ؛ ووصلت الأسرى والرؤس إلى مصر ، ودُقّت بها البشائر عِدّة أيام(٤) .

وكما أبدى مجير الدين الحنبلي ، استنكافه من تسليم الملك الناصر داود القدس للفرنج سنة ٦٤١هـ ، وصَرّح بحنقه الشديد على الملك الناصر داود لأنه أقدم على هذه الفعلة الشنعاء ، وفسر وفاة الملك الناصر داود غريبًا سليب الملك ، بغضب الله عليه ؛ فإن مجير الدين قد أشاد باسترداد الملك الصالح نجم الدين أيوب للقدس ، واستعادته فتح غزة وساحل بلاد الشام من الفرنج سنة ٦٤٢هـ ، وأشاد بسيرة الملك الصالح نجم الدين أيوب ، ودعا له برحمة الله وعفوه والجنة ؛ فيقول

---

(١) مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل ٢: ٥ - ٦ .
(٢) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٨: ٧٤١، حوادث سنة ٦٤١هـ؛ مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل ٢: ٧.
(٣) سبط : مرآة ٨: ٧٤٥ - ٧٤٦ ، حوادث سنة ٦٤٢ ؛ مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل ٢: ٧ .
(٤) مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل ٢: ٧ .

مجير الدين : وهذا الفتح الواقع في سنة ٦٤٢هـ لبيت المقدس ، هو آخر فتوحاته ، فإنه استمر بأيدى المسلمين إلى عصرنا (سنة ٩٠٢هـ) ؛ والمرجو من كرم الله تعالى استمراره كذلك إلى يوم القيامة ، بحول الله وقوته ... وكان (السلطان الصالح نجم الدين أيوب) مهيبًا عالى الهمّة ، عفيفًا طاهر اللسان ، شديد الوقار ؛ ولو لم يكن من علو همته إلا مبادرته لاستنقاذ البيت المقدس من أيدى الكفار فى أسرع وقت لكفى ؛ رحمة الله وعفا عنه وعوضه الجنة[1] . وقد لاحظ المؤرخون المحدثون أن الفتح الصالحى النجمى للقدس سنة ٦٤٢هـ ، كان آخر مرة يفتح فيها المسلمون بيت المقدس فى عصر الحروب الصليبية ، إذ لم يقدر لجيش مسيحى أن يدخلها بعد ذلك أبدًا حتى الحرب العالمية الأولى[2] .

وقد أمدنا سبط ابن الجوزى بوصف حي لمعركة غزّة الكبرى ، التى اندحر فيها الفرنج ومن استعان بهم من ملوك بنى أيوب سنة ٦٤٢هـ ، إذ يذكر سبط ابن الجوزى ، أنه فى هذه السنة : « فيها كانت وقعة عظيمة بين الخوارزمية والفرنج ... وكنت يومئذ بالقدس ، والناصر بالكرك ، واجتمعوا بأسرهم على يافا ، والخوارزمية وعسكر مصر على غزّة ... ؛ وكان يومًا عظيمًا ، لم يجر فى الإسلام مثله ، ولا فى زمان نور الدين وصلاح الدين ؟! ... ، وكان الفرنج عشرة (١٠) آلاف وخمسمائة (٥٠٠) فارس (...) وعشرة (١٠) آلاف راجل ؛ وما كانت إلا ساعة حتى حصدتهم الخوارزمية بالسيوف حصدًا جيدًا ، وأسروا منهم ثمانمائة (٨٠٠) أسير ؛ ولقد أصبحت ثانى يوم الكسرة إلى غزّة ، فوجدت الناس يَعُدّون القتلى بالقصب ، فقالوا : هم زيادة على ثلاثين (٣٠) ألفًا ؟! ، وقد بعث الخوارزمية بالأسارى والرؤس إلى مصر ... ؛ ووصل الأسارى إلى مصر (...) ، وعُلقت الرؤس على أبواب القاهرة ، وامتلأت الحبوس من الأسارى ؛ وكان يومًا عظيمًا »[3] .

ويرى المؤرخون المحدثون أن معركة غزّة الكبرى هذه ؛ كانت ولا شك أعظم كارثة حلت بالفرنج منذ وقعة حطين سنة ٥٨٣هـ ؛ حتى أطلق المؤرخون الأوربيون عليها اسم «حطين الثانية»[4] . وقد تفرغ الملك الصالح نجم الدين أيوب بعد هذه المعركة ، لتوحيد الدولة الأيوبية من جديد تحت

---

(١) نفس المرجع ٢: ٨ (ذكر الفتح الصالحى النجمى الذى يسره الله تعالى على يد السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب تغمده الله تعالى برحمته وأسكنه فسيح جناته) .

(٢) سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك فى مصر والشام ، دار النهضة العربية ، ١٩١٨ ، ص ١٣٣ .

(٣) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ٨: ٧٤٥ – ٧٤٧ .

(٤) سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك فى مصر ص ١٣٤ .

لواء سلطنته ، وخاصة مصر والشام ، فخُطِبَ له بمصر والشام والجزيرة الفراتية واليمن وبلاد الحجاز والحرمين الشريفين . واسترد من الفرنج طبرية وعسقلان[1] .

تطور عمارات وتجديدات قبة الصخرة والمسجد الأقصى فى العصر الإسلامى ، على يد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ثم خلفاء بنى أمية وخلفاء بنى العباس والخلفاء الفاطميين ، وسلاطين بنى أيوب وسلاطين المماليك على التوالى

وقد قام مجير الدين الحنبلى صاحب كتاب الأنس الجليل فى تاريخ القدس والخليل - نظرًا لأنه كان ناظر الحرم القدسى فى سلطنة السلطان الملك الأشرف قايتباى ، حين ألف كتابه هذا فى سنة ٩٠٠هـ - قام مجير الدين ببحث أثرى دقيق ممتع ، عن تطور عمارة المسجد الأقصى فى العصر الإسلامى ، اعتمادًا على الشواهد الأثرية المعاينة من ناحية ، وعلى النقوش المؤرخة للتجديدات المتعاقبة التى قام بها خلفاء وملوك الإسلام على قبة الصخرة والمسجد الأقصى ، والمزارات والمشاهد والمدارس والخوانق الواقعة داخل حرم المسجد الأقصى ، أو الملتصقة بجوانبه ، أو الواقعة خارج حرمه، فضلاً عن مناراته (مآذنه) الأربع ، وبواباته العديدة ، وبوابات سورة الأثرى ؛ وحقق فى هذا الوصف التفصيلى الأثرى ، أن أول من عَمّر قُبّة الصخرة والمسجد الأقصى فى الإسلام الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد الفتح العمرى للقدس ، اعتمادًا على ما صح عنده وعند من شهد هذا الفتح من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحاديث نبوية مرتبطة بتاريخ المسجد الأقصى وفضائله وتحديد سَمْت قِبْلته وبمعجزة الإسراء والمعراج ؛ وأنه يرجع إلى عصر العمارة العُمرية مسجد عمر بن الخطاب الكائن تحت قُبّة الصخرة ، وبعض المبانى الملحقة بالمسجد مثل جامع المغاربة وبعض أبوابه ؛ فى حين ترجع أغلب مبانى قبة الصخرة والمسجد الأقصى لعمارة الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان ، ومازيد على هذه العمارة أو لحق بها من تجديدات زمن خلفاء بنى أمية مَنْ بعده (ابنيه الوليد بن عبد الملك ، وسليمان بن عبد الملك) ، وزمن خلفاء بنى العباس الأوائل (أبو جعفر المنصور ، والمهدى) ، وزمن الخلفاء الفاطميين الأوائل (المعز لدين الله ، والعزيز بالله ، والحاكم بأمر الله ، والظاهر بالله ، والمستنصر بالله) ، وزمن سلاطين وملوك بنى أيوب (صلاح الدين الأيوبى ، المعظم عيسى ، الصالح نجم الدين أيوب) ، وزمن سلاطين المماليك

---

(١) أحمد فؤاد : مصادر تاريخ مصر الإسلامية فى العصر الأيوبى ص ١٦٨ ، اعتمادًا على ألقاب الملك الصالح كما وردت على نقوشه ؛ وراجع سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك فى مصر والشام ص ١٣٤ - ١٣٧ ؛ مجير الدين الحنبلى : الأنس الجليل ٢: ٨ .

(المنصور قلاوون ، الناصر محمد بن قلاوون ، الأشرف شعبان بن حسين ، حسام الدين لاجين ، الأشرف قايتباى) وذلك على يد نظارهم على الحرم القدسى ، ونوابهم على نيابة غزة (فى العصر المماليكى)[1] .

---

(١) أنظر مجير الدين الحنبلى : الأنس الجليل ٢: ١١ – ٣٠ . ذكر (صفة المسجد الأقصى وما هو عليه فى عصرنا) ، وأنظر أيضًا ، نفس المصدر ، ١: ١٨١ – ١٨٥ (قصة المعراج وما وقع لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء بالمسجد الأقصى) ، ١: ٢٢٦ – ٢٤٣ (ذكر فضائل المسجد الأقصى الشريف وما ورد فى ذلك من الآيات والأحاديث) ، ١: ٢٨٠ – ٢٨٥ (ذكر صفة المسجد الأقصى وما كان عليه فى زمن عبد الملك وبعده) ومما قاله : المتعارف عند الناس أن الأقصى من جهة القبلة الجامع المبنى فى صدر المسجد الذى به المنبر والمحراب الكبير ؛ وحقيقة الحال : أن الأقصى اسم لجميع المسجد مما دار عليه السور .. ، فإن هذا البناء الموجود فى صدر المسجد وغيره من قبة الصخرة والأروقة وغيرها مُحدثة ، والمراد بالأقصى هو جميع ما دار عليه السور ، نفس المصدر ٢: ٢٤ ؛ ومما قاله أيضًا : " ولم يختلف اثنان أنه عُرج به صلى الله عليه وسلم عن يمين الصخرة " ، نفس المصدر ٢: ٢٠ ، وهو يذكر أيضًا فى نفس هذا الموضع أن النبى صلى الله عليه وسلم صلّى بالأنبياء والملائكة ليلة الإسراء فى صحن الصخرة ، إلى جانب ما يعرف بقبة المعراج ومقام النبى محمد .

وقد تواكب مع تزايد الاهتمام بتحرير القدس فى القرنين الخامس والسادس الهجريين ، ظاهرة الاهتمام بتأليف كتب فى فضائل بيت المقدس والمسجد الأقصى أنظر أبو بكر محمد بن أحمد الواسطى المقدسى من علماء القرن الخامس الهجرى : فضائل البيت المقدس ، تحقيق إسحاق حسون ، معهد الدراسات الآسيوية والإفريقية ، الجامعة العبرية ، القدس ١٩٧٩م ؛ بهاء الدين بن عساكرت ٥٧١هـ : المستقصى بفضائل المسجد الأقصى ، طبع بيروت ١٩٧٨م ؛ أبو المعاطى المشرف ابن المرجا المقدسى : فضائل بيت المقدس ، طبع بيروت ١٩٨٠م ؛ أبو الفرج ابن الجوزى : تاريخ بيت المقدس أو فضائل بيت المقدس ، تحقيق محمد زينهم عزب ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٩٩٤م . أما الكتب التى ألفت عن فضائل القدس والمسجد الأقصى فى العصر المماليكى ، فقد اهتمت بالجانب الأثرى والطبوغرافى للمدينة ، أنظر أبو عبد الله بن شهاب الدين المنهاجى السيوطى ت ٨٨٠هـ : إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى ، تحقيق أحمد رمضان أحمد ، القاهرة ١٩٨٢م ؛ قاضى القضاه أبو اليمن القياضى مُجير الدين عبد الرحمن بن محمد العليمى المقدسى الحنبلى العُمرى ، المنتهى نسبه إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب ، ولد بالقدس سنة ٨٦٠هـ ، ورحل إلى القاهرة سنة ٨٨٠هـ ودرس بها ، وعاد إلى القدس سنة ٨٨٩هـ ، وتولى قضاء القدس ولعله بقى فيه مدة حتى وفاته سنة ٩٢٨هـ : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، تحقيق محمد موسى المحتسب ، مكتبة المُحتسب ، عمان – الأردن ، ١٩٧٣م ، (ج ١ – ٢) .

وأنظر فصولاً دقيقة عن الصخرة المقدسة ، وعَنْ قُبّة الصخرة ، والمسجد الأقصى ، وإزالة السلطان صلاح الدين الأيوبى للتعديات والمنكرات والكنيسة والمذبح ، التى بناها الفرنج فوق الصخرة ، ومحيه للصور والأيقفونات وتحطيمه للتماثيل التى وَضَعَها الفرنج إبان احتلالهم للقدس ، وإظهاره المحراب وترخيمه ، ونصبه للمنبر ، وتطهيره لقبة الصخرة ومسحه لها سنة ٥٨٣هـ بعد فتحه للقدس واستنقاذه لها من أيدى الفرنج ، عند العماد الأصفهانى : الفتح القيسى فى الفتح القدسى ، تحقيق محمد محمود صبح ، القاهرة ، =

ولم يغب عن الجغرافيين والرحالة المسلمين عند تسجيل رحلاتهم ، تقديم وصفًا حضاريًا أثريًا مسهبًا للمسجد الأقصى ، كما رأوه عند زيارتهم له ، كل منهم حسب عصره الذى سجل فيه رحلته ومشاهداته ؛ وكان أكثر هؤلاء الجغرافيين والرحالة والمؤرخين إسهابًا وتفصيلاً ودقة فى وصف المسجد الأقصى ، المقدسى(١) والأصطخرى(٢) فى العصر العباسى ، والهروى(٣) فى العصر الأيوبى ، وابن بطوطة(٤) ، وابن فضل الله العُمرى(٥) ، والقلقشندى(٦) فى العصر المماليكى .

= د. ت. ص ١١٦ – ١١٧ . (فتح بيت المقدس) ، ص ١١٨ – ١٢١ ذكر كنيسة قمامة (القيامة) ، ص ١٢٢ – ١٢٩ (وصف البيت المقدس) ، ص ١٣٠ – ١٣١ (ذكر يوم الفتح) ، ص ١٣٥ – ١٣٦ (ذكر ما جرت عليه حال الفرنج فى خروجهم من القدس) ، ص ١٣٧ – ١٤٠ (ذكر ما أظهره السلطان فى القدس من الحسنات ومحاه من السيئات) ، ص ١٤١ – ١٤٤ (وصف الصخرة المعظمة عمرها الله) ، ص ١٤٥ – ١٤٦ (ذكر محراب داود عليه السلام ، وغيره من المشاهد الكرام ؛ وتبطيل الكنائس ، وإنشاء المدارس) .

(١) أنظر المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، ص ١٦٨ – ١٧١ ، وقد أبدع المقدسى فى وصف زخارف قبة الخضرة ، ثم قال : " وعلى الجملة ، لم أر فى الإسلام ، ولا سمعت أن فى الشرك مثل هذه القُبَة " .

(٢) أنظر الأصطخرى : المسالك والممالك ص ٤٣ – ٤٩ ، حيث يقول : " وببيت المقدس .. بها مسجدٌ ليس فى الإسلام أكبر منه " .

(٣) أنظر الهروى : كتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات ، تحقيق جانين سورديل طومين ، نشر المعهد العلمى الفرنسى بدمشق للدراسات العربية ، دمشق ، ١٩٥٣م ، ص ٢٥ – ٢٦ ؛ وهو يصف تعديات الفرنج على قبة الصخرة والمسجد الأقصى إبان احتلالهم للقدس ٤٩٢هـ – ٥٨٣هـ وما وضعوه بداخله من رسوم وشارات نصرانية .

(٤) أنظر ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٧هـ – ١٩٦٠م ، ص ٦٠ – ٦٢ .

(٥) أنظر ابن فضل الله العمرى : مسالك الأبصار وممالك الأمصار ، (ممالك مصر والشام والحجاز واليمن) ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، القاهرة ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م ، ص ١٣٦ – ١٣٩ . ومما قاله : " وأما مدينة القُدس الشريف فعلى جبل مدينة مستديرة فى وسطها السور المحيط على الصخرة والمسجد المسمى الآن – المسجد الأقصى ؛ وإنما حقيقة المسجد الأقصى جميع ما يحيط بالسور المذكور وهو المعروف بالسور السليمانى " .

(٦) أنظر القلقشندى : صبح الأعشى ٤: ١٠٠ – ١٠٢ ، وهو يرجع بناء المسجد الأقصى وقبة الصخرة فى العصر الأموى إلى الوليد بن عبد الملك لا عبد الملك بن مروان ، ويروى هذا أيضًا عن الحميرى صاحب كتاب الروض المعطار . وهو يقول " على أن المسجد الأقصى على الحقيقة جميع ما هو داخل السور " .

وعُنى المؤرخون من جانبهم بتسجيل وتتبع العمارات والتجديدات التى قام بها سلاطين المماليك ونوابهم وولاتهم على القدس والخليل ، فى المسجد الأقصى ، وفى الحرمين القدسى والخليلى ؛ وذلك بعد أن اصبح سلاطين المماليك ، هم حماة الحرمين الشريفين مكة والمدينة ، وحماة القبلتين ، وحماة المسجد الأقصى ، وهذا مادلت عليه ألقاب سلاطين الأيوبيين ومن بعهدهم تلامذتهم سلاطين المماليك ، وأهمها : « خادم الحرمين الشريفين » ، و « صاحب الحرمين الشريفين » و « ملك الحرمين الشريفين والبيت المقدس »(١) . فذكر هؤلاء المؤرخون أن السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الذى يُعدّ المؤسس الحقيقى لدولة المماليك البحرية بمصر اهتم بعمارة المقدسات الإسلامية فى بلاد الحجاز وفلسطين ، لإعلان نهوضه بحماية وخدمة الحرمين الشريفين بمكة والمدينة ، وحماية وخدمة القبلتين ، الكعبة المسجد الحرام و المسجد الأقصى ؛ وتدليلاً على احقيته فى حمل لقبى : خادم الحرمين الشريفين والقبلتين ؛ وهو ما حقق له الزعامة على العالم الإسلامى ، حتى لُقب بـ « سلطان الإسلام والمسلمين »(٢) ؛ ويقول المقريزى مُعَدِّدًا أثار وعمائر السلطان بيبرس فى الحجاز وفلسطين : « وعَمّرَ الحرم النبوى ، وقبة الصخرة ببيت المقدس ، وزاد فى أوقاف الخليل عليه السلام (فى الحرم الإبراهيم فى مدينة الخليل)(٣) .

وعَدّد ابن أيبك الدوادار فى سيرته للسلطان الملك الناصر محمد بن قلاون الجوامع التى عَمّرَها واستجدها هذا السلطان هو ونوابه وولاته على الشام ، بالقدس وغزّة وصفد ودمشق وطرابلس ؛ ثم قال : « وأما الخوانق والرباطات والزوايا وكذلك المساجد ، فلا تحصى كثرة ؛ وجميع هذه الأماكن مشحونة بالأئمة والخطباء والفقهاء والمدرسين والمحدثين والطلبة والمؤذنين والقُوّام والفقراء والمساكين ؛ وكل من هؤلاء ، فله المقرر من سائر ما يحتاج إليه ، مما أوقف عليهم من الضياع والأملاك والحوانيت ؛ ولهذه الأوقاف مباشرين وعُمّال وغير ذلك »(٤) .

والجدير بالذكر ، أن بعض آثار وعمائر السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، وآثار وعمائر نُوّابه وولاته على المدن الفلسطينية ، وفى طليعتها القُدس والخليل وغَزّة ، لا تزال بعضها باقية إلى الآن ؛

---

(١) راجع أحمد فؤاد سيد : مصادر تاريخ مصر الإسلامية فى العصر الأيوبى ، دار النهضة العربية ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م ، ص ١٦٣ .

(٢) نفس المرجع ، ص ١٩٣ .

(٣) المقريزى : الخطط ٤ : ٩٧ (ثم جامع الظاهر) .

(٤) ابن أيبك الدوادار : الدرّ الفاخر فى سيرة الملك الناصر ، تحقيق هانز روبرت رويمر ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ١٣٧٩هـ – ١٩٦٠م ، ص ٣٨٨ .

مثل عمارة الملك الناصر محمد لقبّة الصخرة بالقدس ؛ ومثل الجامع الذى أنشأه بغزة الأمير علم الدين سنجر الجاولى[1] ، نائب السلطنة بفلسطين ، وناظر الحرمين الشريفين بها (القدس والخليل) ، ووالى غزة ؛ ولازال هذا الجامع قائمًا بغزة إلى اليوم[2] ؛ كما وصلنا خبر الجامع الذى أقامه هذا الأمير بمدينة الخليل ، ونص فى نقوشه على أنه قد أنشأه من خالص ماله ، ولم يُنفق عليه من مال الحرمين الشريفين؛ كما لدينا أيضًا وصفًا أثريًا دقيقًا لهذا الجامع[3] .

ويحدثنا ابن فضل العُمرى ت ٧٤٩هـ وهو رئيس ديوان الإنشاء فى عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، عن تزايد الاهتمام بعمارة قبة الصخرة والمسجد الأقصى ومدينة القدس ، بعد استردادها من الفرنج ، وبلوغ هذا الاهتمام زروته فى عهد سلطنة السلطان الناصر محمد بن قلاوون ؛ فيقول : وبالقدس مدارس وخانقاه وربط وزوايا وتُرَب ؛ وللمسجد الأقصى بها وقوفٌ كثيرة جارية على مصالحة والمؤذنين به وخَدَمِهِ وجماعة من العلماء والقُرّاء به ؛ (...) فإن فى القدس لكُلّ الملل معتقدًا وإليه توجهًا ، وأن اليهود تزوره ، والنصارى تَحُجّ به (كنيسة) قُمامة (القيامة) وتزور كنيسة بيت لَحْم مكان مولد عيسى عليه السلام . وقد كانت مدينة القدس ، بعد تولى أيدى الفرنج عنها ، تغلّب عليها الهدم والخراب ، إلى هذه المدّة القريبة ، انصرفت إلهمَمّ إلى عمارة أماكن بها ، وتوفرت الدواعى إليها ؛ ووَفّر نائب السلطنة بالشام الآن الاهتمام بذلك ، وساق إليها قناة بسَطّها إلى بركة ، وهو مجتمع يَرْفُدها بالماء زمن قلة الماء ، وتجرى إلى مدينة القدس ، وتدخل إلى سور المسجد الأقصى وتجرى به ؛ وعمّر نائب السلطان إلى ما جاور الرباط المنصور قلاوون ، مدرسة جليلة ، وقفها على مدرس وفقهاء ومتفقهة على مذهب الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه ؛ وبأعلاها خانقاه مشرفة ، وبحضرتها مكتب أيتام حصل به الأجر التام وللناس الرفق العام ، وأثابه الله وتقبل منه ؛ وعَمّر بها

---

(١) قال أبو المحاسن بن تغرى بردى فى وفيات سنة ٧٤٥هـ : " توفى الأمير علم الدين سنجر الجاولى ، أحد أعيان الأمراء بالديار المصرية (...)، وهو صاحب الجامع بغزة والخليل عليه السلام ... ، وكان فاضلاً فقيهًا، وله مصنفات فى الفقه وغيره " أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٠: ١٠٩ - ١١٠ . وأفاد المقريزى أن السلطان الملك الناصر محمد قد جعل الأمير سنجر الجاولى فى سنة ٧١١هـ نائبًا على غزة والساحل والقدس وبلد الخليل وجبل نابلس ، وأن لسنجر هذا آثار جميلة فاضلة بغزة والخليل بناها إبان توليه نيابة غزة ، إذ بنى جامعًا فى غاية الحُسن على حَدّ قول المقريزى ؛ ووصفه المقريزى بأنه هو الذى مَدَّن غزة ، أنظر المقريزى : الخطط ٤: ٢٧٤ - ٢٤٨ (ذكر الخانقاه الجاولية) و ٢٨٣ .

(٢) راجع حسن روحى : المختصر فى جغرافية فلسطين ص ١٠٥ ؛ محمد رمزى ، النجوم الزاهرة لأبى المحاسن بن تغرى بردى ١٠ : ١١٠ حاشية (١) .

(٣) أنظر مجير الدين الحنبلى : الأنس الجليل فى تاريخ القدس والخليل (الطبعة القديمة ٢: ٥٨ ؛ محمد رمزى : النجوم الزاهرة ١٠: ١١٠ ، حاشية (٢) ؛ وراجع أحمد فؤاد سيد : مصادر تاريخ مصر الإسلامية فى العصر الأيوبى ، دار النهضة العربية ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م ، ص ٢١٧ - ٢١٨ ، ص ٢٥٦ - ٢٥٨ .

حمامين جليلين ، كانت أحوج شيء إليه ، لأنه لم يكن بها حمامات مُرضية ، وأنشأ بها الأسواق والعمائر ؛ وأصبحت مدينة القدس ضاحية المرآة آهلة الرحاب ، وعادت إلى ما كانت إليه من المدن ، بعد أن كانت لا تُعَدّ من القرى ولا يندى في جوانبها الثرى[1] .

ويحدثنا مجير الدين القدسي الحنبلي ، صاحب كتاب الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل ، وقاضي القدس ، وناظر الحرم القدسي في عهد السلطان الملك الأشرف قايتباى (ولى السلطنة من ٨٧٢ - ٩٠١هـ) ، الذى ألف كتابه هذا سنة ٩٠٠هـ ، عن أهمية مدرسة الشافعية التى أنشأها السلطان الأشرف قايتباى بمدينة القدس ، وعُدّت من محاسن بيت المقدس ، والحق بها سبيلاً ، وهى لاتزال باقية عامرة إلى يومنا ، معدودة من الآثار الإسلامية الهامة بمدينة القدس ؛ فيقول مجير الدين ، فى مقدمة كتابه الأنس الجليل : « ثم أختتم الكتاب ، بذكر ترجمة ملك العصر والزمان ، مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى نصره الله تعالى ؛ وأذكر مدرسته الشريفة ، وأنها من محاسن بيت المقدس ، لا سيما كونها فى المسجد الأقصى الشريف ، وهى آخر مدرسة بُنيت فيه ؛ وأذكر ابتداء ولايته السلطنة ، وأحوال بيت المقدس وأحوال بلد سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام فى أيامه ؛ وأذكر سبب بناء مدرسته ، وتوليه مشيختها لشيخ الإسلام الشيخ كمال الدين أبى المعالى محمد بن أبى شريف الشافعى أدام الله النفع بعلومه ؛ وأذكر تاريخ مولده ، وأسماء مؤلفاته ، وما تيسر من ترجمته »[2] .

ولقد أولى الأثريون المحدثون اهتمامًا كبيرًا بدراسة عمارة المسجد الأقصى ، وتسجيل النقوش التاريخية المؤرخة الخاصة بعماراته وتجديداته طوال عصور التاريخ الإسلامى التى سجلها على عمائرهم وتجديداتهم بالحرم القدسى خلفاء وملوك الإسلام[3] ؛ وهو أمر إذن ما قُرن بأوصاف الرحالة

---

(١) ابن فضل الله العمرى : مسالك الأبصار ، تحقيق أيمن فؤاد ، ص ١٣٨ .

(٢) مجير الدين الحنبلى : الأنس الجليل ١: ٤ ؛ وأنظر الفصل الأخير من كتابه هذا .

(٣) راجع

Creswell, (R.A.C.), Early Muslim Architecture., 2vols. Clarendon press, oscford, 1932-1940, I/ 1,pp. 65-131; I/2, pp. 373-380.

كمال الدين سامح : العمارة فى صدر الإسلام ، القاهرة ١٩٧١م ، ص ١١٠ ؛ فريد شافعى : العمارة بمصر فى عصر الولاة ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة دراسة المحاريب والمحراب (المُجَوَّف) .

Marguerite van Berchem et solonge ory, "la jérusalem musulmane dans l'oeuvre de Max van Berchem", lausanne 1978.

Van - Berchem, (Max), Corpus Inscriptionum Arabicarum, Mémoures publiés par les Membres de la Mission Archéologique Français au Caire, tome x1x (19), paris, 1894=

والمؤرخين المسلمين القدماء لقبة الصخرة والمسجد الأقصى فى صعيد واحد ، من شأنه ولا ريب أن يوقف العالم الإسلام والرأى العام العالمى ، على محاولات إسرائيل العبث بهذا الحرم الإسلامى الجليل، الذى ندعو الله مخلصين له الدين أن يفك أسره فى القريب العاجل ، ويعيده مرة أخرى إلى حوزة الإسلام والمسلمين .

= (Jérusalem II) Combe, Sawaget et wiet, Répertoire chronologique d Epigraphie Arabe, 12 vols, le Caire, 1931 - 1950 T. xiv (14), xv (15), xvi (16).

أحمد عبد الرازق : أضواء على المسجد الأقصى وبعض الكتابات الأثرية فيه ، المجلة التاريخة المصرية ، المجلد ٢٧، ١٩٨١م ، ص ٨١ - ١١٨ ؛ وهو يهتم على الخصوص بدراسة نقوش العصر المماليكى .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية المخطوطة :

- ابن الأثير (عز الدين) : أبو الحسن على بن محمد بن عبد الكريم الشيبانى الجزرى ، ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م .

١ - مجموعة رسائل مجد الدين بن الأثير ، وهو المبارك بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيبانى الجزرى ، مجد الدين أبو السعادات ، ت ٦٠٦هـ / ١٢١٠م ، ولد بجزيرة ابن عمر ونشأ بها ، ثم انتقل إلى الموصل، وكتب لأمرائها وكانوا يحترمونه ، جمع هذه المجموعة من الرسائل أخوة عز الدين ابن الأثير المؤرخ الشهير ، وهى مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ٢٠٤٠أدب فى ١٧٧ق ، ومصورة بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ٤١٦ أدب ، وهى مؤرخة سنة ٦٠١هـ أى فى حياة المؤلف ، وأولها خط جامعها .

- ابن الأثير (ضياء الدين) : أبو الفتح ، نصر الله بن محمد بن عبد الكريم الشيبانى الجزرى ، وزير الملك الأفضل الأيوبى ، وكاتب إنشاءه ت ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م .

٢ - « كتاب رسائل بين الملوك فى أيام الأيوبيين » مخطوط بمكتبة نور عثمانية باستانبول برقم ٣٧٤٥ فى ٩٩ ق ومصور بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ٤١٩ أدب ، وهو منسوب فى فهرسها خطأ للعماد الأصفهانى ، لورود اسم العماد بخط حديث على صفحة العنوان ، ولكن تبين لى بعد دراسة الميكروفيلم أنه الجزء الثانى المفقود من مراسلات الوزير الأيوبى ضياء الدين بن الأثير .

٣ - « المفتاح المنشأ فى حديقة الإنشاء . منه ثلاث نسخ خطية الأولى فى ٢٢ لوحة مصور ، بدار الكتب المصرية برقم ٤٩٣٤ أدب ، عن نسخة بمكتبة نور الدين بك مصطفى بالقاهرة ؛ والثانية مصورة بدار الكتب المصرية أيضًا برقم ٨٤٧ أدب تيمور من لوحة ٢٧٩ إلى ٣٢٠ ، أغلب الظن عن الأصل المخطوط بمكتبة شستربتى ، وهى التى اعتمدنا عليها ؛ والثالثة نسخة فى ٤٢ لوحة بدار الكتب المصرية كذلك برقم ٤٩٠٨ أدب طلعت .

٤ - « مؤنس الوحدة » مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٥٠٧٠ أدب .

- الأحدب (نجم الدين) : محمد بن عيسى بن اسماعيل الحنفى ، الفارس الجواد (بروكلمن ٢ : ١٣٦).

٥ - نهاية السول والأمنية فى تعلم أعمال الفروسية ، مخطوط بمكتبة أحمد الثالث باستانبول برقم ٢٦٥١ ومصور بمعهد المخطوطات بالقاهرة ، برقم ٥٠ معارف عامة .

- الأسدى (ابن خليل) : محمد بن محمد بن خليل الأسدى ، ت بعد سنة ٨٥٥هـ / ١٤٥١م .

٦ - « التيسير والاعتبار والتحذير والاختيار » فى تدبير الملك والأسباب الموجبة للخراب إليه ، ألفه سنة ٨٥٤هـ / ١٤٥٠م . نسخة بخط المؤلف بتاريخ ٨٥٥هـ / ١٤٥١م . بدار الكتب المصرية برقم ٧٧ اجتماع تيمور .

- الأشرفى (الحنفى) : أحمد المحمدى الأشرفى المتوفى سنة ٨٧٥هـ / ١٤٧٠م .

٧ – « البرهان فى فضل السلطان » ألفه للسلطان الظاهر خشقدم مخطوط بم، كتبة سوهاج برقم ٨٠ تاريخ فى ١٠٤ ق ومصورة بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ٩ سياسة واجتماع . ومنه نسخة أخرى مخطوطة بالمكتبة العمومية باستانبول .

– الأشرفى (الأحمدى) : طوغان شيخ الأحمدى الأشرفى ، ت ٨٨١هـ / ١٤٧٦م ، (السخاوى : الضوء ، ٤: ١٠) .

٨ – « المقدمة السلطانية فى السياسة الشرعية » ، ألفه للسلطان الأشرف قايتباى سنة ٨٧٨هـ . مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٥٠٣ أدب ، ومنه نسخة خطية أخرى بدار الكتب المصرية أيضًا فى ١٨٣ ق ، برقم ١٧٢٦ فقه حنفى ، ومن المحتمل أن ظوغان الأحمدى الأشرفى ، مؤلف « المقدمة السلطانية » هذا ، هو نفسه أحمد المحمدى الأشرفى مؤلف « البرهان » المذكور قبله .

– الباعونى (الدمشقى) : محمد بن يوسف الباعونى الدمشقى ، ت ٩١٦هـ / ١٥١٠م (السخاوى : الضوء ، ١٠: ٨٩ ، الغزى : الكواكب السائرة ١: ٧٢) .

٩ – « إيضاح السلوك ونزهة الملوك » ألفه – على الأرجح – للسلطان الأشرف قايتباى ، منه مخطوطتان بدار الكتب المصرية ، إحداهما بالخزانة التيمورية والأخرى بالخزانة الزكية .

– ابن البقال (البغدادى) : عز الدين أبو عبدالله محمد بن اسماعيل بن عبد الله بن وداعه ، ت ٥٨٨هـ / ١١٩٢ م .

١٠ – « المقترح فى المصطلح ، فى تعليم رمى البندق والصيد » ألفه للخليفة الناصر لدين الله العباسى . مصور بدار الكتب المصرية برقم ٣٥٠٦ ج ، عن مخطوط المكتبة الأهلية بباريس برقم ٤٦٣٩ .

– البغدادى (موفق الدين) : عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن على الموصلى ثم البغدادى ، الشافعى ، ويعرف بابن اللباد ، أبو محمد ت ٦٢٩هـ / ١٢٣١م .

١١ – « العمدة فى أصول السياسة » مخطوط بمكتبة برلين برقم ٥٦٤٤ (١٠) .

– ابن بهادر (كمال الدين) : محمد بن محمد بن محمد المؤمن الشافعى ، أبو الفضل ، ت ٨٧٧هـ / ١٤٧٣م .

١٢ – « فتوح النصر فى تاريخ ملوك مصر » ضمنه تاريخ ملوك الدولة الكردية والتركية بالديار المصرية إلى أواخر المائة التاسعة ، مخطوط بخط المؤلف سنة ٨٧٧هـ ، بمكتبة آيا صوفيا بالآستانة ، ومصور بدار الكتب المصرية برقم ٢٣٢٩ تاريخ ، وبمعهد المخطوطات بالقاهرة ، برقم ٣٦٣ تاريخ ، وبمكتبة جامعة القاهرة برقم ٢٦١٦٦ .

– الترمذى (الواعظ) : عمر الترمذى الصوفى ، ت بعد سنة ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣م .

١٣ – « تفسير سورة الإخلاص » ألفه للملك الظاهر محمد أبى سعيد جقمق المتوفى سنة ٨٥٧هـ ، ذكر فيه مقدمة فى نصيحة هذا الملك تتعلق بالإخلاص . مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ١٢٧ وعظ ١٧٩٤ عام .

– التيفاشى (شرف الدين) أحمد بن يوسف بن أحمد بن أبى بكر بن حمدون القيسى ، ت ٦٥١هـ / ١٢٥٣م .

١٤ – « منافع الأحجار » مخطوط فى ٨٢ ق بدار الكتب المصرية برقم ٢٢٢ طبيعة وكيمياء .

١٥ – « نزهة الألباب فيما لا يوجد فى كتاب » مخطوط بمكتبة الجامع الأزهر برقم ٤٢٣ أباظة – ٧٠١٩ أدب .

- الجعفرى : عبد الله بن على بن محمد (؟) .

١٦ - « عيون الرسائل الفاضلية » مخطوط بالمتحف البريطانى برقم ٢٥٧٥٦ ، ١٥٤٠ ، ١٥٤١ .

- ابن جماعة (بدر الدين) : محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علـى بـن حـازم الكنـانى الحمـوى البيـانى الشافعى ، ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٣م .

١٧ - « تحرير الأحكام فى تدبير أهل الإسلام » مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٢٣٨٤١ب وبمكتبة بلدية الإسكندرية برقم ٤٣ ، وقد استخدمنا نسخة الدار . وطبع أخيرًا .

- ابن الجوزى (أبو الفرج) : عبد الرحمن بن على بن محمد بن الجوزى القرشى التيمى البغـدادى الحنبلـى ، جمـال الدين ، ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م .

١٨ - « مناقب بغداد » مخطوط بدار الكتب المصرية بالخزانة التيمورية برقم ١٤٤٣ تاريخ .

١٩ - « المصبـاح المضـىء فـى خلافـة المسـتضىء » مصـور بـدار الكتـب المصريـة فـى ٢١٥ لوحـة برقـم ١٩٧٨٨ب ، وطبع أخيرًا بالعراق .

- الجيزى (ابن إبراهيم) : محمود بن إسمايل بن إبراهيم بن ميكائيل بن خضر بن يوسف بن يعقوب الجيزى كـان موجودًا سنة ٨٤٣هـ / ١٤٣٩م .

٢٠ - «الدرة الغراء فى نصيحة السلاطين والقضاه والأمراء» ، ألفها للملك الظاهر محمد أبو سعيد جقمـق . مخطوط بخط المؤلف سنة ٨٤٣هـ بدار الكتب المصرية برقم ٢٣٢٩٢ ب .

- جمال الدين (الإسنوى) : عبد الرحيم بن الحسن بن على الإسنوى الشـافعى ت ٧٧٢هـ (الزركـى : الأعـلام ٣ : ٣٤٤ ؛ كحاله : معجم المؤلفين ٥: ٢٠٣ و ١٣ : ٣٩٧) .

٢١ - « رسالة فى قبح استخدام أهل الذمة » يتلوها رسالة أخـرى فـى هـذا الموضـوع لنفـس المؤلـف وذكـر منشور الملك الناصر محمد بن قلاوون بشأن أهل الذمة . مخطوط بدار الكتب المصرية ضمن مجموعة برقـم ١٧٥ مجاميع تيمور (اخلاق) الرسالتان ١٨ و ١٩ بالمجموعة . وللإمـام الحـافظ جمـال الديـن الأسـنوى أيضًا كتاب مطبوع بعنوان : « الكلمات المهمة فى مباشـرة أهـل الذمـة » ، لعلـه نفسـه الرسـالة الأولى ، والراجح أنه ألفها للسلطان الناصر محمد بن قلاوون ، وأنظر كتاب فتاوى السبكى ، وكتابـه فـى كراهيـة بناء الكنائس ، لعله ألفه للسلطان الناصر محمد بن قلاوون أيضًا ، أنظر خطـط المقريـزى (ذكـر كنـائس مصر) .

- ابـن حبيـب (الدمشـقى) : بـدر الدين أبـى محمـد الحسـن بـن عمـر بـن حبيـب الدمشـقى الحلبـى الشـافعى ، ت ٧٧٩هـ / ١٣٧١م .

٢٢ - « درة الأسلاك فى دولة الأتراك » بدأ فيه من سنة ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م ، وانتهى إلى آخر سنة ٧٧٨هـ / ١٣٧٦م ، مخطوط بخط المؤلف بمكتبة أحمد الثالث باستانبول برقم ٣٠١١ ومصـور بمعهـد المخطوطـات بالقاهرة برقم ٢٣٥ تاريخ ، الجزء الثانى من نسخة أخرى مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٦١٧٠ ح ، الجزء الأول من نسخة ثالثة مصورة عن الآستانة بمكتبة جامعة القاهرة برقم ٢٢٩٦١ .

- ابن الحداد (الواعظ) محمد بن منصور بن جيش الواعظ المعروف بابن الحداد الموصلى ، ت بعد سنة ٦٧٣هـ / ١٢٧٤م (كحاله : معجم المؤلفين ١١: ٥١ - ٥٢) .

٢٣ - « الجوهر النفيش فى سياسة الرئيس » نسخة خزائنية بخط المؤلف كتبت سنة ٦٤٩هـ / ١٢٥٩م بمكتبة أبا صوفيا باستانبول برقم ١/٤٨٢٨ فى ٣٥ ق مصورة بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ١٨ سياسة واجتماع .

- الحلبى (أمين الدين) : عبد المحسن بن حمود بن عبد المحسن بن على التنوخى الحلبى ثم الدمشقى ، ت ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م ، صاحب ديوان الإنشاء فى عهد السلطان الكامل الأيوبى :

٢٤ - « الأنوار المقتبسة من أوار النار » مصور بدار الكتب المصرية برقم ٨٥٠٣ أدب .

٢٥ - « مفتاح الأفراح فى امتداح الراح » مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٦٠٣ أدب .

- ابن حموية (الجوينى) : الأمير فخر الدين يوسف بن أبى الحسن صدر الدين شيخ الشيوخ ، وزير السلطان الصالح نجم الدين أيوب ، ومقدم عسكره ونائب سلطنته ، ت ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م .

٢٦ - « تقويم النديم وعقبى المقيم » وهى مقامات ، مخطوطة قديمة بمكتبة الأزهر برقم ٧٢٠٦ أدب ، وبدار الكتب المصرية برقم ١٥٠١ أدب .

- الحنبلى (عز الدين) : أحمد بن إبراهيم بن نصر بن أحمد الكنانى العسقلانى الأصل ، القاهرى الصالحى الحنبلى القادرى ، أبو البركات ، ت ٨٧٦هـ / ١٤٧١م .

٢٧ - « شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب » مخطوط بالمتحف البريطانى برقم add ٧٣١١ مصور بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ٢٩٤ تاريخ وبجامعة القاهرة برقم ٢٤٠٣٠ ، ٢٤٠٣١ . وطبع أخيرًا بمكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة .

- الخالدى (بهاء الدين) : محمد بن لطف الله بن عبيد الله العمرى ، ت ٨٣٦هـ / ١٤٣٢م (مصطفى زيادة ، هامش (٣) على السلوط للمقريزى : ١: ٢٤٥) .

٢٨ - « المقصد الرفيع المنشأ الهادى لصناعة الإنشاء » ، مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس برقم ١٥٧٣ كتب سنة ٩٢٧هـ ، ومصور بدار الكتب المصرية برقم ٢٤٠٤٥ عام ، ٢١٠٣١ ز ، ومصور بمكتبة جامعة القاهرة برقم ٢٤٠٤٥ .

- الخازندار (الموصلى) : مبارك بن خليل الخازندار البدير الموصلى ، ثم الأموى ت قبل سنة ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م.

٢٩ - « أداب السياسة بالعدل » نسخة بمكتبة كوبرلى باستانبول مصورة بدار الكتب المصرية فى ٥٦٤ لوحة برقم ٤٣٠٠ أدب ، ومنه نسخة ثانية بمكتبة آيا صوفيا باستانبول برقم ٢٨٤٠ ، وثالثة بمكتبة احمد الثالث باستانبول برقم ١٤٠٢ ، كتبت سنة ٨١٥هـ / ١٤١٢م فى ٤٠١ ق ، مصورة بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم (١) تصوف وآداب شرعية .

- ابن خلف (الكاتب) : أبو الحسن على بن خلف بن على بن عبد الوهاب الكاتب ، ت ق ٥ هـ ، كان معاصرًا للخليفة الفاطمى المستنصر بالله .

٣٠ - « مواد البيان » نسخة بمكتبة فاتح باستانبول برقم ٤١٢٨ ، كتبت فى القرن السابع تقريبًا ، فى ٢٠١ ق ، مصورة بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ٨٤٢ أدب .

- خضر (الشيخ) : الشيخ خضر بن أبى بكر بن أحمد « من رجال الربع الثانى من القرن السابع الهجرى » .

٣١ - « كتاب الوظائف المعزية » فى السياسة الشرعية ، والمناقب المعزية فى إصلاح الراعى والرعية ، ألفه للملك المعز أيبك التركمانى (تولى سنة ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م وتوفى سنة ٦٥٥هـ / ١٢٥٠م) ، مخطوط قديم بدار الكتب المصرية برقم ٤٧٥ الخزانة التركية .

- ابن دقماق (صارم الدين) : إبراهيم بن محمد إبن إيدمر بن دقماق القاهرى الحنفى ، ت ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م .

٣٢ - « الجوهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين » ، ألفه بإشارة السلطان الظاهر برقوق . مخطوط بالخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية برقم ١٤٩٢ ومنه نسخة أخرى بدار الكتب أيضًا برقم ١٥٨٧ تاريخ ومنه عدة نسخ أخرى مصورة عن مكتبات تركيا بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ٢٠٨ تاريخ و ٦٤٣ تاريخ . طبع أخيرًا بالقاهرة .

- الدوادار (المنصورى) : ركن الدين بيبرس المنصورى الدوادار المصرى ، ت ٧٢٥هـ / ١٣٢٥م . (ابن حجر : الدرر ، ١: ٥٠٩ - ٥١٠) .

٣٣ - « زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة » وهو تاريخ كبير مرتب على السنين ، فى ١١ مجلدًا استعان فيه بكاتبه ابن كبر النصرانى ، وانتهى فيه إلى سنة ٧٢٤هـ منه الأجزاء ٤ ، ٥ ، ٦ ، ١٠ مصورة فى مكاتب المتحف البريطانى بلندن ، ومكتبة أكسفورد بانجلترا ، والمكتبة الأهلية بباريس ، ومعهد المخطوطات بالقاهرة ، برقم ٢٧٦ تاريخ وبمكتبة جامعة القاهرة برقم ٢٤٠٢٦ ، ٢٤٠٢٧ ، ٢٤٠٢٨ وهناك مختصر لهذا الكتاب بعنوان « مختصر الأخبار » ، مخطوط بمكتبة الأمبروزيانا بإيطاليا ومصور بمعهد المخطوطات برقم ١٢٠٢ .

٣٤ - « التحفة الملوكية فى الدولة التركية » ذيل به على كتابه « زبدة الفكرة » الذى انتهى فيه إلى بدء الدولة التركية بعد انقراض الدولة الأيوبية . وبدأ فى هذا الذيل بذكر الدولة المعزية (عز الدين أيبك التركمانى) إلى انتهاء دولة الملك المنصور قلاوون . مخطوط ق ٩ هـ ، بمكتبة فينا ، فى ١٥٠ ق ، ومصور بمكتبة جامعة القاهرة برقم ٢٤٠٢٩ وبمعهد المخطوطات برقم ٦١٤ تاريخ . طبع أخيرًا بالقاهرة .

- ابن أبى الدم (الحموى) : إبراهيم بن عبد الله بن عبد المؤمن ، شهاب الدين الشافعى ، ت ٦٤٣هـ / ١٢٤٤م .

٣٥ - « التاريخ المظفرى » بدأه من الهجرة إلى سنة ٦٤٢هـ ، مخطوط بمكتبة البلدية بالإسكندرية برقم ١٢٩٢ ب ومصور بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ٦٠٤ تاريخ . ومنه نسخة أخرى بمكتبة خدابخش بتنه بالهند رقم ٢٨٦٨ ومصور بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ٩٦٦ تاريخ .

- ابن الديباجى (موفق الدين) : أبو على الحسن بن أبى المكارم أحمد بن الحسين ، المنعوت بالموفق ابن الديباجى الكاتب ، ت ٦١٧هـ / ١٢٢٠م . صاحب ديوان الإنشاء فى عهد السلطان الكامل الأيوبى (المنذرى : التكملة ج ٥ ، ص ٢٤) .

٣٦ - « من ترسل القاضى الفاضل » الجزء الأول منه مخطوط بخط جامعه الديباجى ، بمكتبة بشير أغا أيوب باستانبول برقم ١٢٦ فى ١٥٢ ق ، وهو مصور بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ٨٠٨ أدب .

- ابن الزبير (القاضى الرشيد) : أحمد بن على بن إبراهيم بن محمد بن الحسين بن محمد المصرى الغسانى ، ويعرف بالرشيد الأسوانى ، ت ٥٦٣هـ / ١١٦٧م من مشاهير كتاب الإنشاء فى نهاية العصر الفاطمى .

٣٧ – « المقامة اليحصبية وشرحها » في المفاخرة والمفاضلة بين الفنون وأربابها ، مخطوط في ١٠٧ ق بدار الكتب المصرية برقم ١٣٤٦٩ ز ، ومنها نسخة بمكتبة بلدية الإسكندرية .

٣٨ – « أمنية الألمعي ومنية المدعي » ، مخطوط بمكتبة الجامع الأزهر بالقاهرة برقم ٢٢٨٥١ أدب .

– ابن الرفعة المصري : أحمد بن محمد بن الرفعة المصري الشافعي ، نجم الدين ، محتسب القاهرة ، ت ٧١٠هـ / ١٣١٠م . (ابن حجر : الدرر ، ١: ٢٨٤ – ٢٨٧) .

٣٩ – « بذل النصائح الشرعية فيما على السلطان وولاة الأمور وسائر الرعية ، مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس برقم ٢٤٥١ وبمكتبة غوطا برقم ١٢١٩ .

– الرماح (نجم الدين) حسن الأحْدَبّ الرماح ، كان موجودًا في القرن السابع (بروكلمن ، ملحق ١: ٩٠٥) .

٤٠ – « الفروسية والمناصب الحربية » أخذ مادته عن أبيه وأجداده الأستاذين في هذه الصناعة ، وعمن صحبهم ، كما جاء بصفحة العنوان ، نسخة خزائنية لعلها كتبت في القرن الـ ٩ هـ ، في ٢٢٠ ق بمكتبة الحرم المكي الشريف برقم ٥٠ تاريخ ومصورة بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ٣٨ معارف عامة .

– ابن الساعاتي (بهاء الدين) : علي بن رستم بن هرذور ، أبو الحسن ، الشاعر الشهير ، ت ٦٠٤هـ / ١٢٠٧م.

٤١ – « مقطعات النيل » وهو ديوان شعر ، غير ديوانه المشهور المطبوع في مجلدين ، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٥٢٨ أدب .

– سبط ابن الجوزي (أبو المظفر) : يوسف بن قزاوغلي بن عبد الله البغدادي ، ثم الدمشقي شمس الدين ، ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م .

٤٢ – « كنز الملوك في كيفية السلوك » مخطوط بمكتبة ميخائيل عواد بالعراق .

– السخاوي (شمس الدين) : محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر ابن عثمان بن محمد السخاوي الأصل القاهري الشافعي ، ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٧م . (السخاوي : الضوء ، ٨: ٢ – ٣٢) .

٤٣ – « عمدة الناس في مناقب سيدنا العباس » ألفه للخليفة العباسي بمصر المتوكل على الله كما ذكر في مقدمة الكتاب . وفرغ من تأليفه سنة ٨٩١هـ / ١٤٨٦م . نسخة كتبت سنة ٨٩١هـ ، في ١٤٢ ق بدار الكتب المصرية برقم ١٥٦٩ تاريخ .

٤٤ – « كتاب استجلاب ارتقاء الغرف ، بحب أقرباء الرسول وذوي الشرف » ، فرغ من تصنيفه سنة ٨٧٧هـ / ١٤٧٢م . منذ نسخة مصورة بدار الكتب المصرية برقم ٨٠٤٩ ولعلها مصورة عن النسخة التي ذكرها بروكلمن بمكتبة ليبزج بألمانيا برقم ٦٤٨ .

٤٥ – « الدرة المضية في المآثر الأشرفية » وهي سيرة للسلطان الأشرف قايتباي ، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٦١ تاريخ ورقم ٨٥٥٤ ح وبالمكتبة الأهلية بباريس برقم ١٦١٥,٣٠ وهذه النسخ الثلاث منسوبة للسخاوي . وثمة نسخة أخرى من الكتاب منسوبة للسيوطي بمكتبة الجامع الأزهر برقم ٣٨٥ أباظة والصواب نسبتها للسخاوي .

٤٦ – « رجحان الكفة في أخبار أهل الصفة » وهي رسالة هامة جدًا في دراسة نشأة التصوف في الإسلام . نسخة وحيدة في ٣٢ ق بمكتبة الجمعية الأسيوية بالهند برقم ٣٢١ ومصورة بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ١٠٦٣ .

- ابن سعيد (المغربى) : على بن موسى بن عبد الملك بن سعيد العنسى ، الأندلسى الغرناطى المغربى ، أبو الحسن، ت ٦٧٣هـ / ١٢٧٤م .

٤٧ - « المغرب فى حلى المغرب » الجزء الثانى وعنوانه « السروض المهضوب فى حلى دولة بنى أيوب » والجزء الثالث وعنوانه « كتاب الاغتباط فى حلى مدينة الفسطاط » ، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٢٧١٢ تاريخ .

٤٨ - « المشرق فى حلى أهل المشرق » مخطوط بالخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية برقم ٢٥٣٢ ، ومصور بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ٤٧٧ تاريخ .

- السلامى (أبو عبد الله) : محمد بن إبراهيم السلامى البيرى الأصل الحلبى الشافعى ت ٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م . (السخاوى : الضوء ، ٦ : ٢٧٥ - ٢٧٦) .

٤٩ - « طاعة السلطان وإغاثة اللهفان » مخطوط بمكتبة بغداد كشك برقم ٩٣ ، عن نسخة كتبت برسم الملك الأشرف قايتباى سنة ٨٨٠هـ / ١٤٧٥م ، وهى مصورة بمعهد المخطوطات بالقاهرة ، برقم ٣٨ سياسة واجتماع .

- السلفى (أبو الطاهر) : أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن سلفة السلفى الأصفهانى ، ت ٥٧٦هـ / ١١٨٠م .

٥٠ - « معجم السَفَر » مخطوط بمكتبة البلدية بالإسكندرية ومصورة فى ٢٤٤ لوحة بدار الكتب المصرية برقم ٣٩٣٢ تاريخ ، وطبع أخيرًا .

٥١ - « كتاب المشيخة البغدادية » مخطوط بمكتبة الأسكور يال بأسبانيا برقم ١٧٨٣ ومصور بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ٤٧٩ تاريخ .

- السنامى (ابن عوض) : عمر بن محمد بن عوض السنامى ، ت . بين سنة ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩م وسنة ٩١٢هـ / ١٥٠٦م . (كوركيس عواد : مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ، ج - ص ٤٣٣ - ٤٣٨) .

٥٢ - « نصاب الاحتساب » نسخة بالمكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية برقم ١٨٩، اجتماع تيمور . ونسخة أخرى بدار الكتب أيضًا (فهرس الكتبخانة الخديوية ٣: ١٤٣) . وطبع أخيرًا بالرياض .

- السيوطى (جلال الدين) : عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد بن أبى بكر بن عثمان بن محمد بن خضر ابن أيوب بن محمد بن همام الدين الخضيرى الأصل ، الطولونى ، المصرى الشافعى ، أبو الفضل ، ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م .

٥٣ - « الرتبة المنيفة فى فضل السلطنة الشريفة » . مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٢٦٥ مجاميع ومصور بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ٢٣ سياسة واجتماع . ومنه نسخة خطية أخرى بمكتبة الزيتونة بتونس .

- ابن شاكر (الكتبى) : محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن الكتبى ، الدارانى الأصل ، الدمشقى الشافعى ، صلاح الدين ، ت ٧٦٤هـ / ١٦٨٧م .

٥٤ - « عيون التواريخ » وهو تاريخ ضخم على السنين من صدر الإسلام إلى سنة ٧٦٠هـ / ١٣٥٨م ، منه أجزاء من نسخة بخط المصنف بالخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية برقم ١٣٧١ تاريخ ومنه أجزاء أخرى من نسخة ملوكية كتبت للخزانة العالية المولوية الناصرية ق ٨ هـ ، فيها من سنة ٦٨٨هـ / ١٢٨٩م إلى سنة ٧١٠هـ / ١٣١٠م، بدار الكتب المصرية أيضًا برقم ١٤٩٧ تاريخ . ومنه أجزاء أخرى بالمكتبة الظاهرية بدمشق ومكتبات استانبول ومصورة بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ٣٤٥ تاريخ .

– ابن شاذان : أحمد بن جعفر بن شاذان ، ت. قبل سنة ٦٢١هـ / ١٢٢٥م .

٥٥ – « آداب الوزارة » انتهى من تأليفه سنة ٦٢١هـ / ١٢٢٤م . نسخة كتبت سنة ٧٠٨هـ / ١٣٠٨م في ١٢٧ ق بمكتبة ليدن بهولندا برقم ٧٠١٧ (١) .

– ابن شاهنشاه (الأيوبي) : الملك المنصور أبي المعالي محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب صاحب حماه ، ت ٦١٧هـ / ١٢٠٢م .

٥٦ – « أخبار الملوك » ، ونزهة المالك والمملوك في طبقات الشعراء المتقدمين من الجاهلية والمخضرمين والإسلاميين والمحدثين وذكر مختصر من أخبارهم ومختار أشعارهم ومن تلاهم من الشعراء إلى هذا الزمان والأوان . أملاه مؤلفه سنة ٦٠٢هـ / ١٢٠٥م . نسخة خزائنية كتبت سنة ٦٠٢هـ ، عن نسخة من إملاء مصنف الكتاب في مجالس أخرها يوم الأربعاء ٢٣ ربيع آخر ، سنة ٦٠٢ في دار المزة من قلعة حماة . مخطوط بمكتبة ليدن بهولندا برقم ٦٣٩ ومصور بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ٨٧٥ تاريخ .

– ابن شداد (بهاء الدين) : يوسف بن رافع بن تميم ، أبو المحاسن الحلبي ، ت ٦٣٢هـ / ١٢٣٩م .

٥٧ – « ملجأ الحكام عند اختلاف الأحكام » مخطوط بدار الكتب المصرية في ١٧٠ ق برقم ٤٦ فقه شافعي م .

٥٨ – « فضائل الجهاد » ألفه وأهداه للسلطان صلاح الدين الأيوبي ، مخطوط بمكتبة كوبرلي باستانبول برقم ٧٦٤ .

– ابن الشعار (الموصلي) : المبارك بن أبي بكر بن حمدان الموصلي ، كمال الدين أبو البركات ، ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م .

٥٩ – « عقود الجمان في شعراء هذا الزمان » (أجزاء من ١ – ١٠) مخطوطة بمكتبة أسعد أفندي باستانبول ينقص منها جزءان الثاني والثامن ، وهي مصورة بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ٣٣٩ تاريخ و ٣٣٢٣ – ٢٣٣٠ تاريخ .

– الشيرازي (المكي) : علي بن أحمد بن محمد الشيرازي ، ثم المكي الشافعي ت ٨٦١هـ / ١٤٥٦م . (السخاوي : الضوء ، ٥: ١٨٩) .

٦٠ – « تحفة الملوك والسلاطين في الخلافة والسلطنة والوزارة » ألفه للسلطان جقمق سنة ٨٤٣هـ / ١٤٣٩م مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٧٣ إجتماع تيمور .

– أبو صالح (الأرمني) : أبو المكارم جرجس بن مسعود ويعرف بالشيخ أبي صالح الأرمني ، ويدعى أبو صالح كان معاصرًا لصلاح الدين الأيوبي (سركيس : معجم المطبوعات ، ١: ٣٤٧ ، لويس شيخو : المخطوطات العربية لكتبة النصرانية ص ٢١) .

٦١ – « تاريخ أبو صالح الأرمني » عن تاريخ مصر وتوسع في ذكر أحوالها الدينية ولاسيما أديارها ، كذلك ذكر فيه أخبار الكنائس بمصر . وغيرها من البلاد الرومية وبر الشام . منه نسخة خطية بدار الكتب المصرية برقم ٤٠٢٨ تاريخ ، وكانت منه نسخة خطية كاملة أخرى بمكتبة جرجس فيلو تاؤس عوض صاحب المجلة القبطية ، والمطبوع من هذا الكتاب جزء واحد ذكر فيه أخبار من نواحي مصر وإقطاعها . طبع مع المترجمة الإنجليزية لايفتس B.L.A. Evetts مع حواشي للمستشرق بتلر ، طبع بأكسفورد . ١٩٨٤م .

- الصالحى (ابن يحيى) : عبد الصمد بن يحيى بن أحمد بن يحيى الصالحى ت بعد سنة ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م . (بروكلمن ، ملحق ٣: ١٦٦) .

٦٢ - « هدية العبد القاصر للسلطان الملك الناصر » ألفه للسلطان الملك الناصر أبو السعادات (٩٠١هـ / ١٤٩٥م - ٩٠٤هـ / ١٤٩٨م) . مخطو بخط المؤلف سنة ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م . بمكتبة كوبرلى برقم ٢٩٥ مصور بدار الكتب المصرية برقم ٢٦٠٢ تاريخ بالخزانة الزكية ومنه نسخة أخرى مصورة عن مكتبة كوبنهاجن كتبت سنة ٩٧٣هـ / ١٥٦٥م ، مصورة بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ١٣٠٠ تاريخ .

- ابن الطحان (المصرى) : يحيى بن على بن محمد بن إبراهيم الحضرمى ، المصرى ، أبو القاسم . ت. ٤١٦هـ / ١٠٢٥م . (الزركلى : الاعلام ٩: ١٩٦ ، يوسف العش : مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ، ١٦: ٣٢٦ - ٣٢٩) .

٦٣ - « تاريخ علماء أهل مصر » مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق برقم ١١٦ تاريخ ، ضمن مجموعة خطية من ق ٢٤٠ - ٢٥٩ .

- الطرسوسى : مرضى بن على بن مرضى الطرسوسى (معاصر للسلطان صلاح الدين الأيوبى) .

٦٤ - « كتاب التذكر فى كيفية النجاة فى الفروسية فى أمور السلطنة » ، أو « تبصرة أرباب الألباب فى كيفية النجاة فى الحروب من الأسواء ونشر أعلام الاعلام ، فى العدد والآلات المعينة على لقاء الأعداء » ألفه لمولانا وسيدنا الملك الناصر ، جامع كلمة الإيمان قامع عبدة الصلبان ، صلاح الدين والدنيا .. أبا المظفر يوسف بن أيوب .. ، منه نسخة مخطوطة سنة ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م ، فى ١٧١ ق بمكتبة آياصوفيا باستانبول برقم ٣٨٤٨ . ومصورة بمعهد المخطوطات برقم ١٠ فنون حربية وفروسية . ومنه نسخة بمكتبة المتحف الحربى بالقاهرة ، ونشر كلود كاهين جزء منه فى B.E.O. .

- الطرسوسى (نجم الدين) : إبراهيم بن على بن أحمد الطرسوسى الحنفى ت ٧٥٨هـ / ١٣٥٦م . (ابن حجر : الدرر ، ١: ٤٣) .

٦٥ - « تحفة الترك فيما يجب أن يعمل فى الملك » مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس برقم ٢٤٤٥ ، وبمكتبة برلين برقم ٥٦١٤ ، ومكتبة آياصوفيا باستانبول برقم ٢٨٥٤ . وبمكتبة جامعة القاهرة فى ٢٩ ق برقم ١٩٤٧٤ .

- ابن طلحة (النصيبى) محمد بن طلحة القرشى النصيبى ، كما الدين ، الوزير الأيوبى بالشام ، ت ٦٥٢هـ / ١٢٥٤م .

٦٦ - « نفائس العناصر لمجالس الملك الناصر » ، ألفه للملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز الأيوبى ، صاحب حلب . منه نسخة خطية بالمتحف البريطانى برقم ١٥٣٠ ، ومنه نسخة خطية أخرى ضمن مجموعة خطية بمكتبة برلين برقم ٨٧٧٩,٩٠ ، وبرقم ٥٦٤٤ (١١) .

- ابن طولون (الصالحى) : محمد بن على بن محمد الشهير بابن طولون الدمشقى الصالحى الحنفى ، شمس الدين أبو عبد الله ، ت ٩٥٣هـ / ١٥٤٦م .

٦٧ - « العقود الدررية فى الأمراء المصرية » وهو مختصر يشتمل على دولة الأتراك وسلاطينهم بمصر . نسخة بخط المؤلف سنة ٩٤٢هـ / ١٥٣٥م فى ٧ ورقات ، مكتبة بلدية الإسكندرية رقم ٢٢٠٨ تاريخ .

- ابن ظافر (الأزدى) : على بن ظافر بن الحسين الأزدى ، المصرى ، المالكى ، جمال الدين أبو الحسن ، ت ٦١٣هـ / ١٢١٦م .

٦٨ - « الدول المنقطعة » الموجود منه جزء ناقص من أوله . ويبتدىء من أثناء أخبار الدولة الحمدانية ، ثم أخبار الدولة الزيدية بالجبال ، وأخبار الدولة الطولونية ، وأخبار الدولة الفاطمية بأفريقية ومصر والشام واليمن ، والصنهاجية بأفريقية والأندلس ، وفى أخبار الدولة العباسية . نسخة بخط قديم بدار الكتب المصرية برقم ٨٩٠ تاريخ مصورة عن المتحف البريطانى ، ومصورة أيضًا بمعهد المخطوطات برقم ٩٦٤ تاريخ . وطبع منه جزء بالمعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة .

٦٩ - « أساس السياسة » مخطوط بمكتبة برلين برقم ٥٦٤٤ (٨) ضمن مجموعة .

- ابن العديم (الحنفى) : عمر بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد الحلبى الحنفى ، ويعرف بابن العديم . ق ٩ هـ / ١٥ م . (السخاوى : الضوء ٦: ٩٣ - ٩٤) .

٧٠ - « سوق الفاضل فى مناقب القاضى الفاضل » جمع فيه ما ذكر فى الكتب عن القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى ، ت ٥٩٦هـ / ١١٩٩م وزير صلاح الدين ، وذكر من عاصره من الأدباء ومن أخذ عنه أو نحى نحوه . نسخة بخط المؤلف فى ٢٠٠ ق بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم ٤١٠ تاريخ ومصوره بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ١٠٩٩ تاريخ .

- ابن العديم (الحلبى) : عمر بن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أبى جرادة صاحب على بن أبى طالب، العقيلى ، الحلبى الحنفى ، كمال الدين أبو القاسم ، ت ٦٦٠هـ / ١٢٦٢م .

٧١ - « بغية الطلب فى تاريخ حلب » هو تراجم لأهل حلب ومن دخلها ، رتبه على حروف المعجم ، منه نسخة بخط المؤلف بمكتبة أحمد الثالث باستانبول برقم ٢٩٢٥ ومصورة بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ٩٠ تاريخ . وطبع أخيرًا .

- ابن أبى عذيبة (المقدسى) : أحمد بن محمد بن عمر ، شهاب الدين الشافعى ت ٨٥٦هـ / ١٤٥٢م . (السخاوى : الضوء ، ٢: ١٦٣ - ١٦٣ ، العزاوى التعريف بالمؤرخين ، ٢٣٦ - ٢٣٨) .

٧٢ - « إنسان العيون فى مشاهير سادس القروس » منه نسخة بخط المؤلف بخزانة قرا جلبى باستانبول ، ومنه نسخة بالمكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية . نسخة مصورة بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ١٤١٠ تاريخ عن مخطوطة جامعة بغداد رقم ٢٤٨ فى ١٩٥ ق . وقد اهتم الكتاب بصفة خاصة بأخبار الملك الناصر داود ابن الملك العادل عيسى بن محمد بن أيوب .

- العز (ابن عبد السلام) : عبد العزيز بن عبد السلام بن أبى القاسم بن الحسن المهذب السلمى الدمشقى الشافعى ، عز الدين أبو محمد . ت ٦٦٠هـ / ١٢٦٢م .

٧٣ - « ملحة الاقتصاد فى الاعتقاد » مخطوط فى ٧ ق بدار الكتب المصرية برقم ٦٥١ علم كلام .

- ابن العميد (الشيخ المكين) : جرجس بن العميد بن إلياس ، ت ٦٧١ هـ / ١٢٧٢م .

٧٤ - « تاريخ ابن العميد » مخطوط فى ١٣٦ ق بدار الكتب المصرية برقم ٥٠١ تاريخ ومنه نسخة أخرى مصورة عن مخطوط بالمتحف القبطى بالقاهرة فى ١٣٥ لوحة بدار الكتب المصرية برقم ٣٧٤٠ تاريخ ونشر جزء منه كلود كاهين فى B.E.O. .

- ابن عساكر (الحافظ) : على بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الدمشقى الشافعى ، أبو القاسم ثقة الدين ، ت ٥٧١هـ / ١١٧٦م .

٧٥ - « تاريخ مدينة دمشق » يشتمل على ذكر من حلها أو اجتاز بها ، رتبه على حروف المعجم . منه نسخة كاملة بالمكتبة الظاهرية بدمشق ، وأجزاء فى دار الكتب المصرية برقم ٤/٩٢ تاريخ وبمكتبة الجامع الأزهر الشريف برقم ٧١٤ ع ومنه نسخة ملفقة من أجزاء مخطوطة باستانبول مصورة بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ١٢٥ تاريخ . وطبع أخيرًا .

- ابن عطية (الحموى) : علوان بن عطية الحموى ، ت ٩٣٦هـ / ٢٥٢٩م . (الغزى : الكواكب السائرة ، ٢: ٢٠٦ - ٢١٣) .

٧٦ - « كتاب النصائح المهمة للملوك والأئمة » مخطوط بمكتبة خالص أفندى باستانبول .

- العماد (الكاتب) : محمد بن محمد بن حامد بن محمد بن عبد الله بن هبة الله المعروف بالعماد الكاتب الأصبهانى ويعرف بابن أخى العزيز ، عماد الدين أبو عبد الله . ت ٥٩٧هـ / ١٢٠١م .

٧٧ - « البرق الشامى » منه ثلاث قطع مخطوطة استخدمنا ثلاثتها فى دراستنا ، وهى المجلد الثالث ، مخطوط البودليانة برقم Bruce II ، والمجلد الخامس مخطوط البودليانة برقم Marsh 452 وقطعة مخطوطة بمكتبة ليدن بهولندا برقم ١٥٩٢ .

- العمرى (شهاب الدين) : أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشى ، العدوى العمرى ، الدمشقى الشافعى ، أبو العباس ، ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م . (ابن حجر : الدرر ، ١: ٣٣١ - ٣٣٣) .

٧٨ - « مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار » نسخة مصورة بدار الكتب المصرية برقم ٥٥٩ معارف عامة عن إحدى النسخ المحفوظة بمكتبات استانبول ، ورجعنا بصفة خاصة للجزئين الأول والثانى .

- العينى (بدر الدين) : محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن يوسف ، أبو محمد ، ت ٨٥٥هـ / ١٤٥١م .

٧٩ - « عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان » ١٩ جزء ، منه نسخة بخط المؤلف بمكتبة أحمد الثالث باستانبول برقم ٢٩١١ ومصور بمعهد المخطوطات برقم ٣٣٤ تاريخ وبرقم ٧٣٨ تاريخ . وطبع منه أجزاء أخيرًا .

- الغزى (الشافعى) : عبد الله بن محمد الغزى الشافعى ، ت ق ٩ هـ / ١٥م (السخاوى: الضوء، ٥: ٨٥) .

٨٠ - « الأدلة القطعية فى عقود الولايات والسياسة الشرعية » مخطوط بمكتبة كوجك أفندى باستانبول .

- الغيطى (نجم الدين) : محمد بن أحمد بن على بن أبى بكر السكندرى ، ثم المصرى ، الغيطى الشافعى أبو المواهب ، ت ٩٨١هـ / ١٥٧٣م .

٨١ - « التأييدات العلية للأوقاف المصرية » رسالة فى ٩ ورقات بدار الكتب المصرية برقم ١١٦٢ فقه شافعى ، ومنها نسخة أخرى برقم ٦٦٥ فقه تيمور .

- أبو الفدا (الملك المؤيد) : إسماعيل بن على بن أيوب ، الملك المؤيد ، صاحب حماه ، ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م .

٨٢ - « التبر المسبوك فى تواريخ أكابر الملوك » رسالة فى ١٩ ق بدار الكتب المصرية ، برقم ٥٤٧ الخزانة الزكية .

- ابن الفرات (المصرى) : محمد بن عبد الرحيم بن على بن الحسن بن محمد بن عبد العزيز بن محمد الحنفى . ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م .

٨٣ - « تاريخ الدول والملوك » بدأه من سنة ٥٠١هـ / ١١٠٧م ووصل فيه إلى سنة ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م مصور بدار الكتب المصرية برقم ٣١٩٧ تاريخ عن مخطوطه فينا ، ومصور أيضًا بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ١١٤ تاريخ ومنه نسخة أخرى بدار الكتب المصرية برقم ٢١١٠ تاريخ . وطبع منه أجزاء أخيرًا .

- ابن أبى الفوارس (الخزرجى) : محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبى الفوارس عبد العزيز الأنصارى (الخزرجى) ق ٧ هـ / ١٣ م .

٨٤ - « تاريخ دولة الأكراد والأتراك » مصور بدار الكتب المصرية برقم ٢٢٨٨١ فى مجلدين ١٠٠ ، ٩٩ لوحة ، عن النسخة المخطوطة بمكتبة حكيم أوغلو على بالاستانة برقم ٦٩٥ . وهو مصور أيضًا بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة برقم ٨٩٤ تاريخ .

- قدامه (ابن جعفر) : قدامه بن جعفر بن قدامة ، ابو الفرج ، ت ٣٣٧هـ / ٩٤٨م .

٨٥ - « كتاب الخراج » مصور بدار الكتب المصرية برقم ١٩٧١ فقه حنفى عن المكتبة الأهلية بباريس . وطبع كاملاً اخيرًا .

- القفطى (ابن الحاج) : شيث بن إبراهيم بن محمد بن حيدرة العبادى ، ضياء الدين أبو الحسن ، ت ٥٩٨هـ / ١٢٠٢م . (القفطى : انباه الرواه ، ٣ : ٧٣ - ٧٤) .

٨٦ - « تهذيب ذهن الواعى فى إصلاح الرعية والراعى » ألفه للسلطان صلاح الدين الأيوبى . مخطوط ضمن مجموعة خطية بمكتبة برلين برقم ٥٦٤٤ ، ٧٣ .

- القفطى (جمال الدين) : على بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الواحد الشيبانى القفطى ، ويعرف بالقاضى الأكرم ، أبو الحسن ، وزير أيوبى ، ت ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م .

٨٧ - « أساس السياسة » ، مخطوط بمكتبة خالص باستانبول .

- الكافيجى (محى الدين) : محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الرومى ، أبو عبد الله ، ت ٨٧٩هـ / ١٤٧٤م . (السخاوى : الضوء ، ١١: ١٩٦) .

٨٨ - « سيف الملوك والحكام » مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٢٤٢٦٣ ب .

- ابن كنان (الخلوتى) : محمد بن زين التقاه عيسى بن محمود بن محمد بن كنان الحنبلى الصالحى الدمشقى ، ت ١١٥٣هـ / ١٧٤٠م (المرادى : سلك الدرر ٤: ٨٥ - ٨٦) .

٨٩ - « حدائق الياسمين فى ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين » مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٦٨٨٩ أدب ، ومصور بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ١٩ ، سياسة واجتماع .

- مجهول : (معاصر للسلطان صلاح الدين الأيوبى ، ق ٦ هـ / ١٢ م .

٩٠ - « المقامة الصلاحية فى الخيل والبيطرة والفروسية » ألفها للسلطان صلاح الدين الأيوبى . مخطوطة فى ١٥ ق بدار الكتب المصرية برقم ٨١ فروسية تيمور .

- مجهول : (معاصر للسلطان العزيز عثمان الأيوبى) ق ٦ هـ / ١٢ م .

٩١ - « كتاب محاسن الملوك » ألفه للملك العزيز عثمان بن صلاح الدين ، ت ٥٩١هـ / ١١٩٤م مخطوط بمكتبة طوبقبو سراى باستانبول كتب سنة ٧٩٥هـ / ١٣٩٢م برقم ٢٦٣ - ٣٠٥٢ ، ومصور بالفوتستات بدار الكتب المصرية برقم ٢٢٩٨ أدب ، فى ١٣١ لوحة .

- مجهول : (معاصر للملك الصالح اسماعيل الأيوبى ، والسلطان الصالح نجم الدين أيوب) ق ٧ هـ / ١٣م .

٩٢ - « كتاب التحقيق فى شراء الرقيق » ، ألفه للملك الصالح إسماعيل ابن الملك العادل أبو بكر بن أيوب . مخطوط بالخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية برقم ٤٨ فضائل ، فى ٢٥٠ ق ومصور بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ٩٤ تصوف وأداب شرعية .

- مجهول (معاصر للوزير الفاطمى الصالح طلائع بن رزيك) ق ٦هـ / ١٢م .

٩٣ - « كتاب تنبية الملوك والمكائد » ، ألفه للوزير الفاطمى الملك الصالح طلائع بن رزيك . نسخة كتبت سنة ٦٤٠هـ / ١٢٤٢م محفوظة بمكتبة كوبرلى باستانبول برقم ١٠٦٥ ، فى ٤٤٠ق ومصورة بدار الكتب المصرية برقم ٢٣٥٤ أدب وبمعهد المخطوطات برقم ١٦ سياسة واجتماع .

- مجهول : (عاش فى العصر المماليكى) ق ٨ - ٩ هـ / ١٤م تقريبًا .

٩٤ - « نزهة المناظر وراحة الخاطر » ، مختصر الدر المطلوب فى تاريخ بنى أيوب مخطوط بمكتبة فينا برقم ٣٢٥ .

- مجهول :

٩٥ - « مجموعة رسائل القاضى الفاضل » مخطوطة بالمكتبة الأهلية بباريس برقم ٦٠٢٤ ، وبمكتبة دهده روشيد برقم ٢٨٧ ، وبمكتبة برلين برقم ٨٦٢١ ، وبمكتبة مدرسة أويس بالموصل .

- مجهول :

٩٦ - « الرسائل الحجازية » وهى تحتوى على مكاتبات القاضى الفاضل . مخطوطة بمكتبة الفاتيكان بأسبانيا برقم ٩٤٦ .

- مجهول :

٩٧ - « مكاتبات القاضى الفاضل » مخطوط بالمتحف البريطانى برقم ٢٥٧٥٧ .

- مجهول :

٩٨ - « مراسلات فاضلى » مخطوط بالمتحف البريطانى برقم ٧٤٦٥ .

- مجهول :

٩٩ - « الرسائل الأدبية للقاضى الفاضل » مخطوطة بمكتبة الجامع الأزهر رقم ٤٣ أباظة ، ٧٠٣٥ أدب .

- مجهول : معاصر لدول المماليك بمصر والشام ، ق ٩ هـ / ١٥م . (بروكلمن ٢: ٢٧٢ ، الملحق ٢: ٢٩٤ ، حاجى خليفة : كشف الظنون ٣: ١٥٢٣) .

١٠٠ - « كوكب الترك وموكب الملك » مخطوط بمكتبة غوطا برقم ١٨٨٥ وبمكتبة شهيد على باستانبول برقم ٢٧٠٩,٥ ، وبمكتبة كمبردج برقم ٩٥٤ .

- مجهول : معاصر للملك الأشرف ق ٩ هـ / ١٥م .

١٠١ - « سياسة الملوك » ألفه برسم الملك الأشرف . مخطوط بمكتبة خالص باستانبول .

- مجهول : معاصر للملك الأشرف قايتباى ، ق ٩ هـ / ١٥م .

١٠٢ - « تحفة الملوك وعمدة المملوك » ألفه برسم الملك الأشرف قايتباى . مخطوط بمكتبة أياصوفيا باستانبول .

- مجهول : معاصر للسلطان قانصوه الغورى ، ق ١٠هـ / ١٦م .

١٠٣ - « السلوك فى تدبير الملوك » مخطوط بمكتبة أيا صوفيا برقم ١٨٥٤ فى ١١٢ ق ومصورة بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ٣٥ سياسة واجتماع .

- مجهول :

١٠٤ - « اللؤلؤ المنثور لنصيحة ولاة الأمور » مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٣٥ اجتماع تيمور .

- مجهول :

١٠٥ - « حدائق السلوك فى سياسة الملوك » مخطوط بمكتبة فاتح باستانبول برقم ٣٥٠٢ ،.مصور بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ٣٩ سياسة .

- مجهول : عاش فى العصر المماليكى ق ٨ - ١٠هـ / ١٤ - ١٥م .

١٠٦ - « شرح اللمعة » كتاب فى تاريخ مصر أيام الفاطميين والأيوبيين والمماليك ، آخره بتاريخ سنة ٩٢٠هـ / ١٥١٤م . مصور بالفوتستات بمكتبة جامعة القاهرة برقم ٢٤٠٢٢ عن مخطوطة بمكتبة الأسكوريال بأسبانيا .

- مجهول : كان موجودًا سنة ٦٣٢هـ / ١٢٣٤م .

١٠٧ - « أخبار الصالحين والزهاد والعارفين والعباد » فى تراجم الصوفية ، رتبه على حروف المعجم ، مبتدأ بالمحمدين . مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٢٧٧٤ عام . وذكر المؤلف فى ق ٩٥ و ق ١٠٢ إن الذى ألبسه خرقة التصوف هو أبو عبد الله عمر بن ميمون السهرودى ، ت ٦٣٢هـ .

- المحبى (لعلها المحلى) المصرى : حسين بن محمد (لعله الحسين بن محمد المحلى المصرى الشافعى) ، فقيه فرضى رياضى ، ت ١١٧٠هـ / ١٧٥٧م) .

١٠٨ - « عدة السالك فى سياسة الممالك » مخطوط بمكتبة خالص باستانبول .

- ابن المحق (الموصلى) : أبو عبد الله محمد بن أبى بكر المبارك ابن الرضوان المعروف بابن المحق الموصلى .

١٠٩ - « النصح فى الدين ومآرب القاصدين فى مواعظ الملوك والسلاطين » مخطوط بمكتبة أحمد الثالث باستانبول برقم ٦٢٠٢ ومصور بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ٥٥ سياسة واجتماع .

- المخزومى (أبو الحسن) : على بن أبى عمر عثمان بن يوسف بن إبراهيم بن أحمد بن يعقوب القرشى المخزومى الشافعى ، القاضى الأجل السعيد ولد بالقاهرة سنة ٥١٢هـ / ١١١٨م وتوفى بها سنة ٥٨٥هـ / ١١٨٩م . (المنذرى : التكملة لوفيات النقلة ، ١: ١٨٩) .

١١٠ - « كتاب المنهاج فى صناعة خراج مصر »، مخطوطة بمكتبة المتحف البريطانى بلندن برقم ٢٣٤٨٣ .

- ابن مرتفع (المقرى) : محمد بن مرتفع بن جبريل المقرى . كان حيًا سنة ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م .

١١١ - « سبل الرشاد فى فضائل الجهاد » نسخة بخط المؤلف كتبت سنة ٦٤٧هـ مخطوطة بجامعة استانبول برقم ١٣٩٦ ومصورة بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ٢٥٢ تصوف وآداب شرعية .

- ابن المظفر (الرازى) : أحمد بن محمد بن المظفر بن المختار الرازى الحنفى ت ٦٣١هـ / ١٣٣٤م . (كحالة : معجم المؤلفين ، ٢: ١٥٨) .

١١٢ - « ذخيرة الملوك فى علم السلوك » نسخة كتبت فى سنة ٧٣٧هـ / ١٣٣٦م ، وقوبلت على نسخة المؤلف ، فى ١٣ ق بمكتبة لاله لى باستانبول برقم ٣٣٧٩/ ٢ ومصورة بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ١٥٩ تصوف وآداب شرعية .

- ابن أبى المفاخر (مجد الدين) : محمد بن أبى المفاخر داود الملك الناصر صاحب الكرك ق ٧ هـ / ١٣م .

١١٣ - « الفوائد الجلية فى الفرائد الناصرية » وهو مجموع رسائل وشعر السلطان الملك الناصر صلاح الدين بن أبى المفاخر داود ابن السلطان المظفر عيسى بن نجم الدين أيوب ، ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م . محفوظ بدار الكتب المصرية برقم ٢٢٩٣ أدب ، وهى مصورة عن استانبول فى ٢٩١ ق .

- المقريزى (تقى الدين) : أحمد بن على بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم ابن عبد الصمد المحيوى الحسينى العبيدى البعلى الأصل المصرى المولد والدار والوفاة ، ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م .

١١٤ - « المقفى » كتاب فى تراجم ملوك وعلماء ومشاهير مصر الإسلامية والواردين عليها منذ الفتح العربى وحتى عصر المؤلف ، مرتب على حروف المعجم . منه أربع مجلدات بدار الكتب المصرية برقم ٥٣٧٢ تاريخ . والجزء الأول منه مخطوط بالمكتبة السليمية باستانبول برقم ٤٩٦ ومصور بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ٥١٠ تاريخ . ومنه مجلد آخر من مسودة المؤلف بمكتبة ليدن برقم ١٣٦٦ مصور بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ١٢٤٦ تاريخ .

١١٥ - « المقاصد السنية لمعرفة الأجسام المعدنية » مصور بجامعة القاهرة برقم ٢٦٢٤٧ / ٩ ، عن المكتبة الوليدية بالآستانة .

١١٦ - « رسالة فى الموازين الشرعية » مخطوط بدار الكتب المصرية .

- ابن مماتى (الأسعد) : أسعد بن المهذب بن مينا بن ذكريا بن مماتى ، أبو المكارم ، ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٩ م .

١١٧ - « مختصر من متبلج الأنوار ومتعرج النوار » ، فى المكاتبة إلى الملوك والوزراء والعلماء ، مما جمعه ابن مماتى ، من قول القاضى الفاضل . مخطوط ضمن مجموعة خطية بمكتبة الفاتيكان بإيطاليا برقم ١٠٩٩,٧ .

- المناوى (زين الدين) : عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن على بن زين العابدين الحدادى المناوى القاهرى الشافعى ، ت ١٠٣١هـ / ١٦٢١م . (المحبى : خلاصة الأثر ، ٢ : ٤١٢ - ٤١٦) .

١١٨ - « الكواكب الدرية فى تراجم السادة الصوفية » وتعرف بطبقات المناوى الكبرى ، رتبها على أحد عشر طبقة ، وجعل كل طبقة مائة سنة ، ورتب كل طبقة على حروف المعجم ، مصور بمعهد المخطوطات برقم ٧٦٧ تاريخ .

- ابن منجب (الصيرفى) : على بن منجب بن سليمان المصرى ، أبو القاسم متولى ديوان الإنشاء الفاطمى بمصر ، ت ٥٤٢هـ / ١١٤٧م . (ياقوت : معجم الأدباء ، ١٥ : ٧٩ - ٨١) .

١١٩ - « الأفضليات » وهي خمس رسائل مؤلفة إلى الوزير الأفضل بن بدر الجمالى ، كالآتى « رسالة فى العفو » ، ق ١ - ١٢ ، « درر المظالم » ، ق ٢١ - ٥٦ ، « لمع الملح » ، ق ٥٦ - ١٢٣ ، « مناهج القرائح » ق ١٢٣ - ١٦٠ « مناجاة شهر رمضان » ، ق ١٦٠ - ١١٦ ، « عقائل الفضائل» ق ١٦٦ - ٢١٣ ، « التدلى على التسلى » ، ق ٢٦٣ - ٢٦٢ ق بمكتبة فاتح باستانبول برقم ٥٤١٠ ومصورة بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ٣٩ تصوف وأداب شرعية .

- المنجنيقى (نجم الدين) : يعقوب بن صابر بن بركات ، أبو يوسف ، ت ٦٢٢هـ / ١٢٤٨م (ابن الفوطى : الحوادث الجامعة ، ص ٨ - ١١ ، ابن خلكان : وفيات ٢: ٣٣٧) .

١٢٠ - « عمدة السالك في سياسة الممالك » ، يتضمن أحوال الحروب والفروسية وحيلهما ، وفتح الثغور وبناء المعامل وهندستها . ألفه - أغلب الظن - للخليفة العباسى الناصر لدين الله . مخطوط بمكتبة برلين برقم ٥٦٤٤ (٩) ضمن مجموعة خطية .

- النابلسى (علاء الدين) : عثمان بن إبراهيم بن خالد بن محمد بن المسلم القرشى ، النابلسى المحتد المصرى الدار والوفاة والمولد الشافعى الكاتب الأديب . ولد سنة ٥٨٨هـ / ١١٩٢م بالقاهرة وتوفى بها سنة ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م . (اليونينى : ذيل مرآة الزمان ، ١: ٥٠٤ - ٥٠٥) .

١٢١ - « كتاب تجريد سيف الهمة لاستخرام ما فى ذمة أهل الذمة » مخطوط بمكتبة الزيتونة بتونس برقم ١٦٤٥ أنظر ١٧,٧٤,١٩٢٢ ومنه نسخة خطية أخرى بمكتبة آياصوفيا باستانبول .

- ابن نباته (المصرى) : محمد بن محمد بن الحسن الجذامى الفارقى الأصل المصى أبو الفضائل ، أبو الفتح ، أبو بكر ، ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م . (ابن حجر : الدرر ، ٤: ٢١٦ - ٢٢٤) .

١٢٢ - « المختار الفاضل من كلام القاضى الفاضل » ، مخطوط بالمتحف البريطانى برقم ٧٣٠٧ ، وهو مصور بدار الكتب المصرية برقم ٣٨٨٢ أدب ، وبمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ٧٥٠ أدب .

١٢٣ - «المختار من إنشاء القاضى الفاضل» مخطوط بمكتبة الجامع الأزهر رقم ٤٦٩ أباظة ، ٧٠٦٥ أدب .

١٢٤ - « المختار من كتاب تدبير الدول » نسخة كتبت ق ٨هـ ، فى ٨٤ ق ، بمكتبة أسعد أفندى باستانبول برقم ١٨٢٢ .

- ابن نجم (المصرى) : إبراهيم بن محمد ، زين الدين ، الحنفى ، ت ٩٧٠هـ / ١٥٢٦م (ابن العماد : شذرات الذهب ، ٨: ٣٥٨) .

١٢٥ - « رسالة فى أحكام السياسة الشرعية » مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ١١٦٠ .

١٢٦ - «رسالة التحفة المرضية فى الأراضى المصرية» مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٤٧٩ ، ٣٣ مجاميع.

١٢٧ - «رسالة فى بيان الإقطاعات ومحلها ومن يستحقها» ، مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ٣٣ مجاميع .

- النويرى (شهاب الدين) : أحمد بن عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الوهاب بن عبادة البكرى النويرى الشافعى ، أبو العباس ، ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٣م .

١٢٨ - « نهاية الأرب فى فنون الأدب » الجزء ٢٧ ، مصور بالفوتستات بدار الكتب المصرية برقم ٥٤٩ معارف عامة .

- الهروى (أبو الحسن) : على بن أبى بكر بن على الهروى الموصلى نزيل حلب الرحالة الشهير ، ت ٦١١هـ / ١٢١٥م .

١٢٩ - « التذكرة الهروية فى الحيل الحربية » وهى فى السياسة الشرعية وتدبير الملك والحيل الحربية ، مخطوط بمكتبة عاطف أفندى باستانبول برقم ٢٠١٨ ، ومصورة بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ١٧ فروسية . وحقق أخيرًا بدمشق .

- ابن أبى الهيجاء (؟) معاصر للسلطان صلاح الدين الأيوبى ق ٦هـ / ١٢م .

١٣٠ - « تاريخ ابن أبى الهيجاء » بدأ منذ صدر الإسلام وانتهى بحروب صلاح الدين . مخطوط بالمكتبة الأحمدية بتونس برقم ٤٩١٥ ومصور بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ٩٤٦ .

- ابن واصل (الحموى) : محمد بن سالم بن نصر الله بن سالم بن واصل المازنى التميمى الحموى الشافعى ، جمال الدين ، أبو عبد الله ، ت ٦٩٧هـ / ١٢٩٨م .

١٣١ - « التاريخ الصالحى » مخطوط بمكتبة فاتح باستانبول برقم ٤٢٢٤ ومصور بالتصوير الشمسى بمكتبة كلية الأداب جامعة الإسكندرية برقم ٢٣١١ .

- ابن وصيف شاه (المصرى) : إبراهيم بن وصيف شاه المصرى ، ت ٥٩٩هـ / ١٢٠٣م (كحالة : معجم المؤلفين ، ١: ١٢٠) .

١٣٢ - « تاريخ أخبار الديار المصرية » وما فى ذلك من جواهر البحور ووقائع الأمور وعجائب الدهور ، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٥٧ تاريخ .

- اليافعى (المصرى) : الحسن بن إبراهيم بن محمد اليافعى (؟) من علماء القرن التاسع الهجرى / ١٣م كان معاصرًا للسلطان قلاوون .

١٣٣ - « جامع التواريخ المصرية فى ذكر الملوك والخلفاء والسلاطين الإسلامية » ألفه للسلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفى الصالحى . ابتداء بحوادث سنة ٥٢١هـ / ١١٢٧م ، وانتهى فيه إلى سنة ٦٧٨هـ / ١٢٧٩م ، فى سلطنة المنصور المذكور ، ورتب هذا التاريخ على الحوادث والوفيات . مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس برقم ١٥٤٣ ومصور بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية برقم ١٠١٦ تاريخ .

- يوساب (أسقف فوه) : الأنبا يوساب أسقف فوه ، كان معاصرًا للدولة الأيوبية ق ٦ هـ / ١٢م . كما أفاد أكثر من مرة أثناء كتابه (سير بطاركة كرسى الإسكندرية) .

١٣٤ - « سير بطاركة كرسى الإسكندرية » مخطوط بمكتبة المتحف القبطى بالقاهرة برقم ٥٣٢٨ . ومنه نسخة خطية أخرى قديمة بدير السريان بوادى النطرون .

ثانيًا : المصادر العربية المطبوعة[1] :

- ابن الأثير (عز الدين) : على بن محمد ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م .

---

(١) ثمة بعض مصادر ، لم تؤلف فى العصر الأيوبى ، وقد رجعنا إليها قليلاً لتحقيق الأسماء والأعلام ولم نذكرها فى هذه القائمة لكثرة تداولها .

١ -الكامل فى التاريخ ، ١٣ جزءًا ، طبع دار صادر ، بيروت ، سنة ١٩٦٥م .
٢ - الباهر فى تاريخ الدولة الأتابكية ، تحقيق عبد القادر طليمات ، القاهرة ١٣٨٢هـ / ١٩٦٣م .
- ابن الأثير (ضياء الدين) : نصر الله بن محمد ت ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م .
٣ - رسائل ضياء الدين بن الأثير ، تحقيق أنيس المقدسى ، بيروت ١٩٥٩م .
٤ - الوشى المرقوم فى حل المنظوم ، مطبعة ثمرات الفنون ، سنة ١٢٨٩هـ .
٥ - المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر ، طبع المطبعة البهية بالقاهرة سنة
- الأدفوى (ت ٧٤٨هـ) :
٦ - الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد ، تحقيق سعد محمد حسن ، القاهرة ، ١٩٦٦م ، الهيئة العامة للكتاب ، سلسلة تراثنا .
- ابن الأزرق (الأندلسى) أبو عبد الله بن الأزرق ق ١٠هـ / ١٦م .
٧ - بدائع السلك فى طبائع الملك ، تحقيق على سامى النشار ،
- الإسحاقى (المنوفى) : محمد بن عبد المعطى ت ١٠٩٠هـ / ١٦٥٠م .
٨ - لطائف أخبار الأول ، فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول ، طبع مصر .
- الأسفراينى (أبو المظفر) : شهبور بن طاهر ت ٤٧١هـ / ١٠٧٨م .
٩ - التبصير فى الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ، تحقيق محمد زاهد الكوثرى ، طبع القاهرة ، ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م .
- الإسكافى (الخطيب) محمد بن عبد الله ت ٤٢١هـ .
١٠ - لطف التدبير فى تدبير الرئاسة ، تحقيق أحمد عبد الباقى ، نشر مكتبة المثنى ببغداد ومكتبة الخانجى بالقاهرة ، ١٩٦٤م .
- الأشعرى (أبو الحسن) : على بن إسماعيل ت ٣٣٠هـ / ٩٤٢م .
١١ - الإبانة فى أصول الديانة ، طبع بدائرة المعارف العثمانية بالهند ، ١٣٠٤هـ ، ضمن مجموعة رسائل بعنوان ، الرسائل السبعة فى العقائد ، رقم ٤ فى المجموعة .
١٢ - مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، تحقيق هلموت ريتر ، طبع فى مجموعة النشريات الإسلامية لجمعية المستشرقين الألمانية ١٣٨٢هـ / ١٩٦٣م .
-الأهوازى (المصرى) : على بن بلبان الفارسى المصرى الحنفى ، أبو الحسن (٦٧٥هـ ٧٣٩هـ) (ابن حجر : الدرر الكامنة ٣: ٣٣ ؛ القرشي : الجواهر المضية ص ٣٥٤)
١٣ - التبر المنسبك فى تدبير الملك ، ويشتمل على تهذيب الرياسة وترتيب السياسة ، طبع بمطبعة التمدن بمصر ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م ، وطبع حديثًا بعنوان التحفة الملوكية فى الآداب السياسية ، منسوبًا لأبى الحسن الماوردى ، بتحقيق فؤاد عبد المنعم ، القاهرة ١٩٧٧م .
- الأنصارى : عمر بن إبراهيم (ق ٨ - ٩هـ / ١٤ - ١٥م) .
١٤ - « تفريج الكروب فى تدبير الحروب » ، ألفه فى عهد السلطان ، فرج بن برقوق (٨٠١هـ - ٨١٤هـ) تحقيق جورج سكانلوت ، منشورات الجامعة الأمريكية بالقاهرة ١٩٦١م .

- ابن إياس (التركماني المصرى) محمد بن أحمد بن إياس الحنفى التركمانى ، ولد ٨٥٢هـ ، وبدأ تأليف كتابه بدائع الزهور سنة ٩٠١ هـ .
١٥ - « بدائع الزهور فى وقائع الدهور » تاريخ حولى من سنة ٨٥٧هـ إلى سنة ٩٢١هـ (ج ١ - ٤) ، تحقيق محمد مصطفى ، القاهرة ١٩٥١م - ١٩٦٠م .
- ابن أيبك (الدوادار) أبو بكر بن عبد الله ت بعد سنة ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م .
١٦ - « الدر المطلوب فى تاريخ بنى أيوب » ، تحقيق سعيد عاشور ، القاهرة ١٣٩١هـ / ١٩٧٢م .
- الباقلانى (أبو بكر) : محمد بن الطيب ٤٠٣هـ / ١٠١٣م .
١٧ - « التمهيد فى الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة » ، تحقيق محمود محمد الخضيرى، ومحمد عبد الهادى أبو ريدة ، القاهرة ١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م ، ونشر مرة أخرى ببيروت ١٩٥٧م ، بتحقيق يوسف مكارثى اليسوعى .
١٨ - «الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به» ، تحقيق محمد زاهد الكوثرى ، القاهرة ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م .
- بامخرمه (العدنى) : الطيب بن عبد الله ت ٩٤٧هـ / ١٥٤٠م .
١٩ - « تاريخ ثغر عدن (ج ١ - ٣) » ، تحقيق أوسكر لوفجرين ، ليدن ١٩٣٦م .
- البدليسى : شرف خان ، (عاش فى العصر العثمانى ق ١٠ هـ - ١٤هـ / ١٦ - ٢٠م) .
٢٠ - « الشرفنامة الكردية ، ألفه بالفارسية » ، ترجمه إلى العربية محمد على عونى ، راجعه وقدم له يحيى الخشاب ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البلبابى الحلبى د. ت .
- ابن بسام (التنيسى) : محمد بن أحمد المحتسب (أواخرق ٦هـ / ٧ م) .
٢١ - « كتاب أنيس الجيس فى أخبار تنيس » ، حققه جمال الدين الشيال ، مجلة المجمع العلمى العراقى ، ج ١٤ ، ١٩٦٧ ، ص ١٥١ - ١٨٩ .
- ابن بعره (الذهبى) : منصور بن بعره الذهبى الكاملى ق ٦ هـ / ١٢ م .
٢٢ - « كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية » ، طبع بالمجلس الإسلامى الأعلى بالقاهرة ١٩٦٧م، بتحقيق عبد الرحمن فهمى .
- البغدادى (أبو منصور) : عبد القاهر بن طاهر ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م .
٢٣ - « الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم » ، تحقيق محمد زاهد الكوثرى، طبع القاهرة ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م .
٢٤ - كتاب « أصول الدين » طبع استانبول ١٣٤٦هـ / ١٩٢٨م .
- البغدادى (موفق الدين) : عبد اللطيف بن يوسف ت ٦٢٩هـ م ١٢٣١م .
٢٥ - كتاب « الإفادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر » ، طبع بمصر ، د. ت. بمطبعة المجلة الجديدة لصاحبها سلامة موسى .
-البندارى (الأصفهانى) الفتح بن على ت ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م .
٢٦ - « تاريخ دولة آل سلجوق » ، طبع بمطبعة الموسوعات بمصر ، ١٩٠٠م .

٢٧ - « سنى البرق الشامى » (٥٦٢هـ / ١١٦٦م - ٥٨٣هـ / ١١٨٧م) ، تحقيق فتحية النبراوى ، القاهرة ١٩٧٩م .
- بنيامين التطيلى (الرحالة اليهودى الأندلسى) ق ٦هـ / ١٢م .
٢٨ - «رحلة بنيامين التطيلى» ، ترجمها إلى العربية عزرًا حداد ، تصدير عباس العزاوى ، بغداد ، ١٩٤٥م .
- البهاء زهير (المصرى) : زهير بن محمد ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م .
٢٩ - « ديوان البهاء زهير » ، طبع مصر ١٢٩٧هـ ، وطبع ببيروت ١٩٦٤م .
- البوصيرى (شرف الدين) : محمد بن سعيد ت ٦٨٦هـ / ١٢٩٦م .
٣٠ - « ديوان البوصيرى » ، تحقيق محمد سيد كيلانى ، طبع مصر ، ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م .
- ابن البيطار (ضياء الدين) عبد الله بن أحمد المالقى ت ٦٤٦هـ / ١٩٤٨م .
٣١ - « الجامع لمفردات الأدوية والأغذية » ، (ج ١ - ٤) طبع ببولاق ١٢٩١ هـ فى مجلدين .
- ابن التعاويذى (سبط) : محمد بن عبيد الله ، ت ٥٨٣هـ / ١١٨٧م .
٣٢ - « ديوان سبط ابن التعاويذى » ، تحقيق مرجليوث ، مطبعة المقتطف بمصر ، ١٩٠٣م .
- ابن تغرى بردى (أبو المحاسن) : يوسف بن تغرى بردى بن عبد الله الظاهرى ت ٨٧٤هـ / ١٤٧٠م .
٣٣ - « النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة » ، تحقيق محمد رمزى وآخرون ، طبع دار الكتب المصرية، ابتداء من سنة ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م ، ج ١ - ١٦ ، وبصفة خاصة (ج ٦) .
- التوحيدى (أبو حيان) : على بن محمد ، كان حيًا سنة ٣٨٠هـ / ٩٩٠م .
٣٤ - « رسالة فى علم الكتابة » ، تحقيق إبراهيم الكيلانى ، ضمن مجموعة رسائل طبعت بعنوان : « ثلاث رسائل لأبى حيان التوحيدى » ، مطبوعات المعهد العلمى الفرنسى بدمشق ، ١٩٥١م .
٣٥ - « مثالث الوزيرين » ، أخلاق الصاحب بن عباد وابن العميد ، تحقيق إبراهيم الكيلانى ، دمشق ١٩٦١م .
٣٦ - « أخلاق الوزيرين » ، مثالث الوزيرين الصاحب بن عباد وابن العميد ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجى ، مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق ١٩٦٥م .
- التيفاشى (القفصى) : أحمد بن يوسف ت ٦٥١هـ / ١٢٥٣م .
٣٧ - « أزهار الأفكار فى جواهر الأحجار » ، طبع القاهرة سنة ١٩٧٧م ، ضمن مطبوعات الهيئة المصرية العامة للكتاب ، تحقيق محمد يوسف حسن ومحمد بسيونى خفاجى .
- ابن تيمية (تقى الدين) : أحمد بن عبد الحليم ت ٧٢٨هـ / ١٣٢٨م .
٣٨ - السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية ، تحقيق على سامى النشار ، وأحمد زكى عطية ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٥١م .
٣٩ - « الحسبة فى الإسلام أو وظيفة الحكومة الإسلامية » ، القاهرة ، المطبعة المؤيدية ، ١٣١٨هـ .
- الثعالبى (أبو منصور) : عبد الملك بن إسماعيل النيسابورى ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٨م .
٤٠ - « كتاب تحفة الوزراء » ، تحقيق ريجينا هاينكه ، بيروت ١٩٧٥م .

- الجاحظ (عمرو بن بحر البغدادى المعتزلى) ق ٣ هـ .
٤١ - « رسالة فى فضل الترك » ، تحقيق عبد السلام هارون ، نشر مكتبة الخانجى ، فى مجموعة رسائل الجاحظ ، القاهرة ١٩٦٥م .
- ابن جبير (الأندلسى) : محمد بن أحمد الكنانى البلنسى الشاطبى ت ٦١٤هـ / ١٢١٧م .
٤٢ - « رحلة ابن جبير » ، دار صادر ، بيروت ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م .
- الجهشيارى (أبو عبد الله) : محمد بن عبدوس الكوفى ت ٣٣١هـ / ٩٤٣م .
٤٣ - كتاب « الوزراء والكتاب » ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م .
٤٤ - « نصوص ضائعة من كتاب الوزراء والكتاب » ، جمعها ميخائيل عواد ، دار الكتاب اللبنانى ، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م .
- الجواليقى (أبو منصور) : موهوب بن أحمد ت ٥٤٠هـ / ١١٤٥م .
٤٥ - « المعرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم » ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، القاهرة مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٦١هـ .
٤٦ - « شرح أدب الكاتب » ، نشر مع مقدمة وتصدير لمصطفى صادق الرافعى ، مكتبة القدسى ، ١٣٥٠هـ .
- (جوانفيل) مؤرخ لاتينى صليبى ت ق ٦هـ / ١٢م .
٤٧ - « مذكرات جوانفيل ، القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام » ، ترجمة وتحقيق حسن حبشى، الطبعة الأولى ، دار المعارف بمصر ١٩٦٨م .
- ابن الجوزى (أبو الفرج) : عبد الرحمن بن على ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م .
٤٨ - « المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم » ، نشر منه الأجزاء من (٥ - ١٠) بمطبعة دائرة المعارف العثمانية بالهند ١٣٥٧هـ .
-الجوينى (إمام الحرمين) : عبد الملك بن عبد الله ت ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م .
٤٩ - « غياث الأمم فى التياث الظلم » ، الفه للوزير نظام الملك السلجوقى ، تحقيق فؤاد عبد المنعم ومصطفى حلمى ، القاهرة ١٩٧٩م .
٥٠ - « العقيدة النظامية » ألفها للوزير نظام الملك السلجوقى ، تحقيق محمد زاهد الكوثرى ، طبع بمطبعة الأنوار بمصر ، ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م .
٥١ - « لمع الأدلة فى قواعد عقائد أهل السنة والجماعة » تحقيق فوقية حسين ، طبع القاهرة ١٣٥٨هـ / ١٩٦٥م .
٥٢ - « كتاب الإرشاد فى أصول الدين » ، تحقيق أحمد فؤاد الأهوانى ، طبع دار المعارف بمصر .
- ابن الجيعان (شرف الدين) يحى بن شاكر ، ت ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م .
٥٣ - « التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية » ، نشر مورتز ، القاهرة ، ١٨٩٨م .

- ابن حاتم (الرازى) اليمنى (ق ٦ / ١٢م) .
٥٤ - العقد الغالى الثمن فى أخبار ملوك الغز باليمن ، تحقيق ج ، ركس سمث .
- ابن الحبال (المصرى) : الحافظ إبراهيم بن سعيد (أبو إسحاق) ت ٤٨٢هـ ١٠٨٩م .
٥٥ - « وفيات المصريين » تحقيق صلاح الدين المنجد ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد الثانى ، الجزء الثالث ، نوفمبر ١٩٥٦م ، ص ٢٨٦ - ٣٣٨ .
- ابن حجر (العسقلانى) : أحمد بن على الكنانى المصرى ، ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٩م .
٥٦ - « رفع الأصر عن قضاة مصر » ، (ج ١ - ٢) تحقيق حامد عبد المجيد وآخرون ، المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩٥٧م .
- ابن حسول (أبو العلاء) : الوزير السلجوقى (ق ٥هـ / ١١م) .
٥٧ - « كتاب تفضيل الأتراك علـى سائر الأجناد » ، ومناقب الحضرة العالية السلطانية ، تحقيق عباس العزاوى ، مطبعة المعارف باستانبول ١٩٤٠م .
- الحلبى (شهاب الدين): محمود بن سليمان الحنفى ، أبو الثناء ، صاحب ديوان الإنشاء بدمشق ، ت ٧٢٥هـ / ١٣٢٤م .
٥٨ - « كتاب حسن التوسل إلى صناعة الترسل » ، طبع بمطبعة هندية بدرب الجنينة ، بغيط النوبى بمصر ، ١٣١٥هـ .
- الحموى (ابن حجة) : على بن عبد الله ، ت ٨٣٧هـ / ١٤٣٤م .
٥٩ - « كتاب ثمرات الأوراق » ، طبع بمطبعة المعاهد بالجمالية ، ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م ، على هامش كتاب (المستطرف من كل فن مستظرف للأبشيهى) .
- الحموى (أبو الفضائل) محمد بن علىّ بن نظيف ت . بعد سنة ٦١٣هـ / ١٢٣٣م .
٦٠ - « التاريخ المنصورى » ، تلخيص الكشف والبيان فى حوادث الزمان ، تحقيق أبو العيددودو ، مراجعة عدنان درويش ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
- الخفاجى (الشهاب) : أحمد بن محمد بن عمر المصرى ت ١٠٦٩هـ / ١٦٥٩م .
٦١ - « شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل » ، طبع بمصر .
- ابن خلدون (الأشبيلى) : عبد الرحمن بن محمد الحضرمى ت ٨٠٨هـ /١٤٠٦م .
٦٢ - « المقدمة » ، طبع بالمطبعة الأدبية ببيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٠٠م .
- ابن خلكان (الأربلى) : أحمد بن محمد ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م .
٦٣ - « وفيات الأعيان » ، تحقيق إحسان عباس ، (ج ١ - ٨) ، طبع ببيروت ١٩٦٨م ، كما رجعنا أحيانًا لطبعة بولاق القديمة فى مجلدين .
- ابن دحية (الكلبى) : عمر بن الحسن الأندلسى ، ت ٦٣٣هـ / ١٢٣٥م .
٦٤ - « النبراس فى تاريخ خلفاء بنى العباس » ، تحقيق عباس العزاوى ، بغداد ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م .
- ابن درباس (ضياء الدين) : عمر بن عيسى بن درباس الهذبانى المارانى المصرى ، قاضى قضاة مصر فى عهد صلاح الدين الأيوبى ت ٦٠٢هـ / ١٢٠٦م .

٦٥ – « رسالة فى الذب عن العقيدة الأشعرية » ، ألفها للسلطان صلاح الدين الأيوبى ، طبعت ضمن مجموعة الرسائل السبع فى العقائد ، الهند سنة ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م .

– ابن دُقماق (صارم الدين) : إبراهيم بن محمد بن أيدمر بن دقماق القاهرى ، مؤرخ الديار المصرية فى وقته (٧٥٠هـ – ٨٠٩هـ) .

٦٦ – « الإنتصار لواسطة عقد الأمصار » ، جزآن منه ، (الرابع والخامس) ، طبعا ببولاق ، ١٣٠٩هـ ١٣١٤هـ .

– ابن أبى الدم (الحموى) : إبراهيم بن عبد الله بن عبد المنعم ، ت : ٦٤٢هـ / ١٢٤٤م .

٦٧ – « كتاب أدب القضاء ، أو الدرر المنظومات فى الأقضية والحكومات »، تحقيق محمد مصطفى الزحيلى، دمشق ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .

– الدمشقى (أبو الفضل) : جعفر بن على الدمشقى (ق ٦ هـ / ١٢م) .

٦٨ – « الإشارة إلى محاسن التجارة » ، طبع بمطبعة المؤيد بمصر ١٣١٨هـ ، وحققه ودرسه السيد محمد عاشور ، تحت عنوان : دراسة فى الفكر الاقتصادى العربى ، أبو الفضل جعفر بن على الدمشقى (أبو الاقتصاد) ، الطبعة الأولى ١٩٧٣م ، وطبع مرة ثالثة بالقاهرة بتحقيق البشرى الشوربجى ، ١٩٧٧م .

– الرازى (فخر الدين) : محمد بن عمر الطبرستانى ت ٦٠٦هـ / ١٢١٠م .

٦٩ – « اعتقادات فرق المسلمين والمشركين » ، تحقيق مصطفى عبد الرازق ، القاهرة ١٣٥٦هـ / ١٩٣٨م.

٧٠ – « أساس التقديس في علم الكلام » ، أهداه للملك العادل الأول ، سيف الدين أبو بكر بن أيوب ، طبع بمصر ١٩٥٤هـ / ١٩٣٥م .

–ابن الراهب (القبطى) : بطرس بن أبى الكرم ابن المهذب ، المعروف بابن الراهب القبطى ت ٦٦٩هـ / ١٢٧٠م .

٧١ – « كتاب تاريخ ابن الراهب » ، حققه لويس شيخو اليسوعى ، بيروت ١٩٠٣م .

–الراوندى (أبو بكر) محمد بن سليمان ت : بعد سنة ٦٠٣هـ / ١٢٠٦م .

٧٢ – « راحة الصدور وآية السرور فى تاريخ الدولة السلجوقية » ، ترجمة عن الفارسية الشواربى وحسنين والصياد ، القاهرة ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م .

– ابن أبى الربيع (شهاب الدين) : أحمد بن محمد بن أبى الربيع (ق ٣هـ / ٩م) .

٧٣ – « سلوك المالك فى تدبير الممالك » ، ألفه للخليفة المعتصم بالله العباسى ، طبع على نفقة محى الدين صبرى الكردى ، بمطبعة كردستان العلمية بالجمالية بمصر ، سنة ١٣٢٩هـ .

–الرومى (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومى الحموى) ، المتوفى سنة ٦٢٦هـ (الزركلى : الإعلام ٩: ١٥٧) .

٧٤ – « معجم البلدان » ، طبع ليبزج ، ١٨٧٠م (ج ١ – ٦) .

٧٥ – « معجم الأدباء » ، طبعة فريد رفاعى ، ٢٠ جزءًا ، القاهرة ١٩٣٦م .

- الزركشي (أبو عبد الله) : (ق ٩هـ / ١٥م) .
٧٦ - « تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية » ، طبع بالمطبعة العتيقة بتونس ١٩٦٦م .
-الزبيدى (المرتضى) : محمد بن محمد الحسينى ت ١٢١٣هـ / ١٧٩٨م .
٧٧ - « كتاب ترويح القلوب فى ذكر ملوك بنى أيوب » ، طبع بدمشق ، بتحقيق صلاح الدين المنجد سنة ١٩٧١م .
- الساعاتى (ابن أنجب) : أحمد بن على البغدادى ت ٦٧٤هـ / ١٢٧٥م .
٧٨ - « الجامع المختصر فى عنوان التواريخ وعيون السير » ، نشر الجزء التاسع منه فى بغداد سنة ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م ، بتحقيق مصطفى جواد .
- ابن الساعاتى (الشاعر) : على بن رستم ت ٦٠٤هـ / ١٢٠٧م .
٧٩ - « ديوان ابن الساعاتى » ، تحقيق أنيس المقدسى ، المطبعة الأمريكانية بدمشق سنة ١٩٣٨م .
- سبط ابن الجوزى (أبو المظفر) : يوسف بن قزاوغلى ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م .
٨٠ - « مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان » ، نشر الجزء الثامن منه فى قسمين ، بمطبعة دائرة المعارف العثمانية بالهند ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م .
- السبكى (تاج الدين) عبد الوهاب بن على ت ٧٧١هـ / ١٣٧٠م .
٨١ - « معيد النعم ومبيد النقم » ، تحقيق محمد على النجار وآخرون ، القاهرة ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م .
- ابن أبى السرور (السروجى) : على بن عبد الله بن أبى عبد الله ت ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م .
٨٢ - « بلغة الظرفاء فى تاريخ الخلفاء » ، طبع بمطبعة النجاح بمصر ، ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م .
- ابن سمرة (الجعدى) : عمر بن على ت ٥٨٦هـ / ١١٩٠م .
٨٣ - « طبقات فقهاء اليمن » ، تحقيق فؤاد سيد ، القاهرة ، مطبعة السنة المحمدية سنة ١٩٥٧م .
-ابن سناء الملك (الشاعر) : هبة الله بن جعفر ، ت ٦٨٠هـ / ١٢٨١م .
٨٤ - « ديوان ابن سناء الملك » ، تحقيق محمد عبد الحق ، طبع بالهند سنة ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م .
- السيوطى (جلال الدين) عبد الرحمن بن أبى بكر ، ت ٩١٢هـ / ١٥٠٦م .
٨٥ - « حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة » ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، (ج ١ - ٢) طبع بمطبعة عيسى البابى الحلبى ، القاهرة .
٨٦ - « الوسائل إلى مسامرة الأوائل » ، تحقيق أسعد طلس ، بغداد ١٩٥٠م .
- ابن شاهنشاه (الأيوبى) الملك المظفر تقى الدين عمر صاحب حماه . ت ٥٨٧هـ / ١١٩١م .
٨٧ - « تاريخ حماه » ، طبعت منه منتخبات فى ذيل كتاب النوادر السلطانية لبهاء الدين ابن شداد ، بمطبعة صبيح بالأزهر ١٣٤٦هـ ، ص ٢٥٣ - ٣١١، وإن كنت أشك فى صحة نسبة هذه المنتخبات لهذا التاريخ .
- ابن شاهنشاه (الأيوبى) مؤرخ ، ابن الملك تقى الدين عمر صاحب حماه ، ت ٦١٧هـ / ١٢٢٠م .
٨٨ - « مضمار الحقائق وسر الخلائق » ، تحقيق حسن حبشى ، القاهرة ١٩٦٨م .

- أبو شامة الأصفهاني : (شهاب الدين) عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة ، المتوفى سنة ٦٦٥هـ :

٨٩ - « الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية » ، طبع قديماً في جزئين ، بمطبعة وادي النيل بالقاهرة ١٢٨٧هـ - ١٢٨٨هـ ، وطبع طبعة حديثة بتحقيق محمد حلمي محمد أحمد ، ٢/١ من الجزء الأول ، القاهرة ١٩٥٦م .

٩٠ - « ذيل الروضتين » ، طبع بعنوان : تراجم رجال القرنين السادس والسابع ، تحقيق محمد زاهد الكوثري ، القاهرة ١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م .

- ابن شاهين الظاهري : غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري المتوفى سنة ٨٧٢هـ :

٩١ - « زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك » ، تحقيق بولس راويس ، طبع باريس ١٨٩٤م .

- ابن شداد : (بهاء الدين) : يوسف بن رافع بن تميم ، ت ٦٣٢هـ / ١٢٣٤م .

٩٢ - « النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية » ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٦٤م .

- ابن شداد (عز الدين) : محمد بن إبراهيم الأنصاري ، ت ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م .

٩٣ - « الاعلاق الخطيرة في تاريخ أمراء الشام والجزيرة » ، (ج ١ - ٣) ، طبع بتحقيق دومينيك سورديل ، وسامي الدهان ، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي بدمشق ، ١٣٧٢هـ - ١٣٨٢هـ / ١٩٥٣م - ١٩٦٣م .

- ابن شكر (صفي الدين) : عبد الله بن علي الشيبي الدميري الملقب بالصاحب ، ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م .

٩٤ - « المقامة المولوية الصاحبية » ، نشرها ريشر ، أنظر :

W.Z.K.M.: Rescher, Beitr Z. Maqamenlit IV, Stambul 1913, 153-199.

- الشهرستاني (أبو الفتح) : محمد بن عبد الكريم ، ت ٥٤٨هـ / ١١٥٣م .

٩٥ - « الملل والنحل » ، طبع بالقاهرة بالمطبعة الأدبية ١٣١٧هـ على هامش كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الظاهري ، ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م .

٩٦ - « نهاية الأقدام في علم الكلام » ، تحقيق الفردجيوم ، وإعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد ، د. ت .

- الشيرازي (المؤيد في الدين) : هبة الله بن موسى ، ت ٤٧٠هـ / ١٠٧٧م .

٩٧ - « ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة » ، تحقيق محمد كامل حسين ، دار الكاتب المصري ، ١٩٤٩م.

٩٨ - « سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة » (ترجمة ذاتية) ، تحقيق محمد كامل حسين ، دار الكاتب المصري ، ١٩٤٩م .

- الشيزري (الشافعي) : عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله بن محمد ، (معاصر لصلاح الدين الأيوبي ، ت ٥٨٩هـ / ١١٩٣م) .

٩٩ - « كتاب المنهج المسلوك في سياسة الملوك » ، ألفه للسلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي ، طبع بمطبعة الظاهر بالقاهرة ١٣٢٦هـ ، على نفقة أحمد زكي أبو شادي .

١٠٠ - « كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة » ، تحقيق السيد الباز العريني ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م .

- الصابى (أبو الحسن) : الهلال بن المحسن الحرانى ت ٤٤٨هـ / ١٠٥٦م .
١٠١ - « تاريخ الوزراء » ، تحقيق عبد الستار فراج ، القاهرة ١٩٥٨م .
- أبو صالح (الأرمنى) : أبو المكارم جرجس بن مسعود ، ويعرف بالشيخ أبى صالح ت بعد سنة ٥٦٨هـ / ١١٧٢م .
١٠٢ - « كتاب الكنائس » ، نشر جزء منه ايفتس B.L.A.Evetts بأكسفورد .
- الصولى (أبو بكر) : محمد بن يحيى الشطرنجى ت ٣٣٥هـ / ٩٤٦م .
١٠٣ - « أدب الكاتب » ، تحقيق محمد بهجت الأثرى ، مراجعة محمود شكرى الألوسى ، نشر المكتبة العربية ببغداد ، والمطبعة السلفية بمصر ، القاهرة ١٣٤١هـ .
- ابن أبى أصيبعة (موفق الدين) أحمد بن القاسم ، ت ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م .
١٠٤ - « عيون الأنباء فى طبقات الأطباء » ، طبع بيروت ، ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م .
- الطرسوسى (مرضى بن مرضى) ، معاصر لصلاح الدين الأيوبى .
١٠٥ - « تبصرة ألباب الألباب » ، فى صناعة الأسلحة والحيل الحربية، ألفه وأهداه للسلطان صلاح الدين، حقق جزء منه كلود كاهين ، أنظر : B.E.O. Tome XII, 1947-1948
- الطرطوشى (أبو بكر) : محمد بن الوليد القرشى الفهرى الأندلسى ، ت ٥٢٠هـ / ١١٢٦م .
١٠٦ - « سراج الملوك » ، مطبعة بولاق ١٢٨٩هـ . وطبع بمصر ، بالمطبعة المحمودية بالأزهر ، ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م .
- ابن طلحة (النصيبى) : محمد بن طلحة القرشى ، كمال الدين الوزير الأيوبى بالشام ، ت ٦٥٢هـ / ١٢٥٤م .
١٠٧ - « كتاب العقد الفريد للملك السعيد » ، ألفه للملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز الأيوبى ، صاحب حلب ، طبع بالقاهرة ، بتحقيق عبد الهادى موسى البولاقى ١٣١٠هـ .
- ابن الطقطقى (العلوى) : محمد بن على بن طباطبا ، ت ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م .
١٠٨ - « الفخرى فى الأداب السلطانية والدول الإسلامية » ، طبع فى مدينة عز يفزولد سنة ١٨٥٨م .
- ابن ظفر (الصقلى) : محمد بن عبد الله المكى ، ت ٥٦٥هـ / ١١٧٠م .
١٠٩ - « سلوان المطاع فى عدوان الاتباع » ، مطبعة الدولة التونسية بتونس ١٢٧٩هـ .
- العباسى (ابن العباس) : الحسن بن عبد الله بن محمد بن عمر بن .. عبد الله بن العباس رضى الله عنه ت بعد سنة ٧٠٨هـ / ١٣٠٨م .
١١٠ - « آثار الأول فى ترتيب الدول » ، ألفه سنة ٧٠٨هـ / ١٣٠٨م ، للسلطان المظفر ركن الدين بيبرس الثانى ، طبع بمطبعة بولاق ، بعناية محمد قاسم ، ١٢٩٥هـ .
- ابن العبرى (أبو الفرج) : غر يغوريوس بن هارون الملطى السريانى ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م .
١١١ - « مختصر الدول » ، طبع بيروت سنة
- العتبى (أبو نصر) : محمد بن عبد الجبار ت ٤٢٧هـ / ١٠٣٥م .
١١٢ - « التاريخ اليمينى فى سيرة السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوى » ، اعتمدنا على شرح لهذا الكتاب للشيخ المنينى بعنوان « شرح اليمينى المسمى بالفتح الوهبى على تاريخ أبى نصر العتبى » ، طبع بالمطبعة الوهبية بمصر ١٢٨٦هـ .

- ابن العديم (كمال الدين) : عمر بن أحمد العقيلي الحلبي ت ٦٦٠هـ / ١٢٦٢م .
١١٣ - « زبدة الحلب في تاريخ حلب » ، تحقيق سامي الدهان (١ - ٣) مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي بدمشق ١٣٧٠هـ - ١٣٧٣هـ / ١٩٥١م - ١٩٥٤م .
- ابن عذارى (أبو عبد الله) : محمد المراكشي الأندلسي ، ت ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م .
١١٤ - « البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب » ، طبع بيروت د. ت ، عن طبعة ج . س. كولان وا . ليفي بروفنسال .
- ابن عربي (محي الدين) : محمد بن علي ، الشيخ الأكبر ، ت ٦٣٨هـ / ١٢٤٠م .
١١٥ - « ديوان محي الدين بن عربي » ، طبع بولاق ١٢٧١هـ .
- ابن عساكر (الحافظ) : علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي ت ٥٧١هـ / ١١٧٥م .
١١٦ - « تبين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري » ، تحقيق محمد زاهد الكوثري ، مطبعة التوفيق بدمشق ١٣٤٧هـ .
- العسكري (أبو هلال) : الحسن بن عبد الله بن سهل بن يحي بن مهران ت ٣٩٥هـ / ١٠٠٤م .
١١٧ - « كتاب الصناعتين » ، الكتابة والشعر ، تحقيق علي البجاوي وأبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م .
- العماد (الأصبهاني) : محمد بن محمد ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م .
١١٨ - « الفتح القسي » ، في الفتح القدسي ، تحقيق محمد محمود صبح ، القاهرة د. ت.
١١٩ - « خريدة القصر وجريدة العصر » . القسم الخاص بشعراء مصر (١ - ٢) ، تحقيق أحمد أمين وشوقي ضيف ، القاهرة ١٩٥١م . القسم الخاص بشعراء الشام ، تحقيق شكري فيصل دمشق ١٩٥٥م، ١٩٥٩م ، ١٩٦٤م . القسم الخاص بشعراء العراق (١ - ٣) تحقيق محمد بهجة الأثري ، بغداد ١٩٥٥م ، ١٩٦٤م ، ١٩٧٣م . القسم الخاص بشعراء المغرب والأندلس (١- ٣) تحقيق الجيلاني بن الحاج يحي وآخرون تونس ١٩٦٦م ، ١٩٧١م ، ١٩٧٣م .
- العمري (شهاب الدين) : أحمد بن يحي بن فضل الله القرشي الدمشقي ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م .
١٢٠ - « التعريف بالمصطلح الشريف » ، مصر ١٣١٢هـ .
١٢١ - « مسالك الأبصار في ممالك الأمصار » ، القاهرة ١٩٢٤م ، الجزء الأول ، تحقيق أحمد زكي باشا .
- ابن العميد (المكين) : جرجس بن العميد بن إلياس ، المعروف بالشيخ المكين ، ت ٦٧٢هـ / ١٢٧٣م .
١٢٢ -« تاريخ المسلمين » ، بدأه من بدء الإسلام إلى عصر الملك الظاهر بيبرس ، حقق منه كلود كاهين ، جزء صغير مبتور الأول ، تفادى فيه عصر صلاح الدين ، وبدأ النص من سنة ٦٠٢هـ / ١٢٠٥م في عهد الملك العادل الأول ونشره بعنوان « أخبار الأيوبيين » ونشرها في منشورات المجمع العلمي الفرنسي بدمشق .
- ابن عنين : محمد بن نصر الله الأنصاري الدمشقي ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م . تولى الكتابة والوزارة للملك المعظم عيسى الأيوبي بدمشق .
١٢٣ - « ديوان ابن عنين » تحقيق خليل مردم ، مطبعة دمشق ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م .

- الغزالى (حجة الإسلام) : محمد بن محمد ، أبو حامد ت ٥٠٥هـ / ١١١١م .

١٢٤ - « رسالة العقائد والوعظ » ، ألفها للسلطان ملكشاه السلجوقى ، تحقيق بدر الدين الحلبى ، ضمن مجموعة رسائل للغزالى ، ص ٦١ - ٧٩ ، بمكتبة الخانجى بمصر ، ١٣٢٥هـ - ١٩٠٧م .

١٢٥ - « التبر المسبوك فى نصيحة الملوك » ، ألفه أيضًا للسلطان ملكشاه السلجوقى بالفارسية طبع بالعربية بمصر سنة ١٣١٧هـ ، مطبعة الآداب والمؤيد .

١٢٦ - « فضائح الباطنية » ، تحقيق جولد تسيهر ، طبع ليدن ١٩١٦م ،

١٢٧ - « إحياء علوم الدين » ، طبع مرارًا بمصر عند الحلبى وغيره .

١٢٨ - « الاقتصاد فى الاعتقاد » ، طبع مصطفى الحلبى ، الطبعة الأخيرة ، د. ت.

١٢٩ - « المنقذ من الضلال » ، تحقيق عبد الحليم محمود ، طبع مصر ١٣٨٥هـ .

- ابن الفارض : عمر بن على ت ٦٣٢هـ / ١٢٣٤م .

١٣٠ - « ديوان ابن الفارض » ، طبع بالقاهرة أكثر من مرة .

- الفارقى : (ابن الأزرق : المتوفى سنة ٥٩٠هـ) .

١٣١ - « تاريخ ميافارقين » ، وهو تاريخ محلى على السنين ، سبق ابن القلانسى فى ذيل تاريخ دمشق ، وقد توفى سنة ٥٥٥هـ ، ولحقه ابن العديم فى زبدة الحلب وقد توفى ٦٩٩هـ .

- أبو الفدا : إسماعيل بن على الأيوبى ، صاحب حماة ، ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م .

١٣٢ - « المختصر فى أخبار البشر » ،طبع بالقسطنطينية ١٢٨٦هـ ، اربعة أجزاء فى مجلدين .

١٣٣ - « تقويم البلدان » ، طبع باريس ١٨٤٠م .

- ابن الفرات (المصرى) محمد بن عبد الرحيم الحنفى ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٥م .

١٣٤ - « تاريخ ابن الفرات » ، نشر قسطنطين رزيق ، بيروت ١٩٤٢م .

- ابن أبى الفضائل (القبطى) : المفضل بن أبى الفضائل القبطى المصرى ت ٧٥٩هـ / ١٣٥٨م .

١٣٥ - « النهج السديد فى ذيل تاريخ ابن العميد » ، وهو يؤرخ للعصر المماليكى ، من عهد الملك الظاهر بيبرس ت ٦٥٨هـ / ١٢٥٩م إلى عهد الناصر محمد بن قلاوون ت ٧٤١هـ / ١٣٤٠م . طبع مع ترجمة فرنسية بعناية Blochet ، أنظر : Pat: or T, XII, Fasc. 3, Paris, 1911-1913

- ابن فضلان : أحمد بن فضلان بن العباسى بن راشد بن حماد ، كان حيًا سنة ٣٠٩هـ / ٩٢١م .

١٣٦ - « رسالة فى وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة » ، تحقيق سامى الدهان ، طبع دمشق ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م .

- ابن الفوطى (كمال الدين) .

١٣٧ - « الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة » ، نشر بعناية محمد رضا الشبيبى ، بغداد ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م .

- القاضى (الفاضل) : عبد الرحيم البيسانى ، ت ٥٩٦هـ / ١١٩٩م .

١٣٨ - ديوان القاضى الفاضل ، (ج ١ - ٢) ، تحقيق أحمد أحمد بدوى ، مجموعة تراثنا ، القاهرة ١٩٦١م .

- ابن قلاقس (الإسكندرى) نصر الله بن عبد الله اللخمى ت ٥٦٧هـ / ١١٧٢م .
١٣٩ - « ديوان ابن قلاقس » ، تحقيق خليل مطران ، مطبعة الجوائب بمصر .
- القشيرى (أبو القاسم) : عبد الكريم بن هوازن النيسابورى ت ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م .
١٤٠ - « الرسالة القشيرية » ، طبعت بمصر ببولاق ١٢٨٤هـ ، ثم طبعت مرارًا .
- ابن القطان (أبو على) ق ٧هـ / ١٣م .
١٤١ - « نظم الجمان » ، تحقيق محمود على مكى ، طبع الرباط ، ضمن منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد الخامس ، د. ت.
- القفطى (جمال الدين) : على بن يوسف ت ٦٢٤هـ / ١٢٢٦م .
١٤٢ - « أنباء الرواه على أنباه النحاه » (١ - ٤) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م .
١٤٣ - « إخبار العلماء بأخبار الحكماء » ، طبع فى ليبسك ١٩٠٣م ، وبمطبعة السعادة بمصر ١٣٢٦هـ ، وقد اعتمدنا على الطبعة المصرية .
١٤٤ - « أخبار المحمدين من الشعراء » ، تحقيق حمد الجاسر ، بيروت ١٩٧٠م .
- ابن القلانسى (أبو يعلى) : حمزة بن أسد الدمشقى ، ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠م .
١٤٥ - « ذيل تاريخ دمشق » ، نشر فى بيروت بمطبعة الآباء اليسوعيين ١٩٠٨م .
- القلقشندى (أبو العباس) أحمد بن على ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م .
١٤٦ - « مآثر الإنافة فى معالم الخلافة » ، تحقيق عبد الستار فراج ، (١ - ٣) ، الكويت ١٩٦٤م .
١٤٧ - « قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان » ، تحقيق إبراهيم الإبيارى القاهرة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م .
١٤٨ - « صبح الأعشى » ، فى صناعة الإنشاء ، ١٤ جزء ، القاهرة ١٩١٣/ ١٣٣١هـ .
- ابن القيم (الجوزية) : محمد بن أبى بكر ، شمس الدين ت ٧٥١هـ / ١٣٥٠م .
١٤٩ - « الطرق الحكمية فى إصلاح الراعى والرعية » ، تحقيق محمد حامد الفقى ، القاهرة ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م .
١٥٠ - « أحكام أهل الذمة » (ج ١ - ٢) . مطبعة جامعة دمشق ، ١٩٦١م .
- ابن كثير (عماد الدين) : إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقى ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٣م .
١٥١ - « البداية والنهاية » ، وهو تاريخ حولى ضخم ، طبع بمطبعة السعادة بالقاهرة فى ١٤ مجلد .
- المالكى (البرمكى) : محمد بن هبة الله البرمكى ، الحموى الشافعى ، تاج الدين ، كان حيًا سنة ٥٧٧هـ .
١٥٢ - « حدائق الفصول وجواهر الأصول » ، وهى أرجوزة نظمها للسلطان صلاح الدين الأيوبى ، وضمنها علم الكلام على أصول الإمام أبى الحسن الأشعرى ، طبع القاهرة سنة ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م .
- الماوردى (أبو الحسن) : على بن محمد بن حبيب البصرى البغدادى ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م .
١٥٣ - « الأحكام السلطانية » ، تصحيح محمد عبد القادر ، مطبعة الوطن بمصر ١٢٩٨هـ .

١٥٤ – « أدب الوزارة » ، أو قوانين الوزارة ، نشر مكتبة الخانجى بمصر سنة

١٥٥ – « أدب الدنيا والدين » ، تحقيق مصطفى السقا ، القاهرة ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م .

– ابن المجاور (النيسابورى) : بن محمد بن مسعود بن على ، كان حيًا سنة ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م .

١٥٦ – « صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز » ، المعروف بـ « تاريخ المستبصر » ، تحقيق أوسكر لوفجرين ، ليدن ١٩٥١م .

– مجهول : (ق ٥ – ٦ هـ / ١١ – ١٢م) .

١٥٧ – « أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس » ، ترجمة حسن حبشى ، القاهرة ١٩٥٨م .

– مجهول : (ق ٦ – ٧ هـ / ١٢ – ١٣م) .

١٥٨ – « البستان الجامع » ، نشر كلود كاهين جزء منه ، فى حوليات المعهد العلمى الفرنسى بدمشق ، B.E.O. ، عدد ٧ – ٨ سنة ١٩٣٧ ص ١١٣ – ١٥٨ .

– مجهول : (كاتب مراكشى من كتاب ق ٦هـ / ١٢م) .

١٥٩ – « كتاب الاستبصار فى عجائب الأمصار » ، وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب ، وقد نسب صاحب هذه الرحلة فى رحلته أنه عاصر السلطان صلاح الدين الأيوبى والخليفة ابن عبد المؤمن الموحدى المغربى ، تحقيق سعد زغلوب عبد الحميد ، الإسكندرية ١٩٥٨م .

– مجهول :

١٦٠ – « إنشاءات القاضى الفاضل » ، تحقيق فتحية النبراوى ، القاهرة ١٩٨٠م .

– مجهول :

١٦١ – « بين أبى العلاء المعرى ، وداعى الدعاة الفاطمى » ، خمس رسائل نشرتها المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٤٩هـ .

– مجهول :

١٦٢ – « السجلات المستنصرية » ، تحقيق عبد المنعم ماجد ، القاهرة ١٩٥٤م .

– محى الدين (ابن عبد الظاهر) : على بن محمد بن عبد الله بن عبد الظاهر المصرى ت ٧١٧هـ / ١٣١٧م .

١٦٣ – « الدر النظيم من ترسل عبد الرحيم » ، تحقيق أحمد أحمد بدوى ، مكتبة نهضة مصر بالفجالة ، ١٣٧٨هـ / ١٩٥٩م .

– المراكشى (محى الدين) : عبد الواحد بن على التميمى ، المالكى ت ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م .

١٦٤ – « المعجب فى تلخيص أخبار المغرب » ، تحقيق محمد سعيد العريان ، القاهرة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م .

– المرتضى (الزبيدى) : محمد بن محمد الحسينى ، ت ١٢٠٥هـ / ١٧٩١م .

١٦٥ – « ترويح القلوب فى ذكر ملوك بنى أيوب » ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، دمشق ١٩٧١م .

– ابن مطروح (جمال الدين) : يحى بن عيسى ت ٦٢٩هـ / ١٢٣١م .

١٦٦ – ديوان ابن مطروح ، طبع بالقسطنطينية ، بعد ديوان العباس بن الأحنف ، ١٢٩٨هـ .

– المغربى (الوزير) : الحسين بن على ، أبو القاسم ت ٤١٨هـ / ١٠٢٧م .

١٦٧ - « كتاب فى السياسة » ، تحقيق سامى الدهان ، دمشق ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م .

- المغربى (ابن حيون) : النعمان بن أبى عبد الله ، التميمى ، أبو حنيفة ، القاضى ، قاضى وداعى الفاطميين ، ت ٣٦٣هـ / ٩٧٤م .

١٦٨ - « دعائم الإسلام » ، تحيق آصف فيضى ، القاهرة ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م .

- المقريزى (تقى الدين) : أحمد بن على ت ٨٤٥هـ / ١٤٤٢م .

١٦٩ - « السلوك لمعرفة دول الملوك » ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، طبع دار الكتب ١٩٣٤م ؛ وصدرت بقية أجزائه تحت إشراف سعيد عبد الفتاح عاشور ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة .

١٧٠ - « اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الفاطميين الخلفاء » ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٤٨م ؛ ثم حققه محمد حلمى محمد أحمد ، (ج ١ - ٣) ، بالقاهرة ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .

١٧١ - « كتاب الخطط المقريزية (١ - ٤) » ، طبع مطبعة النيل بمصر ١٣٢٤هـ ، ورجعنا أحيانًا لطبعة بولاق فى مجلدين .

١٧٢ - « إغاثة الأمة بكشف الغمة » ، نشر زيادة والشيال ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٥٧م .

١٧٣ - « شذور العقود فى ذكر النقود » ، نشر اوربا ١٧٩٧م .

١٧٤ - « خلاصة الذهب المسبوك فيمن حج من الخلفاء والملوك » ، تحقيق جمال الدين الشيال ، مكتبة المقريزى الصغيرة ، القاهرة ١٩٦٠م .

١٧٥ - « البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب » ، نشرة وستفلد ، جوتنجن ، ١٨٤٧ وتشر بالقاهرة بتحقيق عبد المجيد عابدين .

- المالكى (البرمكى) : محمد بن هبة الله البرمكى ، الحموى الشافعى ، تاج الدين ، كان حيًا ٥٧٧هـ / ١١٨١م .

١٧٦ - « حدائق الفصول وجواهر الأصول » ، وهى أرجوزة نظمها للسلطان صلاح الدين الأيوبى ، وضمنها علم الكلام على أصول الإمام أبى الحسن الأشعرى ، طبع القاهرة ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م .

- ابن مماتى (الأسعد) : أسعد بن المهذب بن مينا بن زكريا ، أبو المكارم ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م .

١٧٧ - « قوانين الدواوين » ، تحقيق عزيز سوريال عطية ، طبع الجمعية الزراعية المصرية ، مصر، ١٩٤٣م.

١٧٨ - « الفاشوشى فى حكم قراقوش » ، تحقيق ودراسة عبد اللطيف حمزة ، القاهرة ١٩٤٥ ، بعنوان « حكم قراقوش » . والطبعة الثانية ١٩٥٥م .

- ابن منجب (الصيرفى) : على بن منجب بن سليمان ، الشهير يابن الصيرفى ت ٥٤٢هـ / ١١٤٧م .

١٧٩ - « قانون ديوان الرسائل » ، تحقيق على بهجت ، مطبعة المواعظ بمصر ١٩٠٥م .

١٨٠ - « الإشارة إلى من نال الوزارة » ، تحقيق عبد الله مخلص ، مطبعة المعهد العلمى الفرنسى ، القاهرة ١٩٢٣م .

- المنذرى (الحافظ) : عبد العظيم بن عبد القوى ، أبو محمد ، زكى الدين ، ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م .

١٨١ - « كتاب التكملة لوفيات النقلة (١ - ٥) » ، تحقيق بشار معروف ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م .

– ابن منقذ (الشيزرى) : أسامة بن مرشد بن منقذ الكنانى الكلبى ، ت ٥٨٤هـ / ١١٨٨م .
١٨٢ – « ديوان أسامة بن منقذ » ، تحقيق أحمد أحمد بدوى ، القاهرة ١٩٥٣م .
١٨٣ – « كتاب الاعتبار » ، أو سيرة أسامة ، تحقيق فيليب حتى .
– النابلسى (علاء الدين) : عثمان بن إبراهيم بن خالد القرشى النابلسى المصرى الشافعى ت ٦٦٠هـ / ١٢٦١م .
١٨٤ – « كتاب لمع القوانين المضية فى دواوين الديار المصرية » ، نشرة كلود كاهين فى حوليات المعهد الفرنسى للدراسات الشرقية بدمشق ، المجلد ١٦ ، سنة ١٩٥٨ – ١٩٦٠ ، ص ١٢٢ .
١٨٥ – « كتاب إظهار صنعة الحى القيوم فى ترتيب بلاد الفيوم » ، تحقيق مورتز B. Moritz طبع المكتبة الخديوية بمصر ١٨٩٩م .
– ناصر خسرو علوى (الرحالة الفارسى الشهير) ق ٥هـ / ١١م .
١٨٦ – « سفر نامة » ، ترجمة يحى الخشاب ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م ، وطبعة بيروت ١٩٧٠م .
– ابن النبيه (كمال الدين) : على بن محمد بن الحسن المصرى ت ٦١٩هـ / ١٢٢٢م .
١٨٧ – « ديوان ابن النبيه » ، شرح وتعليق عبد الله باشا فكرى ، طبع مصر ١٢٨٠هـ .
– ابن النديم (الوراق) : محمد بن إسحاق بن محمد بن إسحاق البغدادى ت ٤٣٨هـ / ١٠٤٧م .
١٨٨ – « كتاب الفهرست » ، طبع المطبعة الرحمانية بمصر ١٣٤٨هـ .
– النسوى (المنشىء) : محمد بن أحمد أو ابن عبد الواحد بن محمد ت ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م .
١٨٩ – « سيرة جلال الدين منكبرتى » ، تحقيق أحمد حافظ حمدى ، القاهرة ١٩٥٣م .
– نظام الملك (الطوسى) : الحسن بن على بن إسحاق ، الوزير السلجوقى ، ت ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م .
١٩٠ – « كتاب سياسة نامه » ، ترجمة السيد محمد العزاوى ، القاهرة ١٩٧٥م .
– النعيمى : عبد القادر بن محمد بن عمر بن نعيم الدمشقى ، ت ٩٢٧هـ .
١٩١ – « الدارس فى تاريخ المدارس » . (ج ١ – ٣) طبع دمشق ١٩٥٦م .
– النويرى (شهاب الدين) : أحمد بن عبد الوهاب البكرى الشافعى ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٣م .
١٩٢ – « نهاية الأرب فى فنون الأدب » (ج ١ – ١٩) ، طبع دار الكتب المصرية ١٣٥٠هـ / ١٩٣١م .
– ابن واصل (الحموى) : محمد بن سالم بن نصر الله المازنى التميمى ت ٦٩٧هـ / ١٢٩٨م .
١٩٣ – « مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب » ، ج ١ – ٣ ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٥٣م ؛ ج ٤ – ٥ ، تحقيق حسنين ربيع ، القاهرة ١٩٧٢م .
– ابن وهب (الكاتب) ، إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الشيعى ، ت بعد سنة ٣٣٥هـ / ٩٤٦م .
١٩٤ – « البرهان فى وجوه البيان » ، تحقيق مطلوب والحديثى ، بغداد ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .
– الوهرانى (ركن الدين) : محمد بن محمد بن محرز ت ٥٧٥هـ / ١١٧٩م .
١٩٥ – « منامات الوهرانى ، ومقاماته ورسائله » ، تحقيق إبراهيم شعلان ، محمد نغش ، القاهرة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م .

- ابن يحى (البيروتى) : صالح بن يحى بن الحسين ت ق ٩هـ / ١٥م .
١٩٦ - « تاريخ بيروت ، وأخبار الأمراء البحتريين » ، نشره لويس شيخو اليسوعى ، بيروت ، ١٩٢٧م .
- ابن أبى يعلى (الحنبلى) : محمد بن محمد بن الحسين ، ت ٥٢٦هـ / ١١٣١م .
١٩٧ - « الأحكام السلطانية » ، تحقيق حامد الفقى ، الطبعة الثانية ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م .
- اليمانى (ابن أبى القبائل) : محمد بن مالك الحمادى ، ق ٥هـ / ١١م .
١٩٨ - « كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة » ، تحقيق محمد زاهد الكوثرى ، طبع بذيل كتاب « التبصير » للأسفرانى ، القاهرة ١٣٧٥هـ ١٩٥٥م ، وقد ورد اسم المؤلف فى النسخة المطبوعة ، ابن أبى الفضائل ، وهو تصحيف .
- اليمنى (عمارة) : نجم الدين ، أبو محمد عمارة بن أبى الحسن الحكمى ت ٥٦٩هـ / ١١٧٤م .
١٩٩ - « النكت العصرية فى أخبار الوزارة المصرية » ، تحقيق درنبرغ بمدينة شالون ، ١٨٩٧م .
٢٠٠ - « ديوان عمارة اليمنى » ، تحقيق درنبرغ ، ١٩٠٢م .
٢٠١ - « ديوان اليمن » ، تحقيق كاى ، لندن ١٣٠٩ ، تحقيق حسن سليمان محمود بالقاهرة ١٩٥٧م .
- اليونينى (البعلبكى) : موسى بن محمد بن أحمد الحنبلى ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م .
٢٠٢ - ذيل مرآة الزمان ، طبع بمطبعة دائرة المعارف العثمانية بالهند ، ١٣٤٧هـ / ١٩٥٤م ، فى أربعة أجزاء .

ثالثاً : المراجع العربية الحديثة :

- أرنولد (توماس) :
١ - « الدعوة إلى الإسلام » ، ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرون ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٧١م .
- أمين (محمد محمد) :
٢ - « الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر ٦٤٨ - ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧م » ، دار النهضة العربية بالقاهرة ، ١٩٨٠م .
٣ - « السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب » ، رسالة ماجستير ، نوقشت بجامعة القاهرة سنة ١٩٦٨م .
- الباشا (حسن) :
٤ - « الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار » ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٧م .
٥ - « الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية » (١ - ٣) ، القاهرة ١٩٦٥م .
٦ - « فن التصوير فى مصر الإسلامية » ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦٦م .
- بدوى (أحمد أحمد) :
٧ - « الحياة العقلية فى عصر الحروب الصليبية بمصر والشام » ، القاهرة ١٩٥٢م .
٨ - « الحياة الأدبية فى عصر الحروب الصليبية بمصر والشام » ، القاهرة ١٩٥٢ .
٩ - « مأمون بنى أيوب (المعظم عيسى) » ، القاهرة ١٩٥٣م .
١٠ - « القاضى الفاضل » دراسة ونماذج ، القاهرة ١٣٧٨هـ / ١٩٥٩م .

١١ - « صلاح الدين بين شعراء عصره وكتابه » ، القاهرة ١٩٦٠م .
- بيلى (أحمد) :
١٢ - « حياة صلاح الدين الأيوبى » ، القاهرة ١٩٢٦ (الطبعة الثانية) .
- بيومى (على أحمد) :
١٣ - « قيام الدولة الأيوبية » ، رسالة ماجستير ، نوقشت بجامعة القاهرة سنة ١٩٤٦م ، ونشرت بالقاهرة، ١٩٥٢م .
- تيمور (أحمد تيمور باشا) :
١٤ - « التذكرة التيمورية » ، معجم الفوائد ، ونوادر المسائل ، لجنة نشر المؤلفات التيمورية ، الطبعة الأولى ، ١٩٥٣م .
- تامر (عارف) :
١٥ - « سنان وصلاح الدين » ، قصة تاريخية ، بيروت ١٩٥٦م .
- جروهمان (أدولف) :
١٦ - « أوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية » ، (١ - ٦) ، ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرين ، القاهرة ١٩٣٤م . وما بعدها .
- رجب (السيرها ملتون أ. جب) :
١٧ - « صلاح الدين الأيوبى » ، دراسات فى التايخ الإسلامى ، حررها يوسف إيبش ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٧٣م .
أبو حديد (محمد فريد) :
١٧ مكرر - « صلاح الدين الأيوبى البطل الذى انتصر على الغرب » ، كتاب الهلال ، العدد ٨٧ ، ذو القعدة ١٣٧٧هـ / يونيه ١٩٥٨م .
- الحلبى (داود) :
١٨ - « كتاب مخطوطات الموصل » ، مطبعة الفرات ببغداد ، ١٣٤٦هـ / ١٩٢٧م .
- حسن (على إبراهيم) :
١٩ - « مصر فى عصر دولة المماليك البحرية » ، القاهرة ١٩٦٧م .
- حسنى (فوزى نجيب) :
٢٠ - « صلاح الدين وتوحيد الجبهة الإسلامية زمن الصليبيين » ، رسالة ماجستير نوقشت بجامعة القاهرة ١٩٥٩م .
- حسين (محمد كامل) :
٢١ - « دراسات فى الشعر فى عصر الأيوبيين » ، القاهرة ١٩٥٧م .
٢٢ - « فى أدب مصر الفاطمية » ، القاهرة ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م .
٢٣ - « أدب مصر الإسلامية » (عصر الولاة) ، د. ت.
- حسين (محمد أحمد) :
٢٤ - « الوثائق التاريخية » ، مطبعة جامعة القاهرة ١٩٥٤م .
- حلمى (عباس اسماعيل) :
٢٥ - « السياسة الداخلية للسلطان الملك العادل الأيوبى » ، رسالة ماجستير نوقشت بجامعة القاهرة ١٩٤٣م .

٢٦ - « السياسة الداخلية للدولة الأيوبية فى مصر » ، بعد السلطان العادل ، رسالة دكتوراه نوقشت بجامعة القاهرة ١٩٥٥م .
- حمزة (عبد اللطيف) :
٢٧ - « صلاح الدين » ، القاهرة ١٩٤٤م ؛ ثم طبع بالقاهرة ، دار الفكر العربى ١٩٧٣م .
٢٨ - « حكم قراقوش » ، القاهرة ١٩٤٥م .
٢٩ - « أدب الحروب الصليبية » ، القاهرة ١٩٤٩م .
٣٠ - « الحياة الفكرية فى مصر ، فى العصرين الأيوبى والمملوكى الأول » ، القاهرة ١٩٤٧م .
٣١ - « القلقشندى فى كتابة صبح الأعشى » ، القاهرة ، ١٩٦٢م .
- حميد الله (محمد الحيدر آبادى) :
٣٢ - « مجموعة الوثائق السياسية » ، للعهد النبوى والخلافة الراشدة ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م .
- حسن (حسن إبراهيم) :
٣٣ - « النظم الإسلامية » ، الطبعة الأولى ، ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م .
- دراج (أحمد) :
٣٤ - « المماليك والفرنج فى القرن التاسع الهجرى / ١٥م » ، دار الفكر العربى ١٩٦١م .
٣٥ - « وثائق دير صهيون بالقدس الشريف » ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٨م .
- دسوقى (عمر) :
٣٦ - « الفتوة عند العرب » ، القاهرة ، د. ت.
- دقش (محمد محمود على) :
٣٧ - « الكتابة الديوانية بمصر فى عصر الدولة الأيوبية » ، رسالة دكتوراه نوقشت بجامعة القاهرة ١٩٧٣م.
- ربيع (محمد حسنن) :
٣٨ - « النظم المالية فى العصر الأيوبى » ، رسالة ماجستير نوقشت بجامعة القاهرة ، ونشرت بالقاهرة ١٩٦٤م .
- الرمزى (م) :
٣٩ - « تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار ، فى وقائع قزان وبلغار وملوك التتار » ، طبع سنة ١٩٠٨م .
- الريس (محمد ضياء الدين) :
٤٠ - « النظريات السياسية الإسلامية » ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثانية ١٩٥٧م .
٤١ - « الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية » ، الطبعة الثانية ، ١٩٦١م .
- زامباور (المستشرق) :
٤٢ - معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى ، القاهرة ١٩٥٢م .

- زياده (محمد مصطفى) :
٤٣ - « حملة لويس التاسع على مصر، وهزيمته فى المنصورة » ، القاهرة ١٣٨١هـ / ١٩٦١م .
٤٤ - « المؤرخون فى مصر ، فى القرن الخامس عشر الميلادى ، التاسع الهجرى » ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٥٤م .
- زيان (حامد غانم) :
٤٥ - « العلماء بين الحرب والسياسة فى العصر الأيوبى (أسرة شيخ الشيوخ) » القاهرة ١٩٧٨م .
- سالم (سيد عبد العزيز) :
٤٦ - « تاريخ مدينة الإسكندرية فى العصر الإسلامى » ، الطبعة الأولى ، الثانية ١٩٦٩م .
٤٧ - « تاريخ البحرية الإسلامية فى مصر والشام » ، بيروت ١٩٧١ (بالاشتراك) .
- سعد (سامى سلطان) :
٤٨ - « أسس العلاقات الاقتصادية بين الشرق الأدنى والجمهوريات الإيطالية » ، من سنة ١١٠٠ إلى ١٤٠٠م ، رسالة ماجستير نوقشت بجامعة القاهرة ١٩٥٨م .
- سعداوى (نظير حسان) :
٤٩ - « نظام البريد فى الدولة الإسلامية » ، القاهرة ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م .
٥٠ - « التاريخ الحربى المصرى فى أيام صلاح الدين » ، رسالة دكتوراه نوقشت بجامعة القاهرة ١٩٥١م ، ونشرت ١٩٧٥م .
٥١ - « جيش مصر فى أيام صلاح الدين » ، القاهرة ١٩٥٦م .
- سلام (سعد زغلول) :
٥٢ - « الأدب فى عصر صلاح الدين » ، القاهرة ١٩٥٩م .
٥٣ - « الأدب فى العصر الأيوبى » ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ١٩٩٠م ، ص ٥٩٦ .
- سليمان (أحمد السعيد) :
٥٤ - « تاريخ الدول الإسلامية ، ومعجم الأسرات الحاكمة » ، دار المعارف بمصر ١٩٧٢م .
- سيد (أحمد فؤاد) :
٥٥ - « نظم الحكم والإدارة فى العصر الأيوبى بمصر (٥٦٧هـ - ٦٤٨هـ) » ، رسالة ماجستير ، نوقشت بكلية الآداب جامعة عين شمس ، سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- سيد الأهل (عبد العزيز) :
٥٦ - « صلاح الدين الأيوبى » ، طبع القاهرة ١٩٦٠م ، مطبوعات المجلس الإسلامى الأعلى بالقاهرة ، لجنة التعريف بالإسلام ، طبع بالمكتب التجارى ببيروت ١٩٦١م ، ص ٢٥٩ .
- شافعى (على بك) :
٥٧ - « رى الفيوم كما وصفه النابلسى (٦٤٢هـ / ١٢٤٥م) » ، ومعه مذكرة عن رى الفيوم الحالى ، وعن بحيرة مورس ، مطبعة مصر ١٩٤٠م .

- شافعى (فريد) :
٥٨ - « العمارة العربية فى مصر الإسلامية » ، عصر الولاة ، القاهرة ١٩٧٠م .
- شلتوت (محمود) :
٥٩ - « من توجيهات الإسلام » ، القاهرة ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م .
- الشيال (محمد جمال الدين) :
٦٠ - « جمال الدين بن واصل » ، وكتابه مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، رسالة دكتوراه لم تطبع ، نوقشت بجامعة الإسكندرية .
٦١ - « مصر والشام بين دولتين » ، القاهرة ، ١٩٤٥م .
٦٢ - « مجمل تاريخ دمياط » ، الإسكندرية ، ١٩٤٩م .
٦٣ - « الإسكندرية » ، طبوغرافية المدينة وتطورها ، القاهرة ١٩٥٢م .
٦٤ - « مجموعة الوثائق الفاطمية » ، القاهرة ١٩٥٨م .
٦٥ - « أعلام مدينة الإسكندرية فى العصر الإسلامى » ، القاهرة ١٩٦٥م .
٦٦ - « دراسات فى التاريخ الإسلامى » ، بيروت ١٩٦٦م .
٦٧ - « تاريخ مصر الإسلامية » ، القاهرة ١٩٦٧م .
- صبرة (عفاف سيد) :
٦٨ - « ديوان الإنشاء وتطوره فى عصر الأيوبيين والمماليك » ، مع تحقيق مخطوط البرد الموشى فى صناعة الإنشا للموصلى ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ١٩٧١م .
- صفوت (أحمد زكى) :
٦٩ - « جمرة رسائل العرب » ، طبع الحلبى ، القاهرة ١٩٣٧م .
- طرخان (إبراهيم على) :
٧٠ - « النظم الإقطاعية فى الشرق الأوسط فى العصور الوسطى » ، دار الكاتب العربى ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م .
٧١ - « مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة » ، القاهرة ، ١٩٦٠م .
- عاشور (سعيد عبد الفتاح) :
٧٢ - « المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك » ، القاهرة ١٩٦٢م .
٧٣ - « الحركة الصليبية (١ - ٢) » ، القاهرة ١٩٦٣م ؛ ثم طبع مرة أخرى ١٩٨٦م .
٧٤ - « مصر فى عصر دولة المماليك البحرية » ، القاهرة ١٩٥٩م .
٧٥ - « الأيوبيون والمماليك فى مصر والشام » القاهرة ، ١٩٧٠م .
٧٦ - « العصر المماليكى فى مصر والشام » ، ١٩٧٦م .
- العبادى (أحمد مختار) :
٧٧ - « قيام دولة المماليك الأولى فى مصر والشام » ، بيروت ١٩٦٩ .

٧٨ - « تاريخ البحرية الإسلامية فى مصر والشام » ، بيروت ١٩٧١ (بالاشتراك) .
- عبد العاطى (عبد الغنى محمود) :
٧٩ - « التعليم فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك » ، رسالة ماجستير نوقشت بجامعة القاهرة ١٩٧٥م .
- عبد الكريم (دولت عبد الله) :
٨٠ - « الخوانق فى مصر فى العصرين الأيوبى والمماليكى » ، رسالة دكتوراه ، نوقشت بكلية الآثار ، ١٩٧٣م .
- عبد الوهاب (حسن) :
٨١ - « تاريخ المساجد الأثرية » ، جزءان ، القاهرة ١٩٤٦م .
٨٢ - « جامع السلطان حسن وما حوله » ، المكتبة الثقافية رقم ٥٦ ، سنة ١٩٦٢م .
- العرينى (السيد الباز) :
٨٣ - « مصر فى عصر الأيوبيين » ، القاهرة ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م .
٨٤ - « مؤرخو الحروب الصليبية » ، القاهرة ١٩٦٣م .
- العزاوى (عباس) :
٨٥ - « التعريف بالمؤرخين ، فى عهد المغول والتركمان » ٦٠١هـ - ١٢٠٤م / ٩٤١هـ - ١٥٣٤م ، طبع ببغداد ، ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م .
- عطا (زبيدة محمد) :
٨٦ - « الشرق الإسلامى والدولة البيزنطية زمن الأيوبيين » ، رسالة ماجستير ، نوقشت بجامعة القاهرة ١٩٦٩م .
- عطية (سليمان إسحاق) :
٨٧ - « تاريخ التعليم فى فلسطين من الفتح العربى إلى آخر الأيوبيين » ، رسالة ماجستير ، نوقشت بجامعة القاهرة ، ١٩٥٣م .
- العقاد (عباس محمود) :
٨٨ - « الديمقراطية فى الإسلام » ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٠م .
٨٩ - « أثر الحضارة العربية فى الحضارة الأوربية » ، دار المعارف القاهرة ١٩٦٢م .
- علوبه (محمد على باشا) :
٩٠ - « الإسلام والديمقراطية » ، نشر لجنة البيان العربى ، القاهرة ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م .
- على (محمد كرد على) :
٩١ - « أمراء البيان » ، طبع سنة ١٩٣٧م .
٩٢ - « الإدارة الإسلامية فى عز العرب » ، طبع
- عمران (محمود سعيد) :

٩٣ - « الحملة الصليبية الخامسة » ، حملة جان دى برين على مصر ، ٦١٥ - ٦١٨هـ / ١٢١٨ - ١٢٢١م ، الهيئة العامة للكتاب ، فرع الإسكندرية ١٩٧٨م .

- عنان (محمد عبد الله) :

٩٤ - « مصر الإسلامية » ، القاهرة ١٩٣١م .

٩٥ - « مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ المصرى » ، القاهرة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م .

- عنبر (أحمد محمد) :

٩٦ - « جولة مع ضياء الدين بن الأثير ، فى كتابه المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر » ، القاهرة ١٩٥٤م .

- غنيمة (محمد عبد الرحيم) :

٩٧ - « مقدمة لتاريخ التعليم الجامعى فى الإسلام » ، رسالة ماجستير ، نوقشت بجامعة القاهرة ١٩٥٣م .

- فكرى (أحمد) :

٩٨ - « مساجد القاهرة ومدارسها » ، الجزء الثانى ، العصر الأيوبى ، دار المعارف بمصر ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م .

- فهمى (عبد الرحمن) :

٩٩ - « النقود العربية ماضيها وحاضرها » ، المكتبة الثقافية ١٠٣ ، القاهرة فبراير ١٩٦٤م .

- القوصى (عطية أحمد محمود) :

١٠٠ - « بنو الكنز » ، دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير ، نوقشت بجامعة القاهرة ١٩٧٠م .

- كانار (ماريوس) :

١٠١ - « نخب تاريخية وأدبية ، جامعة لأخبار الأمير سيف الدولة الحمدانى » ، طبع الجزائر ، ١٩٣٤م .

- كازانوفا (بول) :

١٠٢ - « تاريخ ووصف قلعة الجبل » ، ترجمة أحمد دراج ، القاهرة ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م .

- الكتانى (عبد الحى الفاسى) :

١٠٣ - « كتاب التراتيب الإدارية ، والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية ، التى كانت على عهد تأسيس المدينة الإسلامية فى المدينة العلية » ، (١ - ٣) طبع الرباط ١٣٤٦هـ .

- الكرملى (إنستاس مارى) :

١٠٤ - « النقود العربية وعلم النميات » ، القاهرة ١٩٣٩م .

- كرويزويل (ك . م) :

١٠٥ - « وصف قلعة الجبل » ، ترجمة جمال محرز ، القاهرة ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م .

- كوبرلى (محمد فؤاد) :

١٠٦ - « قيام الدولة العثمانية » ، دار الكاتب العربى ، ١٩٦٧م .

- كيلانى (محمد سيد) :

١٠٧ - « الحروب الصليبية وأثرها فى الأدب العربى فى مصر والشام » ، القاهرة ١٩٤٩م .
- لسترنج (المستشرق) :
١٠٨ - « بلدان الخلافة الشرقية » ، طبع بغداد ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م .
- ماجد (عبد المنعم) :
١٠٩ - « نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر (١ - ٢) » ، الأنجلو المصرية ١٩٥٣م .
١١٠ - « نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم فى مصر » (١ - ٢) ، الأنجلو المصرية ١٩٦٤م .
١١١ - « ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها فى مصر » ، دار المعارف بالأسكندرية ١٩٦٨م .
١١٢ - « الناصر صلاح الدين الأيوبى » ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٧م .
- متز (آدم) :
١١٣ - « الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى » ، ترجمة أبو ريدة ، القاهرة ١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م .
- متولى (عبد الحميد) :
١١٤ - « مبادىء نظام الحكم فى الإسلام مع مقارنته بالمبادىء الدستورية الحديثة » ، دار المعارف بالأسكندرية ١٩٦٥م .
١١٥ - « أزمة الفكر السياسى الإسلامى فى العصر الحديث » ، المكتب المصرى الحديث ، ١٩٧٠م .
- محرز (جمال محمد) :
١١٦ - « التصوير الإسلامى ومدارسه » ، المكتبة الثقافية ، مايو ١٩٦٢م .
- محمود (رزق محمود) :
١١٧ - « العلاقات بين أرناط أمير الكرك وصلاح الدين الأيوبى » ، رسالة ماجستير ، نوقشت بجامعة عين شمس ، ١٩٧٣م .
- مرزوق (محمد عبد العزيز) :
١١٨ - « الفن الإسلامى فى العصر الأيوبى » ، المكتبة الثقافية ، رقم ٣٠ ، مارس ١٩٦٣م .
- المصرى (جابر سلامة) :
١١٩ - « الزراعة فى مصر فى عهد الأيوبيين والمماليك » ، رسالة ماجستير نوقشت بجامعة القاهرة ، ١٩٧٥م .
- موسى (إقبال بن علاوة) :
١٢٠ - « الحسبة فى المغرب مع بعض نصوص خاصة بها » ، رسالة ماجستير ، نوقشت بجامعة عين شمس ، ١٩٦٨م .
- نصار (حسين) :
١٢١ - « نشأة الكتابة الفنية فى الأدب العربى » ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٦٦م .
- وافى (على عبد الواحد) :
١٢٢ - « حقوق الإنسان فى الإسلام »، دار نهضة مصر ، الطبعة الخامسة ، القاهرة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٩م.

رابعًا : مقالات بالمجلات والدوريات العربية :

- إبراهيم (عبد اللطيف) :

١ - « الوثائق في خدمة الآثار » ، العصر المماليكي ، سلسلة الدراسات الوثائقية ، (١) ، جامعة الدول العربية ، الإدارة الثقافية ، طبع القاهرة ١٩٥٨م ، ص ٢٠٥ - ١٧٨.

- الأثرى (محمد بهجة) :

٢ - « كاتب الدولتين النورية والصلاحية » ، (العماد الأصفهاني) ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الرابع ، الجزء الأول ، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م ، ص ١٦ - ٣٤ .

- أمين (أحمد) :

٣ - « الفتوة في الإسلام » ، مجلة كلية الآداب ، المجلد السادس ، الجزء الأول ، مايو ١٩٤٢م ، الطبعة الثانية ١٩٥٣ ، ص ١ - ٢١ .

- باقي (واصف) :

٤ - « القدس وصلاح الدين » ، مقال بمجلة منار الإسلام ، العدد ٧ ، رجب ١٤١٣هـ ، يناير ١٩٩٣م ، ص ١٠٦ - ١١٠ .

- البحيرى (صلاح) :

٥ - « ديوان الجيش في الدولة الأيوبية » ، الموسم الثقافي للجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، ١٩٧٦ - ١٩٧٧ ، القاهرة ١٩٧٨ ، ص ١٦٩ - ١٩٠ .

- البرصان (أحمد) :

٦ - « البعد الاستراتيجي عند صلاح الدين الأيوبي » ، مقال بمجلة الفيصل ، العدد ٩٩ ، رمضان ١٤٠٥هـ يونيو ١٩٨٥م ، ص ١٣٩ - ١٤١ .

- بركات (وفيق) :

٧ - « صفحات مشرقة من تراثنا البحرى : الأسطول البحرى في الفكر العسكرى للناصر صلاح الدين الأيوبي » ، مقال بمجلة التراث العربي ، العدد ٣٥ - ٣٦ ، رمضان - ذو الحجة ١٤٠٩هـ / إبريل يوليو ١٩٨٩م ، ص ١١٧ - ١٣٨م .

- برهان (العابد) :

٨ - « أرناط الفارس اللص » ، مقال بمجلة تاريخ العرب والعالم ، العدد ١١٩ - ١٢٠ ، محرم - صفر ١٤٠٩هـ / سبتمبر أكتوبر ١٩٨٨م ، ص ١٢ - ٢٣ .

- البوزيدى (علال) :

٩ - « صلاح الدين الأيوبي المثل الأعلى في البطولة والخُلق العظيم ، مقال بمجلة المجلة العربية ، العدد ٩٥ ذو الحجة ١٤٠٥هـ / سبتمبر ١٩٨٥م ، ص ١١٣ .

- البيومى (محمد رجب) :

١٠ - « عماد الدين زنكى » ، مقال بمجلة الأزهر ، العدد ١٨ ، ربيع الآخر ١٣٧٤هـ / ديسمبر ١٩٥٤م ، ص ٤٥٣ - ٤٥٦ .

- تيمور (أحمد) :

١١ - « تفسير الألفاظ العباسية فى نشوار المحاضرة »، مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق، ج ١١، ج ٢ ، ١٣٤١ / ١٩٢٢م .

- جاكسون (دافيد) :

١٢ - « صلاح الدين : معركة حطين والاستيلاء على القدس (وجهة نظر) » ، مقال بالكتاب التذكارى : ٨٠٠ عام حطين صلاح الدين والدور العربى المشترك ، القاهرة ، دار الشروق ، ١٤٠٩، ١٩٨٩م ، ٨٥ - ٩٣ .

- الجنحانى (الحبيب) :

١٣ - « حطين رمز الوحدة والتحرر » ، مقال بمجلة تاريخ العرب والعالم ، العدد ١٠٥ - ١٠٦ ، ذو القعدة - ذو الحجة ١٤٠٧هـ تموز - أب ١٩٨٧م ، ص ٤١ - ٤٧ .

١٤ - « حطين رمز الوحدة والتحرر » ، مقال بمجلة المؤرخ العربى ، العدد ٣٩ ، ١٤٠٩ - ١٩٨٩م ، ص ١٧٧ - ١٨٥ .

- حسن (زكى محمد) :

١٥ - « قلعة الجبل » ، مجلة الكتاب ، القاهرة ، أكتوبر ١٩٤٦ ، ٨٧٣ - ٨٨٢ .

- حسن (على إبراهيم) :

١٦ - « آراء فى تاريخ دولة المماليك البحرية » ، بحث فى مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، المجلد السابع ، ١٩٤٤م .

- حسن (محمد عبد الغنى) :

١٧ - « والد الملوك الأيوبية » ، مجلة الرسالة ، السنة التاسعة ، ص ٩٩١ ، وتعقيب لجمال الدين الشيال ، السنة التاسعة من الرسالة أيضًا ، ص ١٠٧٩ - ١٠٨٠ .

- حسين (محمد الخضر) :

١٨ - « الشعر المصرى فى عهد الدولة الأيوبية » ، مجلة الهداية الإسلامية ، المجلد التاسع ، الجزء السادس ، ذى الحجة ١٣٥٥هـ - فبراير ١٩٣٧م ، ص ٣٢١ - ٣٣١ .

- الحسينى (الأمير جعفر) :

١٩ - « مظاهر الحضارة الإسلامية فى دمشق وحلب » ، أبحاث مؤتمر الآثار فى البلاد العربية المنعقد فى دمشق ١٩٤٧م ، مطبعة جامعة فؤاد الأول ، ١٩٤٨م ، ص ٥٧ - ٦٧ .

- حمدى (أحمد ممدوح) :

٢٠ - « الطراز الأيوبى فى مصر » ، جامعة الدول العربية ، الإدارة الثقافية ، المؤتمر الخامس للآثار فى البلاد العربية ، ١٩٦٩م ص ٨٠٩ - ٨٢١ .

- الخشاب (يحى) :
٢١ - « ضبط وتحقيق الألفاظ الاصطلاحية التاريخية الواردة فى كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمى » (بالاشتراك مع الباز العرينى) ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد السابع ، ١٩٥٨م ، ص ١٦١ - ٣١٢ .
- دار الشروق :
٢٢ - « ملامح خطة صلاح الدين العسكرية لتحرير القدس » ، مقال نشر بالكتاب التذكارى : ٨٠٠ عام حطين صلاح الدين والعمل العربى المشترك ، دار الشروق ، القاهرة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ، ص ١١١ - ١٢٧ .
- دراج (أحمد) :
٢٣ - « الوثائق العربية المحفوظة فى دور الأرشيف الأوربية » ، (مصر الإسلامية) ، مقال ضمن أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة ، ١٩٦٩، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٧٠م .
- الدسوقى (محمد كمال) :
٢٤ - « أهمية الحجاز فى مطلع العصور الحديثة » ، مقال بمجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة ، العدد ٣ ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م ، ص ٣٩٧ - ٤٣٠ .
- ربيع (حسنين) :
٢٥ - « نشر ودراسة حجة تمليك ووقف مؤرخة سنة ٦٤٩هـ ، محفوظة بمحكمة الأحوال الشخصية بالقاهرة » ، محفظة رقم ١ ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ١٢ ، ١٩٦٤ ، ١٩١ - ٢٠٢ .
- رشيد (ناظم) :
٢٦ - « الأدب عند بنى أيوب » ، مجلة المورد العراقية ، المجلد الخامس ، العدد الثالث ، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م ، ص ٣٥ - ٤٠ .
- رضا (محمد رشيد) :
٢٧ - «ذكرى صلاح الدين ومعركة حطين » ، مقال بمجلة المنار ، مصر ، العدد ٨ ، جمادى الأولى ١٣٥١هـ - سبتمبر ١٩٣٢م ص ٥٩٣ - ٦٠٦ .
- زكار (سهيل) :
٢٨ - « وقائع معركة حطين » ، مقال بمجلة تاريخ العرب والعالم ، العدد ١٠٥ - ١٠٦ ، ذو القعدة - ذو الحجة ١٤٠٧هـ - تموز - أب ١٩٨٧م ، ص ٧٠ - ٨١ .
- زكى (عبد الرحمن) :
٢٩ - « العمارة العسكرية فى العصور الوسطى بين العرب والصليبيين » ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد السابع ، ١٩٥٨ ، ص ١٠٦ - ١٣٣ .
٣٠ - « القلاع فى الحروب الصليبية » ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الخامس عشر ١٩٦٩ ، ص ٤٩ - ٩٧ .
٣١ - « مدارس الدين فى أيام الأيوبيين » ، مجلة منبر الإسلام ، السنة ٢١ ، العدد الأول ، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م . ص ١٦١ - ١٦٤ .

٣٢ – « نشأة القاهرة وامتدادها فى أيام الأيوبيين » ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثامن عشر ، ١٩٧١م . ص ١١١ – ١٦٠ .
٣٣ – « نقد لكتاب الاستيلاء على دمياط » ، للمؤرخ الصليبى اللاتينى ، أليفر ، الذى صاحب الحملة الصليبية الـ ٥ على مصر سنة ٦١٤هـ . المجلة التاريخية المصرية المجلد الثالث العدد الأول ، مايو ١٩٥٠ ، ٢٤٦ – ٢٤٩ .
– أبو زهرة (محمد) :
٣٤ – « الاقتصاد الإسلامى » ، سلسلة مقالات فى مجلة رسالة الإسلام ، السنة الحادية عشر ، ١٣٧٨هـ / ١٩٥٩م ، العدد الأول ، ص ٢٣ – ٣٦ ، العدد الثانى ، ص ١٢٠ – ١٤٠ ، الرابع ، ص ٣٦٠ ، ٣٧٢ ... إلخ .
٣٥ – « محاضرات فى الوقف » ، من مطبوعات معهد الدراسات العربية العالية ، جامعة الدول العربية ، القاهرة ١٩٥٩م .
– زيادة (محمد مصطفى) :
٣٦ – « الدولة الأيوبية » ، مقال فى كتاب « تاريخ الحضارة المصرية » ، العصر اليونانى والرومانى والإسلامى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، د. ت ، ج ٢ ، ص ٤٥٨ – ٤٨٠ .
٣٧ – « ديوان الزكاة » ، مقال بمجلة الثقافة ، العدد ٢١١ ، يناير ١٩٤٣م .
٣٨ – « نقد لكتاب مؤلف الطرسوسى فى التاريخ الحربى على عهد الأيوبيين » ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثانى ، العدد الأول ، ١٩٤٩ ، ص ٢٢٣ – ٢٢٥ .
٣٩ – « نقد لكتاب مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب » ، تحقيق جمال الدين الشيال ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الرابع ، العدد الأول ، ١٩٥١ ، ص ٢٥٢ – ٢٥٧ .
٤٠ – بعض ملاحظات جديدة فى تاريخ دولة المماليك » ، مجلة كلية الأداب – جامعة فؤاد الأول ، المجلد الرابع ، الجزء الأول ١٩٣٦ ، الطبعة الثانية ١٩٥٣م ، ص ٧١ – ٨٨ .
٤١ – « يوم حطين » قال بمجلة العربى ، الكويت ، العدد ٥٩ ، جمادى الأولى ١٣٨٣هـ – أكتوبر ١٩٦٣م، ص ٣٦ ، ٤٦ .
– السباعى (مصطفى حُسنى) :
٤٢ – « صلاح الدين » ، مقال بمجلة المسلمون ، العدد ٣ ، شوال سنة ١٣٧٧هـ – آيار سنة ١٩٥٨م . ص ١ – ١٠ .
– سليمان (حسين) :
٤٣ – « نبذة تاريخية عن معركة حطين : الرمز والعظة ومدخل التحرير » ، مقال بمجلة لواء الإسلام ، العدد ٣ ، شوال سنة ١٣٩٩هـ – سبتمبر سنة ١٩٧٩م ، ص ٤١ – ٤٥ .
– شبكة (محمود محمد) :
٤٤ – « من أدَب الحروب الصليبية » ، مقال بمجلة الأزهر ، العدد ٦ ، شعبان سنة ١٣٩٢م – سبتمبر سنة ١٩٧٢م ، ص ٥٧٦ – ٥٨١ ، ٥٨٤ .

- الشبيبى (محمد رضا) :

٤٥ - « الألفاظ الأيوبية فى كتاب تقويم النديم » ، مجلة مجمع اللغة العربية ، الجزء الثامن ، مطبعة وزارة التربية والتعليم ١٩٥٥م ، ٣٤٠ - ٣٤٤ ، ونشر لفس المقال فى مجلة الرسالة العدد ٩١٦ ، بتاريخ ١٩٥١/١/٢٢م .

- شراب (محمد حسن) :

٤٦ - « القاضى الفاضل الوزير الناصح والعقل الراجح » ، مقال بمجلة الحرس الوطنى ، العدد ٨٩ ، رجب سنة ١٤١٠ هـ - فبراير سنة ١٩٩٠م ص ٣٩ - ٤١ .

- شعث (شوقى) :

٤٧ - « الجيش العربى الإسلامى فى عصر موقعة حطين ووسائل الإسناد الأخرى » ، مقال بمجلة تاريخ العرب والعالم ، العدد ١١١ - ١١٢ جمادى الأولى وجمادى الثانية سنة ١٤٠٨هـ - يناير وفبراير سنة ١٩٨٨م ص ٤٤ - ٥٤ .

٤٨ - القدس الشريف بين احتلالين ... » ، مقال بمجلة المنهل ، العدد ٤٦٢ ، شعبان سنة ١٤٠٨هـ - إبريل سنة ١٩٨٨م ص ١٠٩ - ١١٣ .

- شمس الدين (وجيه) :

٤٩ - « حطين وصلاح الدين وأولى القبلتين » ، مقال بمجلة الموقف ، لبنان ، العدد ٧٧ ، ذو القعدة سنة ١٤١١هـ يونيو سنة ١٩٩١م . ص ٤٠ - ٤٣ .

- الشيال (جمال الدين) :

٥٠ - « شاعر من البيت الأيوبى » ، تاج الملوك بورى ، مقال بمجلة الثقافة ، العدد ١٣٠ ، ٢٤ يونيو ١٩٤١م .

٥١ - « نظام الوزارة فى العصر الفاطمى » ، مقال بمجلة الثقافة العدد ٦٣٨ ، ١٩ مارس ١٩٥١م .

٥٢ - « الجاسوسية فى حروب بنى أيوب » ، دراسات فى التاريخ الإسلامى ، بيروت ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م ، ص ٧٣ - ٧٨ .

٥٣ - « طريقة مسح الأراضى وتقدير الخراج فى مصر الإسلامية » ، مجلة الثقافة ، السنة الثانية ، العدد ٩٧ ، ١٩٤٠م .

- صبره (عفاف سيد) :

٥٤ - « بهاء الدين قراقوش الوزير المُفترى عليه » ، مقال بمجلة الدارة ، العدد ٢ ، محرم سنة ١٤٠٨هـ - أغسطس سنة ١٩٨٧هـ ، ص ١٣٦ - ١٨١ .

- الصعيدى (عز الدين) :

٥٥ - « صوت من الماضى إلى الحاضر » ، مقال بمجلة المختار الإسلامى ، العدد ٧٦ ، شوال سنة ١٤٠٩هـ - مايو ١٩٨٩م ، ص ٥٢ - ٥٣ .

- طرخان (إبراهيم على) :

٥٦ - « الإقطاع الإسلامى، أصوله وتطوره ، دراسة مقارنة » ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد السادس ، ١٩٥٧ ، ص ٤٧ - ٧٦ .

- الطيان (سعيد) :
٥٧ - « موقعة حطين : دراسة عسكرية » : مقال بمجلة تاريخ العرب والعالم ، العدد ١٠٥ - ١٠٦ ، ذو القعدة - ذو الحجة سنة ١٤٠٧هـ - تموز - آب ١٩٨٧م ، ص ٣٤ - ٤٠ .
- عابدين (محمد صبرى) :
٥٨ - « الأردن فى أيام الحروب الصليبية » ، مقال بمجلة الأزهر ، العدد ١ ، محرم سنة ١٣٧٣هـ - سبتمبر ١٩٥٣م ، ص ٥٩ - ٦٢ .
- عارف (محمود) :
٥٩ - « من أعلام البطولة والقيادة فى الإسلام : صلاح الدين الأيوبى » : مقال بمجلة المنهل ، العدد ١٠ - ١١ ، ذو القعدة - ذو الحجة سنة ١٣٧١هـ = يوليو - أغسطس سنة ١٩٥٣م ، ص ٤٥٣ - ٤٥٤ .
- عاشور (سعيد عبد الفتاح) :
٦٠ - « البنية البشرية لجيوش صلاح الدين » ، مقال بمجلة المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، العدد ٣٧ ، سنة ١٩٩٠م ، ص ٨ - ٣١ .
٦١ - « الفلاح والإقطاع فى عصر الأيوبيين والمماليك » ، الموسم الثقافى للجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، الأرض والفلاح فى مصر على مر العصور ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص ٢١١ - ٢٢٤ .
٦٢ - « الإمبراطور فردريك الثانى والشرق العربى » ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الحادى عشر ، ١٩٦٣ ، ص ١٩٥ - ٢١٣ .
- عاشور (فايد) :
٦٢ مكرر - « الجهاد الإسلامى ضد الصليبيين » ، مقال بمجلة الأمة ، قطر ، العدد ٤٦ ، شوال سنة ١٤٠٤هـ / يوليو سنة ١٩٨٤م ، ص ٤٦ .
- العبادى (عبد الحميد) :
٦٣ - « كتب الحسبة وفائدتها فى وضع المعجمين الوسيط والكبير » ، مجلة مجمع اللغة العربية ، الجزء الثامن ، مطبعة وزارة التربية والتعليم ١٩٥٥م ، ص ٤٢٢ - ٤٢٧ .
- عبد الحق (عادل سليمان) :
٦٤ - « مدرج مسرح بصرى وقلعتها » ، المؤتمر الرابع للآثار فى البلاد العربية ، تونس ١٩٦٣م ، ص ٢٦٥ - ٢٩٨ .
- عبد الحميد (سعد زغلول) :
٦٥ - « العلاقة بين صلاح الدين ، وأبى يوسف يعقوب » ، مجلة كلية الأداب بالإسكندرية ١٩٥٣م .
- عبد الحى (سعيد) :
٦٦ - « صلاح الدين شخصية فى سطور » ، مقال بمجلة الأزهر ، العدد ٧ ، رجب سنة ١٤٠١هـ - مايو ١٩٨١م ، ص ١٣٣١ - ١٣٣٣ .
- عبد المنعم (محمد فيصل) :
٦٧ - « قائد ومعركة : القائد الملك الناصر صلاح الدين الأيوبى » ، مقال بمجلة الحرس الوطنى ، العدد ٢ ، شوال سنة ١٤٠٠هـ - أغسطس سنة ١٩٨٠م ص ١٢٠ - ١٢٦ .
٦٨ - « الملك مظفر الدين كوكبرى الذئب الأزرق » ، مقال بمجلة الحرس الوطنى ، العدد ٩ رجب سنة ١٤٠٣هـ - إبريل سنة ١٩٨٣ ، ص ١٠٠ - ١٠٣ ، وعدد ١٠ ، شوال سنة ١٤٠٣هـ - يوليو سنة ١٩٨٣م ، ص ١٦ - ١٨ .

- عبد الوهاب (حسن) :
٦٩ - « العمارة الإسلامية » ، العصر الأيوبى ، مجلة العمارة ، العدد ٧ ، ٨ ، سنة ١٩٤٠م .
٧٠ - « العمارة الإسلامية » ، عصر المماليك البحرية ، مجلة العمارة ، العدد ٩ ، ١٠ ، سنة ١٩٤٠ .
٧١ - « من روائع العمارة الإسلامية فى مصر والشام » ، جامعة الدول العربية ، المؤتمر الرابع للآثار فى البلاد العربية ، ١٩٦٣م ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦٥م ، ص ٢٩٨ - ٣٢٠ .
٧٢ - « الإسكندرية فى العصر الإسلامى » ، مجلة الكتاب ، السنة الثانية ، المجلد الثالث ، ١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م ، ص ٣٧٩ - ٣٩٣ .
٧٣ - « مميزات العمارة الإسلامية فى القاهرة » ، مؤتمر الآثار فى البلاد العربية ، سنة ١٩٤٧م ، ص ١٧٩ - ١٨١ .
٧٤ - « الدولة الأيوبية وعمارتها » ، مجلة منبر الإسلام ، السنة ١٩ ، العدد (١٠) ، ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م ، ص ٧١ - ٧٧ .
٧٥ - « نشأة المدارس بمصر » ، مجلة منبر الإسلام ، السنة ١٩ ، العدد ٧ ، سنة ١٣٨١هـ / ١٩٦١م ، ص ٩٠ - ٩١ .
- العبيدى (عبد العزيز بن راشد) :
٧٦ - « جهود صلاح الدين الأيوبى فى بناء الجبهة الإسلامية وتأسيس الدولة الأيوبية حتى سنة ٥٧٣هـ » ، مقال بمجلة مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد ٦ ، محرم سنة ١٤١٣هـ - يوليو سنة ١٩٩٣م ، ص ٤٤٧ - ٥٣١ .
- العرينى (السيد الباز) :
٧٧ - « الإقطاع فى الشرق الأوسط ، منذ القرن السابع حتى القرن الثالث عشر الميلادى » ، حوليات كلية الأداب ، جامعة عين شمس ، العدد الرابع ، ١٩٥٧م .
- عزام (عبد الوهاب) :
٧٨ - « الألفاظ الفارسية والتركية فى اللغة العامية المصرية » ، مجلة مجمع اللغة العربية ، الجزء الثامن ، مطبعة وزارة التربية والتعليم ، ١٩٥٥ ، ص ٣٦٢ - ٣٦٥ .
- أبو العز (صفى الدين) :
٧٩ - « معركة حطين : الإطار والنتائج » ، مقال نُشر فى الكتاب التذكارى المعنون بـ (٨٠٠ عام حطين صلاح الدين والعمل العربى المشترك) ، القاهرة : دار الشروق ، سنة ١٤٠٩ - ١٩٨٩م .
- العقاد (عباس محمود) :
٨٠ - « صلاح الدين » ، مقال بمجلة العزبى - الكويت ، العدد ١ ، جمادى الأولى سنة ١٣٧٨هـ / ديسمبر سنة ١٩٥٨م ، ص ٥٣ - ٥٩ .
- على (عبد الرحمن بله) :
٨١ - « البحث عن سيف صلاح الدين » مقال بمجلة الجامعة الإسلامية ، العدد ١، محرم - صفر - ربيع الأول، سنة ١٤٠٠هـ ، ص ١٨٣ - ١٨٦ .

- عنان (محمد عبد الله) :
٨٢ - « ابن خلدون وميكيافلي » ، مجلة الرسالة ، العدد ٢٠ ، السنة الأولى ، ١٣٥٢هـ ١٩٣٣م ، ص ٢٠ - ٢١ .
- عنان (محمد عبد الله عنان) :
٨٣ - « ترجم لكل من : صلاح الدين الأيوبي ، ووزيره بهاء الدين قرقوش ، والملكة شجرة الدرر ، وللفقيه الطرطوشي ، والرحالة ابن جبير الذى زار مصر فى عهد صلاح الدين الأيوبي : راجع كتابه : تراجم إسلامية شرقية وأندلسية ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، سنة ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م .
- عواد (كوركيس) :
٨٤ - « مؤلف معالم الكتابة ومغانم الإصابة ، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، عدد ؟؟ ، سنة ؟؟؟؟، ص ٣٧٨ - ٣٧٩.
٨٥ - « الحسبة فى خزانة الكتب العربية » ، مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ، المجلد ٧/ ٢ . سنة ١٩٤٢م ، ص ٤١٧ - ٤٢٨.
٨٦ - « نصاب الاحتساب » ، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، المجلد ١٧ ، سنة ١٩٤٢م ، ص ٤٣٣ - ٤٤٤ . (عرف هذا الكتاب ومؤلفه حاجي خليفة فى كشف الظنون تحت اسم : « نصاب الاحتساب » . (أحمد) .
- عويس (عبد الحليم) :
٨٧ - «قامت على يد واحد من أعظم الرجال وانتهت على يد امرأة» ، مقال بمجلة المجتمع ، العدد ١٢٧ ، شوال سنة ١٣٩٢م - نوفمبر ١٩٧٣م .
- عيسى (أحمد محمد) :
٨٨ - « مخطوطات ووثائق دير سانت كاترين بشبه جزيرة سيناء » ، مقال بالمجلة التاريخية المصرية ، المجلد الخامس ، ١٩٥٦م .
- غربال (محمد شفيق) :
٨٩ - « مصر عند مفترق الطرق (١٧٩٨هـ / ١٨٠١) » ، المقالة الأولى ، « ترتيب الديار المصرية فى عهد الدولة العثمانية كما شرحه حسين افندى ، أحمد أفندية الروزنامة فى عهد الحملة الفرنسية » ، القاهرة ١٩٣٨م ، بحث مستخرج من مجلة كلية الأداب ، بجامعة فؤاد الأول بالقاهرة .
- الغول (محمود) :
٩٠ - « حفيدات بلقيس » ، مقال بمجلة العربي ، العدد ٦٣ ، شعبان سنة ١٣٨٣هـ - يناير سنة ١٩٦٤م، ص ٢٤ - ٣١ .
- فروخ (عمر) :
٩١ - « صلاح الدين قبل معركة حطين » ، مقال بمجلة الباحث ، لبنان ، العدد ٤ ، أكتوبر - ديسمبر سنة ١٩٨٧م ، ص ٦٥ - ٧١ .
- فكرى (أحمد) :
٩٢ - « خصائص عمارة القاهرة فى العصر الأيوبى » ، أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة ، ١٩٦٩ ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٧٠م ، ص ١٦٣ - ١٩٢ .

- فهمى (عبد الرحمن) :
٩٣ - « من فضة الأيوبيين إلى نحاس المماليك » ، مجلة مرآة العلوم الاجتماعية ، العدد ٣ ، م ٧ ، ١٩٦٤ . ص ٥٩ وما بعدها .
- القرنى (عبد الحفيظ فرغلى) :
٩٤ - « أشدّ الساعات حلكة أقربها إلى طلوع الفجر » ، مقال بمجلة الأزهر ، العدد ٣٤ ، ربيع الثانى سنة ١٤٠٣هـ - فبراير سنة ١٩٨٣م ، ص ٣٢ - ٣٣ .
- الكرملى (إنستاس مارى) :
٩٥ - «مقامات ابن حمويه الجوينى» ، مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ، المجلد ١٨ ، ص ٤٠٦ - ٥١٠ ، (ثلاث مقالات تباعًا) .
- اللبابيدى (محمود) :
٩٦ - « نظام الإسلام السياسى » وعلاقة الدين بالدولة فى هذا النظام ، مجلة رسالة الإسلام ، السنة الرابعة ، العدد الرابع ، محرم سنة ١٣٧٢هـ / أكتوبر ١٩٥٢م ، ص ٣٧٦ - ٤٠٢ .
٩٧ - « الاقتصاد الإسلامى ، مقامة بين الاقتصادين الرأسمالى والشيوعى والاشتراكى » ، مجلة رسالة الإسلام ، السنة الثالثة ، العدد الثالث ، رمضان ١٣٨٠هـ / ١٩٥١ ص ٢٥٨ - ٢٨٠ ..
- لبيب (صبحى ينى) :
٩٨ - « التجارة الكارمية وتجارة مصر فى العصور الوسطى » ، المجلة التاريخية المصرية المجلد الرابع ، العدد الثانى ١٩٥٢ ، ص ٥ - ٦٣ .
- ماجد (عبد المنعم) :
٩٩ - « أضواء جديدة على موقعة عين جالوت » ، الموسم الثقافى للجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، ١٩٧٦ - ١٩٧٧ ، القاهرة ١٩٧٨ ، ص ١٥١ - ١٦٨ .
- ماهر (سعاد) :
١٠٠ - « مجرى مياه فم الخليج » ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد السابع ، ١٩٥٨م ، ص ١٣٤ - ١٤٩ .
- مخلص (عبد الله) :
١٠١ - « التواليف الإسلامية فى العلوم السياسية والإدارية » ، مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ، المجلد ٧ ، الجزء الـ ٧ والـ ٨ ، سنة ١٩٤٣م ، ص ٣٣٩ - ٣٤٤ (عدد تموز آب - جمادى الآخرة رجب) .
- مرزوق (محمد عبد العزيز) :
١٠٢ - « طراز الإسكندية » ، أبحاث مؤتمر الآثار فى البلاد العربية المنعقد بدمشق ، ١٩٤٧م ، طبع القاهرة ١٩٤٧م ، ص ١٦٥ - ١٧٥ .
- يوسف (جوزيف نسيم) :
١٠٣ - « دراسة فى وثائق العصرين الفاطمى والأيوبى ، المحفوظة بمكتبة دير سانت كاترين فى سيناء » ، فصله من مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، المجلد ١٨ ، ١٩٦٤م ، ص ١٧٩ - ٢٠١ .

خامسا: أهم المراجع الأجنبية :

- Amari (Michele):

1- Diplomi Arabi del R. Archivio Fiorentino, Testo Originale, con la Traduzione Lettêrale E Illustraziono Di Michele Amari, in Firenze, 1873.

2- Storia dei Musulmani di Sicilia (1-4) Firenze, 1858.

- Berchem (Van) :

3- Materiaux Pour un Gorpus Inscriptionum Arabicarum, Egypte, I, Paris 1903.

- Cahein (c.):

4- Makhzumiyyat. Etude sur l'histoire économique et financiére de l'Egypte medievale, Leiden E J. Brill, 1977.

- Elbeheiry (Salah):

5-Les Institutions de L'Eypte au temps des Ayyübides. Thése Princiipal de Doctorat d'Etat sou-tenue en Sorbone 1971 et Publiée Par l'Université de Lille III, 1972.

- Ernst (H.)

6- Die mamlukischen Sultan Zur Kuden des Sinaiklosters, wiesbaden, 1960.

- Gotts chalk:

7- Al-Malik Al-Kamil, Von Eguypten, Un seine zeit, Otto Harrasowitz wiesbaden, 1958.

- Helbing, (N.):

8- Al-QadisAl-Fadil, der Wezir Saladin, eine Biographie. Berlin, 1909.

- Lane-Poole:

9- Saladin and the fall of the Kingdom of Jerusalem. London 1898.

- rabie (Hassanein):

10- The Financiel System of Egypt, A.H. 564-741/A.D. 1169-1341, London Oriental Serie. Volume 25, Oxford University, Press, 1972.

- Ricakie (J):

11- La Poesie Profane sous les Ayyoubides et ses Principaux representant, Paris, 1949.

- Pautey (Edmon):

12- Les Bois Sculptés Jusqu' a l'epoque Ayyoubide, Catalogue general du Musée Arabe du Caire, 1931.

- Sauvaget, Wiet, Combe:

13- Repertoire Chronologique D'epigraphie Arabe, Le Caire, Mc MXXXVII, T. 9-10.

- Weill (Jean David):

14- Catalogue General du Musée Arabe du Caire, Les Bois á Epigraphie Jusqu'a l'epoque Mamlouke, le Caire, 1931.

- Wiet (G.) :

15- L'' Egypte Arabe (Histoire de la Nation Egyptienne, Par Hanateau, T. IV.).

سادساً: أهم المقالات بالدوريات الأجنبية :

- Abdul Hak (M.):

1- Al Qadi ul fadil and his diary, Proc. 10th Al-india or. Conf.. 1940, pp 724-725.

- Abel (A):

2- La Sitadelle Ayyubida de Bosra, Annales Archéologiques de Syrie VI, 1956.

- Ashtor (E):

3- Saladin and the Jews, HVCA, Hebrew Union College Annual, V. 27 (1956).

- Balog (P):

4- Dirhems Ayyoubites inédits du Yemen, B.I.E. 36 (1953-54) pp, 347-355.

5- Ayyubid Jetons, Atti Del Terzo Congresso Di Studi Arabi E Islamica, Ravello, 1966, Instituto Universtario Orientale, Napoli, 1967, P 121-125.

6- Dinars of Muâzzam Shams al-Din Turanshâh and al-Aziz, Tugthegen, Ayyubid Princes of the Yemen, Amere, Num, Soc. Museum notes 9, (1960) pp 237-240.

7- Etudes Numismatiques de l'Egypte Musulmane, La Trouvaille de Fayoum. Dirhems Ayoubites, du Premier Roi Mamelouk Aybek et D'Imitation Arabe des Groisés. Extrait du B.I.E.T. 34, 1951-1952.

8- Monnaies Islamiques Rares Fatimides et Ayoubites. B.I.E.T. 36, Le Caire 1955, P. 327-346.

9- Deux dinars inédits du dernier Roi Quyoubite d'Egypte, Al-Malek Al-Achraf aboul Fath Moussa. B.I.E.XXXI, P. 187-190, Le Caire 1949.

10- Etudes Numuimatiques de l'Egypte Musulmane, Fatimites, Ayoubites, Premiers Mamlouks, B.I.E., Session 1952-1953, Le Caire 1954.

11- Etude Numismatiques de l'Eypte Musulmane, Période Fatimides et Ayoubites B.I.E., 1952.

- Basetti-Sani (G.):

12- Conditions de l'apostolat en Egypte au debut de XIIIeme siecle. Cah. hist. eg. 5 (1953) pp. 193-216.

- Brinner (W. M.):

13- The Banu Sasra: a study in the transmission of a scholarhy tradition Arabica 7 (1970) pp, 167-195.

- Casanova (P):

14- Les Derviers Fatimides. Memoires de la Mission Archéologique Française du Caire, Tome VI. 1893. PP. 415-445.

15- Notes sur un texte copte du XIIIe siecle, B.I.F.O. I (1901) pp. 113-137.

- Cahein (C.):

16- Une source pour l'histoire des croisades: Les memoires du sacd ad-Din ibn Hamawiyya Huwaini, dans bulletin de la Faculté des lettres de Strasbourg. 1950.

17- La Correspondance de Diyead-Din Ibn al'Athir, Liste de Lettres et textes de diplômes, B.S.O.A.S., 14 (1952), pp. 34-43.

18- L'Evolution de l'iqta, etc. dans, Annales Economies-Sociétés-Civilisations, 1953.

19- Le Regine des Impots de la Fayyum Ayyubide, Arabica, 3 (1956) pp. 8-30.

20- Un traité Financier inedit d'Epoque Fatimide Ayyubide, JESHO. Vol. v Part II, 1962.

21- Douanes et Commerce dans les portes Mediterranéens, JESHO, 7, 1964.

22- L'administration financiere de l'armée fatimide d'aprés al Makhzumi (JESHO), 15, 1972.

- Cooper (S.):

23- A note on the dinar J'ayshi, JESHO, 16 (1973).

- Creswell (K.):

24- La sitadelle Ayyubide du Bosra, Annales Archeologiques de Syrie, VI (1956).

25- The Origins of the Cruciform plan of Cairene Modrasahs, bulletin de l'institut Français d'Archeologie orientale Tom 21, p. 1-54, Le Caire, 1922.

- Dietrich (A.):

26- Eine Arabische Eheurhunde aus der Aiyyubidenzeit, Doc. isi. ined, 1952. pp. 121-154.

- Demombynes (G.):

27- Une lettre de Saladin au Calife Almohade. Mil. R. Basset II, 1925, pp. 279-304.

- Ehrenkrentz (A.S.):

28 - The Standand of fineness of gold coins circulating in Egypt at the times of the Ctusades J.A.O.S., 74 (1954) pp. 162-166.

29- Contributions to the knowledge of the fiscal administration of Egypt in the Middle Ages, B.S.O.A.S, 16 (1954), pp. 502-514.

30- Extracts from the Technical Mannal on the Ayyubid Mint in Cairo (B.S.O.A.S.), 1953, 15, pp. 424-447.

31- The place of Saladin in the naval history of the Miditerranean see in the Middle Ages J.A.O.S. 75 (1955) pp.100-110.

32- The Crisis of dinar in the Egypt of Saladin J.A.O.S. 76 (1956) pp. 178-184.

33- The Standard of Fineness of Western and Exstern Dinars before the Crusades, J.E.S.H.O., V. VI, (1963), Part I.

34- Byzantine Tetartera and Islamic Dinars, J.E.S.H.O, V. VII, (1964), part II.

35- Arabic Dinars Struck by the Crusaders, JESHO, V. VII (1964) part I.

- Elbeheiry (Salah):

36- Le Decret de nomination de l'historien Ibn Wasil au poste de professeur de la mosqué al-Aqmar, communicationfaute au XXIX[e] congres International des Orientalistes, Paris, 1973, in Bulletin de l'Institut Français d'Archéologic Orientale, Le Caire, 1973.

37- Les Lettres d'un-Nasir Daud, Communication faite au XXVII[e] Congres International Orientalistes, Michigan, 1969, publié dans ARABICA, T. XV, fasc. 2, 1968.

- Fink. (H.S):

38- Mawdud I of Mosul precuror of Saladin, M. W. B. (1953), pp. 18-27.

- Gibb (H. A. R.):

39- The achievement of saladin. Bull. J. R. Lib. 35 (1952), pp. 44-60.

40- Notes on the arabic materials for the History of the Eraly Croisades, B.S.O.A.S. VII: 1935. p. 739-754.

41- The armies of Saladin, Cah, Hist, eg. 3 (1961) pp. 304-320.

42- The Arabic Sources of the life of Saladin, speculum 25 (1950) pp. 58-72.

43- Al-Barq al Shami: the History of Saladin by the Katib Imad ad-Din al-Isfahani, W.Z.K.M. (52) 1953. pp 93-115.

- Goitein (S.D.):

44- The Cairo geniza as a source for the history of muslime civilization. SI (Studia Islamica) V. III, 1955.

45- The Documents of the Cairo geniza as a source for mediterranean social History, in JAOS., Vol. 80. 1960.

46- From the Mediterranean to India. documents on the Trade to India, south Arabia and East Africa from the eleventh and Twelfth centuries. Speculum (29), 1954 (181-191).

47- Letters and documents on the India Trade in Medieval Times. IC. (Islamic Culture). V. 37, (1963).

48- Slaves and Slavegirls in the Cairo Geniza Records, Arabica , (1962) pp. 1-20.

49- The eschange of gold and silves money in Fatimid and Ayyubid times. JESHO., V, VIII. 1965.

50- Evidence on the Muslim poll tax from non-Muslim sources. Ageniza Study, JESHO. V. VI, (1963) part. I.

- Godard (André):

51- L'origine de la Medrasah, de la Mosquée et du Caravansérail à quatre Iwan. in Ars Islamica, vol. XV-Xv, 1951 pp. 1-9.

- Gottschalk (XL):

52- Die Aulad saih as-Suyur (Banu Hamawiya) wzkm (53) 1956, pp. 37-87.

- Guyord:

53- Un grand maitre des Assassins au temps de saladin. Journal Asiatique, VII^{e} serie, 1877.

- Herz (Max):

54- Les Sépultures Abbasides prés de la mosquée d'el-Sayeda Nafisa, Bulletin du Comité de Con-servation des Monuments Arabes, Le Caire, 1911.

55- Mosquées et Tombeau du sultan salah Negm el-Dyn Ayyoub, Bulletin du comité de conservation de Monuments Arabes, Le Caire, 1902, Reprinted in Bulletin de L'Institut d'Egypte, 4^{e} serie, No. 5. pp. 25-31, Le Caire, 1904.

- Kahle (p):
56- Eine wichtige Quelle Sur geschichte des sultans saladin, W. O. I. (1947-1952) pp. 299-301.
- Lapidus (I. M.):
57- Ayyubid Religious Policy (in colloque Internationaal sur l'histoire du Caire. p. 279-286).
- Lauffray (J.) ;
58- Une madrasah Ayyoubid de la syrie du Nord, La Sultaniya d'Alep, Etude Architecturale. Annales Archeologique de Syrie, tome III, 1953.
- Lewis (Bernard):
59- The Sources for the History of Syrian Assassins (speculum, 1952, XXVIII/4).
60- Saladin and the Assassins, BSOAS., 15 (1953) pp. 239-245.
- Massé (H):
61- Remarques sur le Fath el Qassi d'imad ed-din el-Isfahani, 22 Congrés or. 1951, II (1957)p. 196.
- Mile (G.G.):
62- The Ayyubid of the Yemen and their Coinage, Num. Chron. 5e ser, 19 (1939), pp. 69-94.
- Minoreskey (V.):
63- Prehistory of Saladin. dans studies in Caucasian History, Cambridge 1953, pp. 107-128.
- La Monte, J.L.:
64- Takieddin prince of Hama, N.W. 31 (1941) pp. 149-160.
- Poliak:
65- The Ayyubid Feudalisme, JRAS., 1939, pp. 428-432.
- Rice (s):
66- Islamic Studies in metalwork, bull. of the school of or. st. XIV-XVII, 1952-1955.
- Richard, J.:
67- La chanson de syracon et la légende de Saladin. J.A. 237 (1949) pp. 155-158.
- Sadek (Hassan):
68- Salah el Din's fort on Ras el-Gindi in Sinai. BIE 2(1920) pp. 111-119.
- Sauvaget:
69- Le Cénotaphe de Saladin, Revue des Arts Asiatiques. Paris, 1938.
- Shafek (Ali):
70- Fayoum Irrigation as discribed by Nabulsi in 1245 A.D, Bulletin de la société Royale de Geographie d'Egypte, Tome XX, 1939, pp. 283-326.
- Salmon (Mr George):
71- Repertoire geographique de la Province du fayyoum d'apres kitab Tarikh al-Fayyoum d'an Naboulsi Bulletin d'institut Français d'Archeologique Orientale, Tome I, Le laine 1908.

- Sourdel (Thomine J.);

72- Le Peuplement de la region des villes mortes (syrie du Nord) a l'epoque ayyubides. Arabica I (1954) pp. 187-2000.

73- Les professeurs du Madrasa a Alep au 12e et 13e siecle, Revue d'Etudes Oriental de Damas XIII, 1949-1950.

- Stern (S. M.):

74- The succession of the Fatimid iman Al-Amir, The Claims of the Later Fatimids to Imamate, And the Rise of Tayyibi Ismailism, Oriens, Vol 4, No 2, pp. 193 ff.

- Taeschner (f):

75- الفتوة والخليفة الناصر : مقال كتبه بالفرنسية (ترجمه صلاح الدين منجد) فى كتابه المنتقى من دراسات المستشرقين ، القاهرة ، ١٩٥٥، ص ١٨٩ - ٢٠٧.

- Tewhid (A):

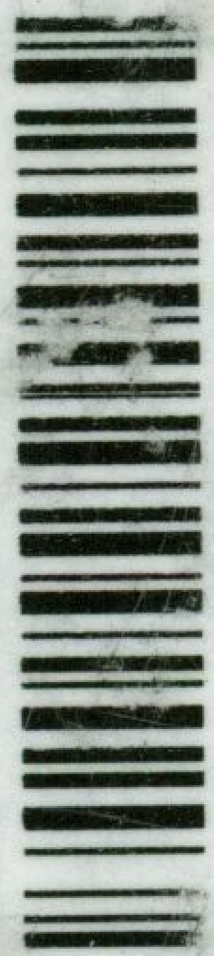
76- Monnaies des Eyoubites de Hisn- Keifa, Extr. des Mem. du Congres internat. de Numismatique... etc, Bruscelles, 1910.

- Wiet (Gaston):

77- Les E nscriptions du Mausolée de chafai, Bulletin de institut d'Egypte, Come XV. Le Caire. 1933.

- Zaki (Ahmed Pacha):

78- Coupe magique dedieé a salah ed-Din (Saladin) B.I.E. 5th ser. 10 (1916) pp. 241-287.


Bibliotheca Alexandrina
1240029